آثار الشيخ زيد الفياض رحمه الله (١٨)

قضية فلسطين

تأليف فضيلة الشيخ
زيد بن عبد العزيز الفياض
رحمه الله
(١٣٥٠-١٤١٦هـ)

دار الألوكة للنشر

قضية فلسطين

الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ
الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ
الطبعة الثالثة خاصة بدار الألوكة ١٤٣٧هـ

دار الألوكة للنشر
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٦٦٦٦٠ تحويلة ٣٣٣
ناسوخ: ٤٥٥٠٦٦٦ - ص . ب ٣٠٥٦٦٠ الرياض ١١٣٦١
dar@alukah.net

قضية فلسطين

تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)

دار الألوكة للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٣٠

مقدِّمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وبه نَستعين، ونُصلِّي على خاتَم الرُّسل وأفضل الأنبياء محمَّد ﷺ، وعلى صحابته الكرام، وأتباعهم إلى يوم الدِّين.

وبعد، فهذه خواطرُ عن فِلَسطين؛ الجُرح العميق في الجِسم الإسلامي، الذي ما فَتِئ يَنزف دمًا من جرَّاء العُدوان الصِّهيَوني، والمؤامرات الاستعماريَّة.

ورغم مُضيِّ عشرين عامًا على إقامة ما يُسمَّى بدولة (إسرائيل)، فإنَّ المسلمين مصمِّمون على إنقاذ فِلَسطينَ من العصابات المعتدِية، وإذا كانت النَّكبةُ الثَّانية التي حلَّت بفلسطين في الحرب الأخيرة بين العرب واليهود قد ألحقَت أضرارًا فادحةً بالمسلمين على الصَّعيدَين: المادِّيِّ والمعنويِّ، فإنَّ النَّكبة قد تكون حافزًا على التَّصميم والاستِعداد؛ ليندحرَ الظَّالمون، وينتصر المسلمون.

وما أُقدِّمه في هذا الكتاب ليس تاريخًا لقضيَّة

فلسطين، ولا معالجةً متكامِلة للموضوع، ولكنَّها أحاسيسُ تعبِّر عن مشاعرِ الكثيرين من المسلمين.

وهي محاولةٌ لإذكاء الشُّعور نحوَ السُّلوك الصَّحيح لاستعادة فلسطين، وذلك بتهيئة الوسائل على مختلِف المستويات؛ من إعلاميَّة وعسكريَّة، وسياسيَّة واقتصاديَّة، ونبذ الحلول الهزيلة، والإقلال من الخُطب الرنَّانة، والدَّعاوى العريضة، والارتجال في معالجة هذه القضيَّة الخطيرة، ثمَّ الاهتمام بالتَّعاون مع العالَم الإسلاميِّ في شتَّى دياره؛ لاسترداد بيت المقدِس، والمسجد الذي بارَك الله حولَه، ولتطهيره من رِجس اليهود الباغين.

وقد كتبتُ هذه الخواطرَ في أوقاتٍ متفاوِتة، ونُشِرَت - ما عدا القليلَ منها - في الصُّحف المحليَّة[١].

وإذا كان السَّيف لا يُغني عن القلَم، والمِدفع لا يُقلِّل من أهمِّية اليَراع، فإنَّ هذه المسألة - مسألة فلسطين - في حاجة قُصوى لإبانةِ وجه الحقِّ فيها، وآمُل أن يكونَ في هذا الكتاب شيءٌ من هذا.

---

(١) جعلنا ترتيبها في هذا الكتاب حسَب تاريخ نشرها أو كتابتها.

ومن الله نستمدُّ التَّوفيق، وعليه الاتِّكال.

المؤلِّف

الخطر المحيق

(إسرائيل)! هذه الجُرثومة الشِّرِّيرة، والوباء الفتَّاك، كانت منذ أنِ اغتَصبَت فلسطينَ المحتلَّة، وأسَّست بها دولةً مزعومة، يغذِّيها الاستعمارُ والمنظَّمات الصِّهيَونيَّة العالميَّة، فجمَعوا بها شُذَّاذَ الآفاق، وحُثالةَ العصابات المجرِمة - كانت جسرًا للاستعمار، ومركزًا للعُدوان على العرب جميعًا، دَيدنُها العُدوان الآثم. وما حلَّ بأبناء فلسطينَ العربِ أكبرُ دليل على ما تتَّسم به هذه العصابةُ من شرور متأصِّلة، وعَداء مستحكِم، وما تَرسُمه من خُطط جَهنَّميَّة، تعمل ليلَ نهارَ في غير تَوان.

ولقد كانت نواياها واضحةً منذ اللَّحظة الأولى، وكان الأمر يتطلَّب علاجًا حاسمًا، وذلك بسَحقِها وإزالتها، وإرجاع الحقِّ إلى نِصابه، وعودةِ اللَّاجئين الفِلسطينيِّين إلى بلادهم التي أُخرجوا منها في أبشعِ جريمة عَرَفها التاريخ.

ولكنَّ الأغراض المُتبايِنة، والمَطامعَ الشَّخصيَّة، وفِقدان الثِّقة، والتَّنازع، والاعتمادَ على الأعداء - كانت هذه الأسبابُ هي التي ألحقَتِ الهزيمةَ بالعرب وجيوشهم

(السَّبعة) في حرب فلسطين، فكانت هزيمةً نَكراء، وذُلًّا لا يُمحى نال العربَ بعد تلك الحربِ المشؤومة.

وكان من البديهيِّ أن يتلقَّى العربُ أعظمَ درس فيما يجب أن يعمَلوه إزاءَ السَّرطان الصِّهيَوني في قَلب بلادهم، وكان المنطقُ الصَّحيح أن يتسلَّحوا بما يستطيعون من قوَّة، وأن يوحِّدوا صفوفَهم، وأن يأخذوا للأمر أُهبَته.

ومضَت عشرُ سنينَ[١] على قيام دولة الأُخطُبوط الإسرائيلي، ومخطَّطات زعماء العصابات في توسيع رُقعة إسرائيل، وامتداد أرضها من النِّيل إلى الفُرات، ولم يكن من السَّهل على مَن كان عنده شيءٌ من الشَّهامة والنَّخوة من المسلمين أن يقفَ موقِفَ المتفرِّج كأنَّ الأمر لا يَعْنيه، بينما عدوُّه اللَّدود يَسعى بحِيَلِه وأساليبه الشَّيطانيَّة لسَلب بلاده، وإذاقَته صنوفَ العذاب، وألوانَ الهوان والإذلال.

وتمرُّ الأحداثُ سريعة، وتاريخ الصَّهاينةِ القاتمُ يزداد ظلامًا، وأيديهم المجرِمة تُلوَّث بالدِّماء البريئة، وتَنغمِس كلَّ يوم في جرائمَ أبشع.

---

(١) حين كتابة هذا المقال، الذي مضى على كتابته نحو عشر سنين.

لقد كانت إسرائيل جادَّةً فيما تقول، وهذه حقيقةٌ ينبغي ألَّا يُغالِطَ النَّاسُ أنفسَهم فيها، أو أن يتَلهَّوا بالأحلام والأوهام، والتغنِّي بمفاخر الآباء، وبطولات الأجداد وكفى.

إنَّ كتمان خطَر إسرائيل خيانةٌ وجريمةٌ في آنٍ واحد، وإنَّ التَّقليل من شأنها، وتهوينَ خطَرِها لَهُو ظُلْم وجناية.

ونَلتفِت مرَّة أخرى لنرى - ويا لِهَول ما نَرى! - مساحاتٍ صغيرةً من الأرض تَنوءُ بمليون ونصف المليون من اليهود الذين اغتَصبوها، تفتَح أبوابَها لاستقبال ثلاثة ملايينَ آخَرين؛ لتنفيذ الخُطَّة الخطيرة، والضَّغطُ والإرهاب يَنزلانِ على البقيَّة الباقية من العَرَب في فلسطينَ المحتلَّة؛ ليَتركوا ديارَهم للوُفود الزَّاحفة، وتَنهال الإعاناتُ من الدُّول الغربيَّة على إسرائيل بصِفة قروض، وإعانات مباشرة وغير مباشرة، وتعويضاتٍ ومُساعَدات، وغير ذلك من أسماءٍ عديدة.

ويَفتح المعسكرُ الشرقيُّ أبوابَه بالسَّماح للصَّهاينة في الذَّهاب إلى فلسطين، ويشارك في الجريمة، ويُظهر حقيقتَه مكشوفة، وتبدو المأساة الرَّهيبة، والعدوان من الشَّرق،

والعدوان من الغرب، والأُخطُبوط الإسرائيليُّ الممتدُّ في أنحاء العالَم، وماذا بعد ذلك؟!

إنَّ العرب يقفون في المَيدان وحدَهم، وإنَّهم رغمَ كلِّ العراقيل أقوياء، إذا كانوا متَّفقِين، موحِّدين صفوفَهم، عاملين لدَرء الخطر، حاسبين للمستقبل ألفَ حساب وحساب.

وإنَّ ممَّا يحُزُّ في النفس أن يَدِبَّ الخلاف في الصَّفِّ العربي، وأن يتَناسى البعضُ واجباتِه تُجاه أمَّته ودِينه ووطنه، ويركَن إلى قوَّة دولة أجنبيَّة، فقد دلَّتِ التَّجارِب الكثيرة أنَّ الاعتماد على الدُّول الأجنبيَّة، والرُّكون إلى وُعودِها وإغرائها ضَربٌ من الغفلة والهَوَس.

وكم هو مؤلِمٌ أن يتَنابذَ العربُ في الوقت الذي يجب فيه أن يتَّحدوا ويتكاتفوا، ويُقدِّروا النَّتائج، حتَّى يُجابِهوا الخطرَ المُحيق في قوَّة وعزم وإقدام، ويثأروا للكرامة والحقِّ المهضوم!

إنَّ إذاعة إسرائيل تتهكَّم على العرب، وتسخَر منهم، وتدسُّ الدَّسائسَ للتَّفريق بينهم، ويقف معها المستعمِرون؛ ليردِّدوا نفسَ النَّغمة الخبيثة.

حقًّا إنَّ الأمر خطير؛ فعسى أن يقدِّر العربُ الموقفَ - شعوبًا وحكوماتٍ - فلا تتكرَّر المأساة مرَّة أخرى، نريد عملًا إيجابيًّا لصدِّ العدوان المتوقَّع على نطاقٍ واسع من سفَّاحي إسرائيل.

وعلى سبيل المثال نرى أنَّ من اللَّازم عملَ ما يلي:

١- تسليح اللَّاجئين الفِلسطينيِّين، وتدريبهم على مختلِف الأسلحة الحديثة، ووضعهم على أُهبة الاستعداد؛ فهُم أولى بالدِّفاع عن بلادهم.

٢- فتح معسكَرات للتَّدريب الشَّعبيِّ الاختياري.

٣- التَّدريب الإلزاميُّ عندما يُرى لذلك مصلحة.

٤- اتِّفاق حاسمٌ سريع بين الرُّؤساء على رَسم السِّياسة التي يجب انتهاجُها حيالَ الخطَر الصِّهيَوني.

٥- تقوية أجهزة الدِّعاية المضادَّة لدعاية المنظَّمات الصِّهيَونيَّة في الخارج.

وهذه بعضُ الأعمال الضَّروريَّة التي لا بدَّ منها كوقاءٍ لعدوان أثيم؛ فلعلَّ وعسى أن يَظهر أثرُ هذه الأعمال الإيجابيَّة سريعًا قبل أن يقَع ما لا تُحمَد عُقباه.

والله المستعان(١).

(١) وقد حصلت أشياءُ بين كتابة المقال ونشره في كتاب؛ فقد وقعت الحرب بين العرب وإسرائيل في صفر سنة **١٣٨٧** التي كانت نهايتُها محزنةً للعرب، وإن لم تكن هي آخرَ الحروب، وقد شمَّر الفلسطينيُّون الفدائيُّون لمقاومة عصابات الاحتلال الصهيوني، ونشاطُهم يزداد كلَّ يوم.

من المَلوم؟[(١)]

«تناقلَت وكالاتُ الأنباء أنَّ وِزارة الدِّفاع الأمريكيَّةَ أعلنَت: أنَّ الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة قد وافقَت على بيع إسرائيلَ صورايخَ مضادَّة للطائرات بمبلغ **٢٥** ميلونًا من الدُّولارات».

هذا هو الخبَر، وهو ليس بجديد؛ فقد عوَّدَتنا الولايات المتَّحدة على أمثال هذه الأعمال؛ فهي تقدِّم المساعداتِ الطائلةَ لإسرائيل بصفة قروض ومعونات، وتصريحات من مسؤولينَ كِبار، وتعهُّدات بحماية الصِّهيَونيَّة، وتجنيد وسائل الإعلام في الولايات المتَّحدة لصالِح الصَّهاينة، في الصِّحافة والإذاعة والتِّلفزيون.

وليست أمريكا الدَّولة الوحيدةَ التي تسيرُ على هذا المنهج، ولكنَّ دُولًا كثيرة تُشاطِرها هذا التصرُّفَ العَدائي؛ فبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربيَّة، كلُّها تعمل الكثيرَ لصالح اليهود، وتقدِّم المعوناتِ والتأييدَ السِّياسيَّ والأدبيَّ

(١) "اليمامة"، العدد (٣٩٥)، في ١٠/ ٢/ ١٣٨٣هـ.

والمادِّي للصِّهيَونيَّة.

و(أمريكا) حين تبيع الصَّواريخَ المضادَّة للطَّائرات لإسرائيل، فهي من نفس النَّمط، وعلى القاعدة لهذه الدُّول.

وقد يقول قائل: وماذا في بيع أمريكا الأسلحةَ لإسرائيل، فهي حرَّة في أن تَبيع الأسلحةَ إلى مَن تشاء؟ وكذا بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربيَّة؟!

وهذا القول وإن كان يبدو معقولاً، إلَّا أنَّه بعد التَّفكير في الأسباب والدوافع يَظهر بجلاءٍ بُعدُه عن الصَّواب؛ فهذه الدُّول - التي تتشدَّق بالحِرص على السَّلام في منطقة الشَّرق الأوسط، وبتوازُن القوى - لا تتوانى عن تقديم الأسلحة بسَخاء لإسرائيل؛ الأسلحة الحديثة المتنوِّعة؛ من البندقيَّة والمِدفع، إلى الصَّواريخ والدبَّابات، والأفران الذَّريَّة، في الوقت الذي تَمنع فيه السِّلاحَ عن العرب، وترفض بيعَ السِّلاح عليهم بأيِّ ثمَن! وما حكايةُ توازنِ القوى والحِرص على السَّلام في منطقة الشَّرق الأوسط إلَّا حكايةُ خُرافة، وأسلوبٌ مخدِّر؛ الغرض منه الاستهلاكُ والدَّعاوى المموِّهة.

ولنا أن نتساءل: مَن الملوم؟! أهي هذه الدُّول التي تُسيِّرها عواملُ شتَّى، ودوافعُ ليست خافيةً للمتعمِّق، وفي طليعتها الحِقد الصَّليبي على الإسلام، والجَشَع الذي يُعميهم، ويجعلهم يسعَون لإضعاف العرَب والمسلمين؛ ليُسيطروا على ثروات العرب والمسلمين المادِّية والبشريَّة؟

ولا نُغفل جانبَ التَّغلغل الصِّهيَوني - وضعف الدِّعاية العربيَّة والإسلاميَّة في تلك البُلدان، مع نشاط الصَّهاينة في نشر آرائهم، وتزييف الحقائق، وطُرُق الخداع والتَّضليل.

أم أنَّ الملوم هو الدُّول العربيَّة والإسلاميَّة نفسُها؟!

إنَّنا على ضوء هذا السُّؤال يمكن أن نحدِّد الموقفَ بجلاء، وأن نتوصَّل للحقيقة التي هي في حاجة إلى التأمُّل والتَّفكير أكثرَ ممَّا هي في حاجة إلى اللَّجلَجة والهذَيان، إنَّنا نُلقي اللَّوم في الدَّرجة الأولى على العرب والمسلمين؛ لأنَّهم لم يُعلِنوا رأيَهم بحزم وصراحة، ولم يتَّخذوا قرارًا حاسمًا إزاءَ هذه الدُّول التي تستهينُ بهم، ولا تُقيم لهم وزنًا أو اعتبارًا، وعلى العكس من ذلك تُصادِق عدوَّهم، وتقدِّم له أنواعَ المساعدات، ولا تكتَرث بمشاعِر العرب والمسلمين، ولا كرامتهم وحقوقهم.

فلو أنَّ العرب والمسلمين حدَّدوا موقفَهم، واتَّخذوا قرارًا صريحًا فيه وَحدةُ الرأي، وصرامةُ العمل الجدِّي، لكان لهذه الدُّول رأيٌ آخَر، ولنظرَت للعرب والمسلمين من زاويةٍ أخرى.

لو أنَّ أمريكا تحقَّقت من ضياع مَصالحها في البلاد العربيَّة والإسلاميَّة من النَّواحي الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة إذا رَكِبَت رأسَها، وأصرَّت على أن تَسير بجانب الصَّهاينة، ولو أنَّ بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربيَّة أدركَت ذلك - لتغيَّر موقفُ تلك الدُّول قطعًا، ولحسَبَت ألف حساب وحساب لحقوق العرب، ولقدَّرَت للرأي العامِّ الإسلاميِّ والعربيِّ مشاعرَه وأحاسيسَه.

ولو أنَّ موقفًا جادًّا وقَفَه العربُ والمسلمون من أمريكا عندما تختارُ رِضا الصِّهيَونيَّة، وإغضابَ أكثرَ من خَمسمئة مليون شخص، لكان لأمريكا رأيٌ آخر، واتِّجاهٌ آخر.

ولكن مع الأسف أنَّه حتَّى الآن لم يُدركِ العالَمُ العربيُّ والإسلاميُّ واجبَه في هذه المواقف التي تستدعي اتِّفاقَ الكلمة، وجمعَ الشَّتات، وإزالةَ الخِلافات؛ فما زال الكثيرون منهم غارقين في التَّنابُز بالألقاب، والشَّتائم

ببذيء القول، والتَّراشق بالاتِّهامات على سَمع العالَم وبصَره، فضاعت بذلك هيبتُهم، وأعطَوا لعدوِّهم فرصةً نادرة ليحقِّق مآربَه الشرِّيرة، وأغراضَه السيِّئة، فإلى متى يستمرُّون في غفلتِهم ومتاهاتهم؟!

فعسى أن يَثوبوا إلى رُشدهم، ويعودوا إلى صوابهم!

فلسطين قضيَّة العرب والمسلمين[1]

لا نُريد الخوضَ في أسباب كارثة فلسطين ومأساتها الدَّامية، التي فتحَت جروحًا عميقة في قلب كلِّ عربيٍّ ومسلم يشعُر بالمأساة العظيمة، ويُدرِك الخطر الجسيم الذي حاق بالعرب والمسلمين من جرَّاء اغتِصاب دُويلة العصابات لها، ودور الدُّول الاستعماريَّة الحاقِدة على المسلمين في ذلك، وتفكُّك العرب والمسلمين وضعفهم، وأسبابٍ عديدة، وعواملَ كثيرة، ليس المجالُ حصرَها.

وقد كانت تلك المأساةُ الرَّهيبة دافعًا للعمل الجدِّي لاستِرداد فلسطين، وحافزًا قويًّا لتلافي الأخطاء السَّابقة، والاستفادة من النَّكسة بتجنُّب الأسباب المؤدِّية إلى الفشل، وفي التَّاريخ أمثلةٌ كثيرةٌ على ذلك.

وإذا كان واجبُ العرب والمسلمين هو العملَ والاستِعداد لاسترداد فلسطين، ورفع ذلك العار الذي لَحِق بهم في الهزيمة والتَّفريط - فإنَّ الواقع ينبغي أن يُطابق

(١) "اليمامة"، العدد (٣٨٣)، في ٢٧/ ١٢/ ١٣٨٢هـ.

الواجِب، ونحن إذا نظَرنا إلى الواقع، فإنَّا نجد تحفُّزًا وآمالًا لدى الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة، واستعدادًا لتلبية نداء الواجب في الجَولة القادمة مع الصِّهيَونيَّة المجرِمة، ومَن يساندونها من أعداء العرب والمسلمين.

ومع الأسف أنَّ هذا الاستعداد لم يُواكِبه عملٌ جادٌّ من كثير من الزُّعماء العرب والمسلمين، ولم يكن الشُّعور منهم متَّفقًا وما يتطلَّبه العملُ المنتظَر من خطورةٍ واستعداد، وبكلِّ أسًى: إنَّ هذه (اللَّامُبالاة) قد أفقدَتِ المسلمين والعربَ في قديم تاريخهم وحديثه الكثيرَ جدًّا، وجرَّت عليهِم المآسِيَ والدُّموع الغزيرة، وصاروا يَندُبون حظَّهم العاثر، ويلومون أنفسَهم بعد فوات الأوان!

فقدَ المسلمون الأندلسَ بسبب النِّزاع والمطامع الفرديَّة، وعدم الشُّعور بالواجب، وأضاعوا ما كان لهم عليه سلطان من شواطئِ أوروبَّا الجنوبيَّة بعدَ أن اتَّحد الإفرَنجُ ضدَّهم، ونُكبوا في فلسطين لأسباب عديدة.

وما زالت ماثلةً أمامهم المآسي الدَّاميةُ نتيجةَ عدم التَّقدير للموقف، والشُّعورِ بالمسؤوليَّة، وقيام المُنازَعات بينهم.

فقضيَّة كشمير وأرتيريا، والجزء الشَّمالي من الصُّومال، وقضيَّة فلسطين، والبُلدان الإسلاميَّة الرَّازحة تحت الاستعمار الشُّيوعيِّ الغاشم... وغيرها - كلُّها قضايا تتطلَّب الشُّعور بالمسؤوليَّة من جميع المسلِمين، وبذلَ الجهود المخلِصة الصَّادقة إزاءَها؛ ليعودَ الحقُّ إلى نصابه فيوحِّدوا جهودَهم لاستعادة الحقِّ السَّليب إلى أهله، فعَدُوُّهم يجمع قُواه، ويُكتِّل صفوفَه ضدَّهم؛ يدفعه لذلك أحقادٌ قديمة، ومطامعُ حديثه، ويتسلَّل من الثُّغرات التي يجدها بين المسلمين؛ ليشتِّتَ شملهم ويفرِّق كلمتهم، ويَضرب بعضَهم ببعض؛ لينال بُغيتَه، ويصلَ إلى هدفه.

إنَّ الأحداث والعِبر تَترى كلَّ يوم، فهل اعتبرَ المسلمون بها؟!

إنَّ الأمر خطيرٌ وجسيم، ولكن هل قُوبل بما هو به جديرٌ من العناية والاهتمام، والعمل الجادِّ؟!

سؤال يحتاج إلى جواب.

إنَّنا لا نريد أن نيئَس، ولكن يجب ألَّا نُخلِدَ للكسل والخمول، بينما عدُوُّنا يعمل في دأب ضدَّنا، وضدَّ معتقداتنا وحقوقنا وآمالنا.

وفي هذه الأيام تعالَت أصواتٌ من بريطانيا وأمريكا، وعلى مستوياتٍ مختلِفة تهدِّد وتتوعَّد العرب، وتعلن حمايتَها لإسرائيل، وحرصَها على حفظ كِيانها المزعوم فيما لو حصلَت محاولةٌ لاستعادة فلسطين لأهلها الشَّرعيِّين، ولم تكن تلك التَّصريحاتُ من أشخاص عاديِّين فقط، ولكنَّها من مسؤولينَ كبار في هاتين الدَّولتين، مع حمَلات كلاميَّة صاخبة، ودعايات كثيرة مُريبة.

وكان الواجبُ - أقلُّ الواجب - أن تحزِمَ الدُّول الإسلاميَّة والعربيَّة أمرَها، وتُعلن موقفَها بصراحة تامَّة، وتردَّ على مؤيِّدي العدوان في الدَّولتَين الصَّليبيَّتَين الحاقدتَين على الإسلام والعرب.

ومن المُحزن أنَّ الأصوات كانت خافتة، وكان موقفُ أغلب الزُّعماء في العالَمين العربيِّ والإسلاميِّ متَّسمًا بعدم المبالاة، أو كأنَّ الأمر لا يعنيهم! فما تفسير ذلك الصَّمت الذي ليس مِن ذهب، ولا من فِضَّة، ولا حتى من نُحاس؟!

إنَّ لدى المسلمين والعرب من الإمكانيات والوسائل ما يَجعَلهم في موقف يستطيعون معه إعلانَ رأيهم صريحًا

بالقول وبالفعل، إذا لَزِم الأمر.

إذًا ما الذي يمنعهم من أن يقولوها كلمةً حازمة؟!
وأن يُتبِعوها بالاستعداد الجادِّ؛ ليكونوا في المَيدان العمَليِّ
عندَ الحاجة، لا يَرهبون، ولا تُخيفهم الأساطيلُ
والتَّهديدات.

إنَّه إذا لم يُمكِن أن يُصدِروا بيانًا من جميع الدُّول
العربيَّة والإسلاميَّة يُظهرون فيه رأيَهم الواضح، فلا أقلَّ من
أن تقول كلُّ دولةٍ كلمتَها على حِدَة، أمَّا السُّكوت في هذا
الموقِف فهو أمرٌ غير معقول ولا مقبول.

أيُّها العرب، أيُّها المسلمون: كفى تخاذُلًا وتكاسلًا،
ولنتَّخِذ من التَّاريخ عِبرة ودرسًا.

عدوٌّ يتآمَر.. وأشقَّاء يتخاصَمون[(١)]

أعلنَت سوريا عن تحرُّكات إسرائيليَّة قُربَ الحدود السُّوريَّة، وحصَلَت تحرُّشات واعتداءات من جانب الصَّهاينة، ورافَق ذلك تهديداتٌ من رئيس وزراء ما يُسمَّى دولة إسرائيل، ووزير دفاعها ليفي أشكول؛ الذي قال: إنَّه إذا ازداد الوضع خطورةً، فستُعطى الأوامر للمِظَلِّيِّين ولجيش الدِّفاع الإسرائيليِّ لتأدية واجبهم، وتحديد حدود إسرائيل!

ولَم يُخفِ أصدقاءُ الصِّهيَونيَّة حرصَهم على سلامة اليهود المغتصِبين، وتخوُّفَهم من رُجحان الكِفَّة للعرب، وتفوُّقهم في السِّلاح؛ ولذا فإنَّهم يَطلُبون نزعَ السِّلاح من منطقة الشَّرق الأوسط - حفظًا للتَّوازن - كما هي العادة التقليديَّة كلَّما أحسُّوا أنَّ في الأفق بوادرَ خطرٍ على إسرائيل، أو تعكير صفوِها.

ونزعُ السِّلاح في نظر دول الغرب حلفاء إسرائيل إنَّما

(١) "اليمامة"، العدد (٤١٠)، في ٣/ ٤/ ١٣٨٣هـ.

هو نزع السِّلاح من أيدي العرب، وتسليح الصَّهاينة وإمدادهم بالأموال والخُبراء والأساطيل!

وليس كلُّ ذلك ما يدعو للغرابة طالما أنَّه «شِنشِنَة نعرِفُها من أخزَم»، ولكن الذي يدعو للأسى والألَم أنَّ العرب الذين نُكِبوا في فلسطين أشنعَ نكبة، والذين تجرَّعوا الويلاتِ من حُلَفاء الصَّهاينة، وذاقوا من استِعمارهم ما يَكفي عبرةً لآمادٍ طوال وأجيال متعاقبة - هؤلاء العرب لم يُقابلوا تهديداتِ إسرائيل وحلفائها بالحزم والجِدِّ، ولم يَعتبروا بما سلَف من مآسٍ ونَكبات؛ فما زالوا سادرين في شَتاتِهم وتَناحُرهم، يَقتل الأخُ منهم أخاه لغيرِ ما سبب، فيرى في ذلك البطولةَ والفخر، ويشتُم الواحد منهم الآخَر، ويَكيل له من السِّباب والقذف ما لا يخطر بالبال، ويعُدُّ ذلك مجدًا يزهو به ويختال!!

ونَسُوا ما يدبِّره لهم أعداؤهم من مؤامرات وتفتيت، وغفَلوا عن دُويلة العصابات التي ترى أنَّ كلَّ مالٍ في الأرض فهو مِلكٌ لشعب الله المختار، لهم أن يتحصَّلوا عليه بأيِّ وسيلة مهما كانت وضيعة، والغاية في عُرْفهم تبرِّر الوسيلة، وأنَّهم السادة المُجتبَون الذين يجب أن

يحكموا العالَم؛ لتفوُّقِهم عليه في زعمهم، ولسيطرتهم على المال في كثير من أنحاء العالَم.

وقد كتَبوا في برلمانهم: «دولة إسرائيل من الفُرات إلى النِّيل»، بل إنَّهم لا يَقنَعون بذلك، وإنَّما يرَون الأرض كلَّها ملكًا لهم، والمال حلالًا لهم، يَستعيدونه من الناس بأيِّ طريقة يرتؤونها.

لقد تجاهَل حكَّام العرب هذه الحقائق؛ فراحوا يتَناحَرون ويتَخاصَمون، والأعداء يُوغِرون صدورَ بعضهم على بعض؛ لِيتَمادَوا في هذه السُّبل الخاطئة؛ لِيسهُل على العدوِّ ابتلاعُهم، وتحويلهم من أثرياءَ إلى فقراء، ومن أعزَّاءَ إلى أذلَّاء، ومِن أبناء وطن إلى مشرَّدين، يتَّخِذون منهم مادةً للشَّماتة والمباهاة بالعطف الإنساني، والكرم الحاتمي، حيث يَجودون عليهم ببعض الصَّدَقات كما هي الحال مع المشرَّدين من أبناء فلسطين، إنَّها حقيقة رهيبة، كان يكفي أن نأخذ العِبرة لها من المآسي القديمة مع الاستعمار وربيبته إسرائيل.

أيُّها العرب: كفَى خصامًا، وتناحُرًا وشتامًا، وحسبُكم غفلةً عن أعداء يتربَّصون بكم الدَّوائر، ويوشكون أن

يَسحَقوكم سَحقًا، وأن يُذيبوكم ويشرِّدوكم في الفلَوات والكهوف.

فهَل أدركتم خطورةَ الوضع، وأعددتُّم للأمر عُدَّته؟ أم أنَّكم سادرون في الغيِّ، لاهون عمَّا يُراد بكم من شرٍّ ومصائب؟!

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَمِيضَ نارٍ
ويوشِكُ أن يكونَ لها ضِرامُ

إنَّ إسرائيل قد ظنَّت أنَّها فرصةٌ سانحة، يَندر أن يجود لها الزَّمانُ بمثلها لكي تَثِبَ على بلاد العرب والمسلمين، ما داموا في نِزاعهم وخصوماتهم غارقين.

فعسى أن يُثبت العربُ أنَّهم أرقى مستوًى، وأعظمُ تفكيرًا، وأكثر حزمًا من أن يُتيحوا للعدوِّ فرصةً يَعتدي فيها على بلادهم، أو يَهنأ فيها بما اغتَصَب، أو يُدرك مَرامًا من أمانيِّه الشرِّيرة، ونواياه العدوانيَّة، ذلك ما نَرجوه، ويتمنَّاه كلُّ مخلصٍ غيور.

انبِذوا خلافاتِكم أيُّها العرب[١]

تكرَّرت الاعتداءاتُ الإسرائيليَّة في الآونة الأخيرة على الحدود السُّوريَّة والأردنِّيَّة بصفةٍ استفزازيَّة، ومثيرةٍ للأعصاب، وقد ظنَّت إسرائيلُ أنَّ انشغال الدُّول العربيَّة بخلافاتها ومُهاتراتها سيَجعل الفرصةَ مواتيةً لفرض الصُّلح على العرب، والاعترافِ بالكِيان الصِّهيَونيِّ كحقيقةٍ واقعة، مثيرةً انتباهَ العالَم، ومستدرَّةً عطفَه عليها، بزعمها الحرصَ على السَّلام في منطقة الشَّرق الأوسط، بينما تقوم أمريكا وبريطانيا وفرنسا بالضَّغط على العربِ وتهديدهم.

كلُّ هذا أمرٌ لا شكَّ أنَّ إسرائيل تُريده، وقد عَمِلت له، وبذلَتِ الجهودَ في سبيله، ولا ريب أنَّ العرب يُدركون هذه الحقيقة، وسوف لا يرضَخون للضَّغط الصِّهيَوني وضغط حُلفاء الصَّهاينة، لفَرض الصُّلح على العرب، ولن يَقبلَ عربيٌّ بهذا، مهما كلَّفه الثَّمن!

وقد كان موقِفُ العرب إزاءَ العدوان الصِّهيَوني على

(١) "اليمامة"، العدد (٤١٤)، في ١٧/ ٤/ ١٣٨٣هـ.

سوريا في الأيَّام القريبة وتأييدهم المُطلَق لسوريا يدلُّ بوضوح على تصميم العرب أجمعين على مقاومة الصِّهيَونيَّة، وردِّ عدوانها، وحتَّى لو حصلَت خلافاتٌ بينهم، فإنَّهم ينسَون خلافاتِهم إذا جدَّ الجِدُّ، واقترب الخطر الأجنبي.

هذه حقائقُ واقعيَّة.

ولكن يَجدُر بنا أن نناقشَ الموضوع بهدوء واتِّزان، ولنَفرِض أنَّ إسرائيل تَهدِف إلى توسيع رُقعة الأراضي التي اغتصبَتها، وقد تواطأَت مع حليفاتها على هذه الخُطَّة الآثمة، وليس ذلك احتمالًا بعيدًا.

بل إنَّ أحلام الصَّهاينة ومخطَّطاتهم، وما يبدو من فلتات ألسنتِهم، تؤكِّد أنَّهم يُبيِّتون خُطَّةً إجراميَّة عدوانيَّة ضدَّ البلاد العربيَّة، فما هو دَورُ العرب في ذلك؟ وما هي خُططهم المدروسة بعقل وحُسن تصرُّف واستعدادٍ للطَّوارئ؟!

إنَّ التصريحاتِ المرتجَلة، والخُطبة الحماسيَّة ليسَت هي التي تَردُّ المعتدي، وتهزم الجيوش، ولكن العمل الإيجابيَّ السَّريع، والخطط المُحكَمة المدروسة والثِّقة

القويَّة، والإيمان بالله، وأنَّه يَنصُر الحقَّ وأهله - هذه الأشياء هي العواملُ الفعَّالة لسَحق العدوان، واسترجاع فلسطين من الصَّهاينة المغتصِبين، ومع الأسف فإنَّ واقع العرب لا يشجِّع، ولا يَبعَث على الاطمئنان، طالما أنَّهم في شَحناء وتناحُر وسِباب، يقتُل بعضُهم بعضًا، ويَشتِم بعضُهم بعضًا!

وكيف يخوضون معركةً واحدة وقد انتُزعتِ الثِّقة منهم، وكلٌّ منهم يَنظر للآخَر على أنَّه «عدوٌّ لَدود»، و«مجرمٌ خائن»، وكيف يَرسُمون الخُطط، وينظِّمون الصُّفوف، ويواجهون العدوَّ وهم على هذه الحال؟!

إنَّ الأمر خطير حقًّا، ويجب أن يُحسَبَ له حسابُه، وإنَّ على عُقلاء العرَب ومفكِّريهم وقادتهم أن يُغيِّروا من نظرتهم لبعضهم البعض، وأن يَعملوا ما وَسِعهم الجهدُ على نبذِ الخلافات، وإزالةِ الأحقاد، وبثِّ رُوح الصَّفاء والإخاء بين شعوبهم؛ ليتهيَّؤوا للدَّور الخطير الذي يُتوقَّع حدوثه، حتَّى لا يُؤخَذوا على غِرَّة.

إنَّ واجبهم أن يُدركوا أنَّ قضيَّة فلسطين لا تخصُّ الأمَّةَ العربيَّة وحدَها، وإنَّما هي قضيَّة الأمَّة الإسلاميَّة

جمعاء، وأنَّ المستعمِرين الذين يناصرون الصَّهاينة إنَّما يعملون ذلك حِقدًا على الإسلام، وتحطيمًا للمسلمين في شتَّى أقطارهم، وتنوُّع أمصارهم، وكفى مجاملةً وتزييفًا وخوَرًا!

ولَسنا في حاجة إلى ضَرب الأمثال، وذِكر الوقائع؛ فالتَّاريخ البعيد، والتَّاريخ القريب، وواقع المستعمِرين وفِعالهم الرَّاهنة، تُبرهِن بوضوح على أنَّ عقليَّتهم هيَ هيَ لم تتغيَّر، وأنَّ أحقادهم الدَّفينة تظهر عندَ كلِّ حادث، وما أحسَبُ الأمَّة الإسلاميَّة في درجةٍ من البلاهة بحيث تَخفى عليها حقيقةُ المستعمرين ودوافعُهم.

فهل يَعتبرون بالأحداث، ويأخذون من الوقائع درسًا ينفعُهم في المستقبَل؟!

ماذا دهاكم أيُّها العرب؟![1]

قِتالٌ في اليمن بين أبناء البلَد الواحد، ومعارِكُ ودبَّابات وطائرات تَقذِف بحُممها على الآمِنين الوادعين؛ لتُمزِّقَهم أشلاءً مُتناثرة، وتَطاحُنٌ في المغرب، ودماءٌ تُراق بغزارة، ونِساء تُرمَّل، وأطفال يُيتَّمون! وفريق يُعلِن انتصارَ هذا وانخذالَ ذاك، وفريق ثانٍ يَعكِس القضيَّة! ودولةٌ تبتَهج لأنَّ تلك القوَّات تَقدَّم زحفُها، وثانية تُسرُّ لأنَّ هذه القوَّات توغَّلَت في أراضي الدَّولة المتخاصِمة معها!

فلماذا كلُّ هذا التَّطاحن والعَداء بين عربٍ مسلمين؟! أمَا كان الأحرى أن تُصرفَ هذه الطَّاقاتُ في استرداد فلسطين المغتصَبة؟!

إنَّه لشيء يؤلِم أشدَّ الألم، ويَبعَث على الأسى والحزن أن تكون فرحةُ الاستقلال والتخلُّص من نِير الاستعمار في المغرب العربيِّ حربًا يقتُل المرءُ فيها أخاه، ويعتدي الجار على جاره، ويقطع فيها القريبُ أواصرَ

(١) "اليمامة"، العدد (٤٣٠)، في ١٣/ ٦/ ١٣٨٣هـ.

القرابة.

وشيءٌ محزِن أن تُصبح اليمنُ مجزرةً رهيبةً بين إخوة اشتعلَت بينهم نيران الفِتنة، واشتدَّ ضِرامُها.

اربَؤوا على أنفسكم أيُّها العرب، ووفِّروا جهودَكم لرفع مستوى بلادكم، وتضميد جراحاتها الدَّامية، ومآسيها السَّالفة، واستعِدُّوا لقتال عدوِّكم الذي مزَّق الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة، والذي غَرَس شوكةً مسمومة في قلب بلادكم؛ هي الصِّهيَونيَّة المجرِمة.

إنَّ الاستعمار يَنظُر لكم في قِتال بعضِكم بعضًا في جَذَل وغِبطة، ويُسلِّط بعضَكم على بعض؛ لِتَكفُوه مُؤنةَ قتالكم، ولِيَسهُل عليه نهبُ ثروات بلادكم، واستعادةُ نفوذِه، والتَّمكين لدُويلة الصَّهاينة من الاستقرار والتوسُّع.

وإنَّ واجبكم أن تُفوِّتوا على العدوِّ الفرصةَ، فلا تدَعوا له منفَذًا بينكم، وأن تعودوا إلى صوابكم، وتنبِذوا الخلافاتِ التي تُضعِفكم وتُشتِّت شملَكم.

ومِن المآسي وقوعُ خلافاتٍ بين الفلسطينيِّين أنفسِهم؛ فالجامعةُ العربيَّة والشقيري في طَرَف، والهيئة العربيَّة العليا

ومؤيِّدوها في طَرَف آخر، والصِّراع يزداد ويَعنُف.

هذا في الوقت الذي تتعرَّض فيه قضيَّةُ فلسطين لأخطر المؤامرات، وتحاول الدُّولُ التي تَبني صرح إسرائيل فرضَ الصُّلح على العرب، وإهدارَ حقوق الفلسطينيِّين بتوطينهم في البلاد العربيَّة وأمريكا اللَّاتينيَّة، وإعطاء الفلسطينيِّين أو الحكومات المضيفة لهم تعويضاتٍ تافهة؛ لتُمحى قضيَّة فلسطين، ولتكون أندلسًا أخرى!

أيُّها العرب: كفى خصامًا وقتالًا، ووحِّدوا صفوفَكم، واستعدُّوا لمقابلة أعدائكم من الصَّهاينة والمستعمِرين، واصرفوا طاقاتِكم لِما هو أجدى وأنفَع، ومن الخير أن يمُدَّ العربُ أيديَهم إلى إخوانهم المسلمين في شتَّى أصقاع الأرض؛ ليكونوا يدًا واحدة، وقُوَّةً صامدة؛ فقد أعلنَها الصَّليبيُّون الحاقدون حربًا شعواءَ على العرب والمسلمين، ولن يَصمُدَ أمامهم إلَّا قوَّةٌ إسلاميَّة متَّحِدة، فهل يدرك المسلمون - زُعماءَ وشعوبًا - هذه الحقيقةَ، ويَعملون لِما تتطلَّبه مِن تعاون وبَذل، وتكتيلِ جهود؟! ذلك ما نرجوه.

وعد بلفور المنحوس[(١)]

كان يومُ السَّبت ١٥/ ٦/ ١٣٨٣هـ، اليوم الثَّاني من شهر تشرين الثَّاني (نوفمبر) موافقًا لوعد بلفور المشؤوم بإعطاء اليهود وطنًا قوميًّا في فلسطين؛ وذلك باتِّفاق بريطانيا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا، منذ ستَّة وأربعين عامًا.

فقد كتب بلفور وزير خارجيَّة بريطانيا إلى البارون روتشلد أحد زُعماء اليهود في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧م يقول: يسرُّني أن أبعثَ إليكم بالنِّيابة عن حكومة جلالة الملك بالتَّصريح التَّالي الذي ينِمُّ عن العطف على أماني اليهود الصِّهيَونيِّين، والذي رُفِع إلى الوزارة، ووافقَت عليه:

«إنَّ حكومة جلالة الملك تَنظُر بعين العطف إلى تأسيس وطنٍ قوميٍّ لليهود في فلسطين، وستَبذُل جهدَها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، مع البيان الجليِّ ألَّا يُفعَل شيءٌ يضرُّ الحقوقَ المدَنيَّة والدِّينيَّة التي تتمتَّع بها الطَّوائفُ غير

(١) "اليمامة"، العدد (٤٣١)، في ١٧/ ٦/ ١٣٨٣هـ.

اليهوديَّة المقيمة بفلسطين الآن، ولا الحقوق أو المركز السِّياسيَّ الذي يتمتَّع به اليهودُ في البُلدان الأخرى».

وقد أيَّدت الولاياتُ المتَّحدة الأمريكيَّة هذا التَّصريحَ قبل إعلانه، ببرقيَّة بعثَها الكولونيل هارس باسم رئيس الولايات المتَّحدة وُدرو ولسون إلى الوزارة البريطانيَّة في **١٦** تشرين الأوَّل (أكتوبر) **١٩١٧**، يُعلِمها فيها بموافقة الرَّئيس وحُكومته على نصِّ التَّصريح.

كما أيَّدَت فرنسا التَّصريحَ في **١٤** شُباط (فبراير) **١٩١٨**، وأيَّدته إيطاليا في **٩** أيار (مايو) عام **١٩١٨**.

وقد أرادَت هذه الدُّول اجتذابَ اليهود إلى جانبهم؛ ليكسبوا تأييدَهم الماديَّ والدِّعائي، وليقوموا بدور تخريبي، وخاصَّة في ألمانيا؛ لِتَرجَح كِفَّة الحُلفاء في الحرب.

وقد تواطأَت هذه الدُّول الاستعماريَّة مع الصَّهاينة على تحويل فلسطين إلى بلدٍ يهودي، ووضعَت بريطانيا وحلفاؤُها خُطَّةً لاحتلال فلسطين في أواخر عام **١٩١٧**، وفي **٢٢** تموز قرَّرَت عُصبة الأُمم وضعَ فلسطين تحتَ الانتداب البريطاني، وفرضَت على عرَب فلسطين صكَّ

الانتداب فرضًا، وعَمِلت بريطانيا زمنَ الانتداب على فتح فلسطين أمامَ النَّازحين اليهود، وشجَّعَتهم على الذَّهاب إلى فلسطين، والاستقرار فيها، وتزويدهم بالسِّلاح ووسائل القوَّة.

وبالعكس من ذلك معاملتها للعرب، حيث عمِلَت على تَشتيتهم وإضعافهم، ولم يتغيَّر موقفُ بريطانيا من إسرائيل حتَّى اليوم.

وما يزال مليون لاجئ فلسطيني يَعيشون مشرَّدين عن بلادهم بسبب الطُّغيان الاستعماري، والمؤامرات الصِّهيَونيَّة، واختلاف الزُّعماء العرب والمسلمين، وما فَتِئ الأُخطُبوطُ الصِّهيَونيُّ يتَمادى في عدوانه وتوسُّعه، على حساب البلاد العربيَّة، ويعمل لتحويل مياه نهر الأردنِّ إلى النَّقَب؛ ليستقدمَ الملايين من الصَّهاينة، وما بَرِحَت دولٌ معيَّنة تسير بلا تعقُّل في تأييد إسرائيل، وتزويدها بالسِّلاح والقروض والمعونات، والوقوف إلى جانبها في المجالات السِّياسيَّة والدَّوليَّة، وتُنادِي بِمُناصَرتها وحمايتها.

وإنَّ من واجب المسلمين أن يغيِّروا من أسلوبهم في معالجة قضيَّة (فلسطين)، وأن يُدركوا أنَّه لن يَفُلَّ الحديدَ

إلَّا الحديدُ، وأنَّ إعداد الفلسطينيِّين لخوض المعركة وتسليحهم، هما أوَّل واجبات الدُّول العربيَّة والإسلاميَّة.

وينبغي أن تُعطى الفرصة للفلسطينيِّين لإجراء انتخابات، يكون من نتيجتها تشكيلُ حكومة فلسطينيَّة في المنفَى، وإمدادُهم بالمال والسِّلاح، والدِّعاية لقضيَّة فلسطين بواسطة أجهزة الإعلام العربيَّة، وفي المَحافل الدَّوليَّة، والمجتمعات السِّياسيَّة، وخَوض المعركة إلى جانبهم بعدَ أن يكونوا طليعةَ الزَّحف، ورُوَّادَ الاسترجاع لحقِّهمُ السَّليب.

ولا شكَّ أنَّ المسلمين، قد استفادوا عِبرًا من الماضي، ومن واجبهم تلافي الأخطاء التي أدَّت إلى ضَياع فلسطين، ثمَّ إلى هزيمة الجيوش العربيَّة في الحرب الفلسطينيَّة، وأهمُّ تلك الأخطاء حُسن الظَّنِّ بالإنكليز والأمريكان، وظنُّهم أنَّ الحلفاء سوف يُقدِّرون للعرب موقفَهم! ولا يَطعَنونهم من الخلف!

وهناك أوضاعٌ قد تغيَّرت في العالَم الإسلاميِّ بعدَ حرب فلسطين، سوف تُساعد على ردِّ العدوان الصِّهيَوني، والمؤامرات الاستعماريَّة.

وهنا وعيٌ سيكون له أثر فعَّال في إحباط مؤامرات الصَّهاينة وأنصارهم، إذا ما أحسَن المسلمون الاستفادةَ من قوَّتهم المادِّية والمعنويَّة، ووحَّدوا صفوفَهم، وأفهموا المستعمِرين أن لا مُهادنة، ولا استغفال بعدَ اليوم.

إنَّ المشرَّدين والأطفالَ والثَّكالى، والشُّيوخَ والعاجزين يَستصرخون بكم أيُّها المسلمون، ويُشهِدون العالَمَ على مأساة إنسانيَّة، وكارثة فظيعة، تمثِّل العدوان في أبشع صُورِه، والجريمةَ في أقبَح مَظاهرها، والمؤامرةَ في أعتَى طُغيانها، فهل تَهبُّون لنجدة فلسطين؛ لتُعيدوا الحقَّ إلى أهله، ولتطهِّروا الأرض المباركة من حُثالات البشر، ورمز الشَّرِّ والعدوان؟!

عسى أن يكون قريبًا!

لماذا العويل؟![(1)]

الاغتيال أسلوبٌ قَذِر[(2)]، والاغتيالاتُ السِّياسيَّة تدلُّ على انحطاطٍ وتدَهوُر؛ ولذا فإنَّ عقلاء العالَم بجميع طبقاته يستنكِرون الاغتيالاتِ، ويَمقُتونها أشدَّ المقت.

وقد أسِف العالَم للاعتداء على جون كِندي رئيس الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة؛ ذلك الاعتداء الذي أودَى بحياته، وأعرَب عن اشمئزازه بصورٍ شتَّى.

والعالَم العربيُّ أبدى شعورًا نبيلًا، وإن كانت بعض الدُّول العربيَّة قد أسرفَت في الحزن، حتَّى صار موقفُها مضحِكًا - وشرُّ البليَّة ما يُضحِك - فأعلنَت الحِداد، وتنكيسَ الأعلام، والرِّثاء الفاجع، وتفتيتَ الكبد حسَرات، وإقامةَ المَأتَم والمَناحات!

ولسنا ندري هل دافِعُ ذلك لهيبُ العواطف التي تُنسي العقلَ أحيانًا؟! أو هو الذَّكاء الخارِق الذي أدركَ عمقَ

(١) "اليمامة"، العدد (٤٣٧)، في ٩/ ٧/ ١٣٨٣هـ.
(٢) وقتل كعب بن الأشرف لأنَّه في حالة حرب مع المسلمين.

المحبَّة التي يُوليها المستر كندي للشَّعب العربيِّ والإسلامي، وتَفانيَه في الدِّفاع عن حقوق المسلمين العرب؛ في فلسطين وكشمير، والصُّومال في أجزائها المبعثَرة، وعُمان... وغيرها؛ كما هو غير معلوم، ولا مفهوم؟!

أو أنَّه التَّقليد للدُّول الكبرى؟!

فإذا كان الأمريكيُّون يَنوحون فلا بدَّ من النِّياحة! وإذا كان الإنكليز واجِمين للحادث فعلى طريقتهم يَسير التَّابعون؛ كعادة تقليد القويِّ وإمَّعة الضَّعيف!

لقد كان الأجدرُ ألَّا نُفرط في البكاء والنُّواح، ولكن لِنأخُذِ العِبرة، ونَذكُر للرَّجل أعمالَه ومَواقفَه، سواءٌ مع العرب أو ضدَّهم؟

ولقد كان حريًّا بالعالَم الإسلاميِّ والعربيِّ أن يفكِّر في مدى نتيجة الحادث بالنِّسبة لقضاياه التي لا تَزال جروحًا دامية، وأن يَنظر بجِدٍّ لحلِّ مَشاكله، وخاصَّةً فلسطين؛ فقد كانت فرصةً مناسِبة ونادرةً أن يُجهِزوا على رَكيزة الاستعمار إسرائيل، ولا سيَّما وقضيَّة فلسطين تُناقَش هذه الأيَّامَ في هيئة الأمم، وأنَّ رئيس وفد فلسطين قد هدَّد

بعودة الفلسطينيِّين إلى بلادهم بالقوَّة بعد أن رفضَت إسرائيلُ عودتهم، وضربَت بقرارات الأمم المتَّحدة عُرْضَ الحائط.

لقد كان من المنتظَر أن يفكِّر العرب والمسلمون بمثل هذه الأشياء، وأن يُعِدُّوا العُدَّة لها، ومدى ارتباط قضاياهم بأمثال هذه الحوادث، لا أن يَشغَلوا أنفسَهم بالعويل والصُّراخ، وذَرف الدُّموع!

وللحقيقة والتَّاريخ نقول: إنَّ جون كندي لا يَخفى عطفُه على الصِّهيَونية، ومدُّها بالسِّلاحِ والعَتاد والحماية، وإصدار الوعود والتَّعهُّدات لصالح اليهود، وإرسال الوفود والمندوبين للضَّغط على العرب، فلماذا ننسى كلَّ ذلك؟!

ثمَّ يبدو البعضُ من العرَب الذين لا ناقةَ لهم ولا جملَ في الحادث في صورة مُضحِكة، يلطِمون الخدود، ويشقُّون الجيوبَ، من أجل ماذا؟ من أجل أنَّ رئيس دولةٍ كبرى قد مات، حتَّى ولو كان صديقَ عدوِّهم الحميم؟! وحتى لو أنَّهم ليس لهم لا في العِير ولا في النَّفير؟!

ثم أليس هذا البعضُ هو الجديرَ بأن يُبكى عليه، وتُعمَل فيه المراثي؛ لأنَّه هو الفقيدُ حقيقة؟!

ما هو السِّر؟![1]

اغتِيلَ جون كِندي رئيس الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وهُدِّد خَلَفُه بالقتل، وأُنذِر شقيقُه المدَّعي العامُّ الأمريكيُّ بأنه سيَلقى نفس مَصير أخيه، وهُدِّدت مَلكة بريطانيا بالقتل، وهُدِّد رئيس وزراء السُّويد، ورئيسُ وزراء تركيا الذي استقال منذ أيَّام... وهكذا تتوالى التَّهديدات على الرُّؤساء في هذه الأيَّام بشكل يدعو للاستغراب، ويُلحُّ في معرفة السرِّ الكامن وراءَ هذه الأعمال الهمجيَّة.

وتكثر التَّخيُّلات والاستنتاجات، ومع ذلك فإنَّ الأمر يدعو إلى مُضاعَفة الجهود لمعرفة مصدَر هذه التَّهديدات، والهدف منها.

لقد قيل: إنَّ الشَّخص الذي هدَّد الرئيس الأمريكيَّ الجديد مجنون، ولكن لا يمكن أن تكون البقيَّةُ بهذا المستوى! والتَّحقيق الذي أجراه بوليس دالس بولاية تكساس عن مصرع كندي كان باعثًا للرِّيبة في التَّواطؤ،

(١) "اليمامة"، العدد (٤٤٠)، في ١٩/ ٧/ ١٣٨٣هـ.

وقاتل أوزوالد يهوديٌّ لا يزال التَّحقيقُ جاريًا معه! والقرائن تدلُّ على أنَّه أراد إخفاءَ معالِم الجريمة، وتمييعَ القضيَّة بموت أوزوالد!

والصِّهيَونيَّة ليس بمستبعَد منها أن تَعمل هذه الأعمالَ الشَّنيعة لأغراض سياسيَّة أو اقتصاديَّة؛ فمَقتل برنادوت وسيط الأمم المتَّحِدة، وخطف إيخمان من الأرجنتين يعرفهما الجميع، وهتلر الذي لَمَس تخريبَ اليهود في بلاده، وفي العالَم أجمع، وأدركَ مؤامراتِهم الشرِّيرة، وأساليبَهم الشَّيطانيَّة، ووسائلَهم المنحطَّة، أراد أن يُخلِّص ألمانيا والعالَم أجمع من شرِّهم ولؤمهم، وتحدَّث عنهم في كتابه "كفاحي" بما لا يحتاج معه إلى مزيدٍ من الإيضاح.

و"بروتوكولات حُكَماء صِهيَون" ناطقةٌ بنوايا اليهود الخبيثة، وما يُبيِّتونه من تدمير للعالَم، وهدم له؛ من أجل الوصول إلى مَقاصدهم بأيِّ وسيلة؛ تبعًا للسِّياسة الميكافيليَّة، وجريمتهم المُشاهَدة للعِيان في تشريد مليون لاجئ، والمذابح الجماعيَّة في دير ياسين وشرم الشَّيخ وغيرهما، تكفي للحُكم عليهم بأنَّهم لا يتورَّعون عن

ارتكاب أفظعِ الجرائم وألأَمِها.

وهذه وأشباهها - قد تُلقي الضَّوء على عصابات التَّهديد والاغتيال للزُّعماء، وليس بمستبعَد أن تكون الصِّهيَونيَّة العالميَّة هي التي تَحيك خيوطَ هذه المؤامرة الدَّنيئة؛ لنَيل غرضها السِّياسيِّ والاقتصادي، ولإشاعة الذُّعر والفزع في صفوف مَن لا يخضع لمطالبهم وعدوانهم، ولجرِّ العالَم إلى حافَة الحرب؛ لتحقيق مطامعهم السِّياسيَّة والاقتصاديَّة.

إنَّ على العالم مسؤوليَّةً جسيمةً في مُلاحقة هذه العصابات، وكشف أسرارها من أجل الإنسانيَّة والعدالة، وإنَّ على الدُّول التي تحسن الظنَّ بإسرائيل وبالصِّهيَونيَّة أن تفكِّر مليًّا في هذه الدُّويلة النَّشاز - دويلة الصَّهاينة المعتدية - قبل أن تحرِق العالَم بمكرها وغَدرها، فهل يفعلون؟!

ماذا وراء اغتيال كِندي؟[1]

أعرَب الزُّعماءُ العرب، والصِّحافة العربيَّة عن استنكارها لاغتيال روبرت كندي، وهذا الاستنكار هو ما تَقتضيه العقيدةُ التي يؤمنون بها كمُسلمين، وما هو معلومٌ عن العرب من شَهامة وإباء.

وإذا كان القاتل واسمه سرحان بشارة سرحان من أصلٍ فلسطيني، ويُقيم في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة منذ عشر سنوات، فإنَّ من السَّابق لأوانه الحديثَ عن الدَّوافع، وهل أنَّ هناك مؤامرة من الشُّيوعيِّين أو الصِّهيَونيِّين، أم أنَّ التَّهوُّر وفوران الدَّم هما اللَّذان حمَلا القاتلَ على ارتكاب جريمته دون أن يكون وراءَه مؤامرةٌ ما برِحَت طيَّ الكتمان ذات صلة بمقتل جون كندي مَثلًا؟

والمهمُّ الآن هو أخذ الدُّروس من هذا الحادث، وأن

(١) "الدعوة"، العدد (١٥٦)، في ١٤/ ٣/ ١٣٨٨هـ.
التزمنا في هذا الكتاب تقديمَ المواضيع حسَب تاريخ نشرها في الصحف والمجلات أو على حسَب كتابتها، وقد اضطُررنا إلى مخالفة هذا الترتيب بالنسبة لهذا المقال؛ لارتباط موضوعه بموضوع مقتل جون كندي.

تنشَط أجهزة الإعلام الإسلاميِّ لإفهام الرَّأي العامِّ العالميِّ خطرَ الصِّهيَونيَّة، وزجِّها لساسة الولايات المتَّحدة وغيرها في تأييد عُدوانها على العرَب، وعلى المسجد الأقصى، وأنَّ الاندفاعَ مع اليهود سيجُرُّ العالمَ إلى كارثة لا يعلَم مدى نهايتها إلَّا الله، وأنَّه قد آن الأوان لكي يفهمَ العالمُ حقيقة إسرائيل، وأهدافها المدمِّرة، وخُططها الشرِّيرة، وأنَّ المسلمين لا يريدون من زعماء الغرب ومفكِّريه أن ينحازوا إلى جانب العرب، وإنَّما يطلبون الحِياد؛ فلا يؤيِّدون اليهود على حساب العرب، ولا يشجِّعون إسرائيل على أن تتمادى في طغيانها واستخفافها بالحقِّ، وسُخريتها بهيئة الأمم ومجلس الأمن.

ولا ننسى أن نطلُبَ من زعماء أمريكا الكفَّ عن المُتاجَرة بقضيَّة فلسطين، والتودُّد إلى اليهود بتقديم المساعدات العسكريَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، وإطلاق التَّصريحات المنحازَة بصورة مكشوفة، وغير مهذَّبة إلى اليهود.

لقد اعتاد ساسةُ أمريكا أن يَندفِعوا بحماس في هذا السَّبيل، ولا سيَّما في إبَّان الانتخابات؛ لكَسب أصوات

اليهود، وقد أسقَطوا من حسابهم مشاعرَ العرب، وعدالةَ قضاياهم، بل لقد خُيِّل إليهم أنَّ العرب لا يستحقُّون أيَّ نظر أو اعتبار، والمهمُّ في رأيهم هو إرضاء الصِّهيَونيَّة العالميَّة، والظَّفَر بوُدِّها.

ومن هؤلاء: السِّناتور روبرت كندي؛ الذي ردَّد كثيرًا عطفَه على اليهود، ومُجاراتَه لأهوائهم، وهو يعرف القضيَّة الفلسطينيَّة، ويُدرِك ما لَحِقَ بالعرب من ظُلم صارخ؛ فقد كان مُراسِلًا لإحدى الصُّحف الأمريكيَّة في فلسطين (سنة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٨) زمنَ الحرب بين العرب واليهود، ونادَى أخيرًا بتزويد إسرائيل بطائرات فانتوم!

وليس صحيحًا أنَّ روبرت كندي لم يكن يهتمُّ بإسرائيل، وأنَّه إنَّما يُدلي بتصريحات عابرة حين الانتخابات؛ فقد سبَق له أن قال في بيانٍ قدَّمه إلى لجنة الشُّؤون العامَّة الأمريكيَّة الإسرائيليَّة في (نيسان ١٩٦٨) ما نصُّه:

«إنَّ لإسرائيلَ الحقَّ بالوجود، والحقَّ بحماية نفسها، لقد أكَّدنا في الماضي، ويجب أن نُواصل التأكيدَ بأنَّ وجود إسرائيل مضمون، وأنَّها لن تموت، وأنَّها لن

تتعرَّض للاحتلال، وأنَّ الولاياتِ المتَّحدةَ الأمريكيَّة ستتَّخِذ جميعَ الخُطوات اللَّازمة للمحافظة على كيانها».

وفي بيان روبرت هذا مطالَبةٌ بإجراء مفاوضاتٍ مباشِرة بين العرب وإسرائيل.

وكنَّا نتمنَّى لو أنَّ السِّناتور وأشباهَه قد أعلَنوا حِرْصهم على صِيانة البُلدان العربيَّة من اعتداءات اليهود، أو إجبار اليهود على الانسحاب من الأراضي التي احتلُّوها منذ سَنة، أو منذ عشرين سَنة، ولكن ذلك لم يكن يَعنيهم في قليلٍ أو كثير!

وكما قلتُ من قبل: فلَسنا ممَّن يرضى بالقتل غِيلةً وغدرًا، وحتَّى للخصوم وذَوي الميول الانحيازيَّة، ولن نَشمت بمقتول؛ فما في الموت شماتة:

ومَن لَم يَمُت بالسَّيف ماتَ بغَيرِهِ
تَعدَّدتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ

وحتى بالنِّسبة لِمَن يَعتبر الضِّيافةَ العربيَّة، والكرم العربيَّ قهوةً مُرَّةَ المذاق يأسَف لتناوُلها، فإنَّ ما ينبغي أن يُدرِكه ساسةُ الغرب: أنَّ انسياقهم مع إسرائيل قد تجاوز

كلَّ حدٍّ، وأنَّه يؤدِّي إلى مَخاطرَ وكوارث، وأنَّ على وسائل الإعلام العربيِّ والإسلاميِّ ألَّا تدَع الميدان خاليًا للصِّهيَونيَّة لتنفثَ سمومها ومُغالطتَها.

إنَّ وسائل الإعلام في العالم الإسلاميِّ متخلِّفة كثيرًا! وعليها أن تنشَط، وأن تكون على مستوى المسؤوليَّة وخطورة القضيَّة.

وعاشت أمَّة الإسلام عزيزةً كريمة.

قضيَّة فلسطين[١]

أشياء كثيرة في الأسبوع الماضي تستوجِب الكتابةَ، وتستحقُّ التَّعليق عليها؛ لأنَّها أحداثٌ لها أهميَّتها وخطرها.

فهناك ذِكرى مرور خمسةَ عشَر عامًا على إعلان حقوق الإنسان في أن يَعيش حرًّا كريمًا آمنًا على نفسه وماله، وعِرضه ومعتقَدِه.

وإن كنَّا ما نزال نرى دولًا ما فتِئَت تَستعمر شعوبًا وبلادًا أخرى، ونرى بعضَ الدُّول ما برِحَت تُمارس التَّفرِقة العنصريَّة، وفي الكتلة الشُّيوعيَّة يُلاقي المسلمون وذَوو المعتقَدات الأخرى - ما عدا المعتقَد الشُّيوعيَّ - الاضطهادَ الوحشيَّ، وهناك أناس شُرِّدوا من ديارهم بغير حقٍّ، وحلَّت محلَّهم عصاباتُ الصِّهيَونيَّة يؤازرها الاستعمار الغربي.

كلُّ ذلك برغم حقوق الإنسان، ومواثيق الأمم

(١) "اليمامة"، العدد (٤٤٣)، في ٣٠/ ٧/ ١٣٨٣هـ.

المتَّحدة، والشَّرائع والقوانين!

ومِن أحداث الأسبوع الماضي اجتماعُ رؤساء أركان حرب الجيوش العربيَّة، والذي نوَدُّ أن نعلِّق عليه هو أنَّه إن كان من جِنس الاجتماعات المتكرِّرة في الجامعة العربيَّة، سواء أكان على مستوًى اقتصادي، أو سياسيٍّ أو عسكري، فلن يزيدَ عن كونه نُزهةً غير لطيفة، وفُرجةً غير محمودة، وعَدمُه خيرٌ من وجوده.

أمَّا إن كان فيه تخطيطٌ وتصميم على إنقاذ فلسطين من المغتصبِين اليهود، وتطهير أرض مقدَّسة من رِجس أثيم، وغَسلٌ لعارٍ لُطِّخ به تاريخ العرب، فحَيَّهلا به من مؤتمر!

فلقد تعِبنا من الكلام عن فِلسطين والمؤتمرات والخُطب، وبقي أن ننتَظر عملًا جديًّا حاسمًا، فهل يتحقَّق ذلك؟

وفي الأسبوع الماضي حصل حادثٌ مفتَعَل هو استقالة عُضو الشَّركة البريطانيَّة للتَّأمين (مانكروفت) بضغط العرب في المقاطعة الاقتصاديَّة العربيَّة المضروبة على إسرائيل والشَّركات المتعاونة معها؛ بسبب ميوله الصِّهيَونيَّة.

وقد عمِلَت الصِّهيَونيَّة على إثارة ضجَّة كبرى في بريطانيا، وصوَّرَته بحادث جَلَل، ونريد أن نُطمئن الصِّهيَونيَّة وبريطانيا معها بأنَّ المقاطعة العربيَّة ستستمرُّ لإسرائيل كخطوةٍ أولى، وأنَّ الخطوة التالية هي تخليص فلسطين من شرورها، وإعادة الحقِّ السَّليب إلى أهله، فمن رضي، وإلَّا فليفعل ما يشاء.

وإنَّ أيَّ ضغط - مهما كان نوعه - لن يؤثِّر على هذه السِّياسة التي يقتنع بها العرب، وينهجونها حسبَ إرادة شعوبهم وتصميمهم عليها.

وهناك حَدَثٌ لا بدَّ وأن يثير الانتباهَ؛ ألا وهو طلب المُلَّا البرزاني الاستسلام، وهذا ممَّا سيساعد العراق على الاستقرار والهدوء.

وهناك في المغرب بوادرُ تقاربٍ بين دول المغرب العربي الثَّلاث، إنَّ هذه الأحداث على ما يظهر بينها من تباعد، إلَّا أنَّها تشكِّل حلقةً واحدة بالنِّسبة لقضيَّة فلسطين؛ فهناك اجتماعات تبحث في قضيَّة تحويل مجرى نهر الأردنِّ، وهناك اجتماعات تُعقد من أجل هذه القضيَّة بالذَّات من جانب رؤساء أركان حرب الجيوش العربيَّة،

وهناك ضغط من الصِّهيَونيَّة والاستعمار لتصفية هذه القضيَّة، وهناك بوادرُ استقرار في العالَم العربيِّ تساعد على الوقوف صفًّا واحدًا تُجاهَ هذه المسألة التي هي مسألة حياة أو موت بالنِّسبة للعرب والمسلمين، وهناك حقوقُ الإنسان التي يعترف بها العالَم أجمعُ، ولم تُنتهك هذه الحقوق في قضيَّة مثلَ انتهاكها من قِبَل الصَّهاينة ومَن يؤيِّدها في عدوانها الغاشم.

إنَّنا نترقَّب عملًا جادًّا من لَدُن العرب والمسلمين، يَخرج من نطاق التَّصريحات والاجتماعات والخُطب إلى حيِّز التَّنفيذ، وعالَم الواقع.

هكذا تُحرَّر فلسطين[(١)]

الدَّعوةُ التي وجَّهها الرَّئيس جمال عبد النَّاصر في الاحتفال بيوم النَّصر لملوك ورؤساء الدُّول العربيَّة؛ للاجتماع من أجل البحث في قضيَّة فلسطين، وتحويل إسرائيل لمَجرى نهر الأردنِّ - كانت أمرًا لا مناصَ منه، بل كان من المفروض أن يكون مثلُ هذا الاجتماع قبلَ هذا الوقت بكثير؛ بسبب الأخطار التي تهدِّد العرب، ولا سيَّما من ناحية المطامع الصِّهيَونيَّة التي تقف وراءها دولُ الاستعمار، وهذه الأخطار كانت قائمةً منذ زمن طويل، وفي كلِّ يوم يزداد خطرُها، ويتفاقم شرُّها.

ولقد عوَّدَتنا الأيَّامُ أنَّ سياسة المُهادَنة والضَّعف، وانتظار الإنصاف من حُماة الاستعمار وأنصار الصِّهيَونيَّة عبثٌ فارغ، ووَهمٌ قاتل، كم تجرَّع المسلمون منه كؤوسًا مريرة المَذاق، وخيمةَ العاقبة!

إنَّ المسلمين في كلِّ موقف يَصمُدون فيه يتجلَّى لهم

(١) "اليمامة"، العدد (٤٤٧)، في ١٤/ ٨/ ١٣٨٣هـ.

الطَّريقُ اللَّاحِب، ويَحصُلون على مكاسبَ كبيرة، رغم الصُّعوبات التي تعترض طريقَهم، وضعف الإمكانات التي كانت لديهم في كثير من الأحيان، وهم اليوم أصلبُ عودًا، وأقوى شكيمة، وأكثر وعيًا واستجابةً لنداء الحقِّ والضَّمير، وغسل عار الذلِّ والنَّكسات السَّالفة.

ومِن ثَمَّ فإنَّ واجبَ الحكومات والمسؤولين في هذه الظُّروف الدَّقيقة مسؤوليَّةٌ جسيمة، سوف تَكتُب لهم صفحاتٍ مضيئةً إذا ما أدَّوُا الواجبَ بأمانةٍ وإخلاص، وكانوا على مستوى المسؤوليَّة المُناطَة بهم.

وسوف تكون بعكس ذلك فيما لو تقاعَسوا عن أداء المهمَّة الخطيرة، إمَّا لضعفٍ أو خيانة، وسوف يرتكبون جريمةً فظيعة لن تَغفِرها لهم الأمَّةُ جمعاء، ونحن اليوم نقف على مفترق الطُّرُق، ومِن واجب المسؤولين أن يَعملوا بجِدٍّ، وأن يَرسُموا مخطَّطًا سليمًا، ثمَّ يُنفِّذوه بصِدق وشجاعة.

ولا بدَّ من تحقيق هذه الأعمال؛ تمهيدًا للوصول إلى تحرير فلسطين، ولضمان نجاح الخُطَّة:

١- وقفُ الحملات الدِّعائيَّة ضدَّ الدُّول العربيَّة بعضها

البعض.

٢- سحب القوَّات غير اليمنيَّة التي تحارِب في اليمن، وعدم التدخُّل في شؤون اليمن الدَّاخليَّة، وترك اليمنيِّين يُقرِّرون حكومتهم بأنفسهم، ويختارون نوع الحُكم الذي يريدونه، ووَقف جميعِ المساعدات العسكريَّة والدِّعائيَّة عن جميع الأطراف المتنازِعة في اليمن، ويُوكل الإشراف على إجراء انتخابات في اليمن بواسطة هيئة الأُمم.

٣- سحبُ القوَّات الدَّوليَّة المرابِطة في صحراء سَيناء؛ حتَّى لا تكون درعًا يَحمي إسرائيل.

٤- سدُّ خليج العقبة في وجه السُّفن الإسرائيليَّة، ومَنع وصول أيِّ إمداداتٍ لها، وأيِّ سفن - مِن أيِّ نوع كان - عن المرور في خليج العقَبة.

٥- اتِّخاذ خطوة موحَّدة؛ لإفهام الدُّول الضَّالعة مع الصِّهيَونيَّة أنَّ أيَّ عمل عَدائيٍّ تتَّخذه لصالح إسرائيل يُعدُّ اعتداءً صارخًا على حقوق العرب وحرِّيتهم، وأنَّه سيُعرِّض مصالح هذه الدُّول للضَّرر البالغ.

٦- اتِّخاذ خُطَّة إسلاميَّة موحَّدة تجاهَ قضيَّة فلسطين،

والقضايا الإسلاميَّة الأخرى.

٧- إحلال الثِّقة محلَّ الشكِّ بين الدُّول الإسلاميَّة، وعدم الاستماع لدسِّ المستعمِرين الصِّهيَونيِّين.

٨- إبراز الكِيان الفلسطيني، وتدريب الفلسطينيِّين على الأسلحة، ووَضعهم في طليعة الصُّفوف؛ لتحرير فلسطين، وتطهيرها من رِجس الصَّهاينة.

إنَّ هذه الأعمالَ التَّمهيديَّة لا مندوحةَ منها إذا ما أُريدَ لقضيَّة فلسطين النَّجاح، وهي في رأينا الدِّعامات المتينة لسَحق الصِّهيَونيَّة في أيَّة حَرب قادمة، وليس تحقيقُ هذه الأعمال بصعب ولا متعذِّر، وكلُّ ما تتطلَّبه هو حسنُ النِّية، والتصميم على العمل الجادِّ.

أمَّا مجرَّد الكلام، والخُطب والهدير، فقد سَئِمها النَّاس، وأصبحَت ورَقة خاسرة، وأسلوبًا ممجوجًا، وكفانَا عِبرًا بالماضي، وما جرَّه الكسل والخمول والتشتُّت من نكباتٍ ومَصائب!

وفَّق الله الأمَّة الإسلاميَّة إلى ما فيه المَجد، والعزُّ والازدهار.

الحلُّ العمليُّ لقضيَّة فلسطين[1]

اليومَ يجتمع ملوكُ ورؤساء الدُّول العربيَّة في القاهرة لبحث تحويل إسرائيل مجرى نهر الأردنِّ بصفة خاصَّة، وقضيَّة فلسطين بصفة عامَّة على ما نعتقد.

وهذا حَدَثٌ له أهمِّيته، ونتائجه.

وعندما يجتمع هؤلاء الملوكُ والرُّؤساء العرب، فلا نظنُّ أنَّ أحاديثهم ستنصرف إلى الماضي، وإلقاء التَّبِعات؛ فذلك ما لا تُريده الشُّعوب العربيَّة، وما لا ينسَجِم وخطورةَ الموقف، ولكن الذي يتوقَّعه الجميع أنَّ المناقشاتِ ستتركَّز على ما يجب عملُه لتلقين الصِّهيَونيَّة درسًا لا تنساه، ولصدِّ العُدوان اليهوديِّ الزَّاحف، واستعادة الأرض المغتصَبة.

إنَّ إسرائيل قد رسَمَت مخطَّطاتِها؛ لكي تستَجلِب الملايينَ من اليهود المشتَّتين في أنحاءِ العالَم، ورُقعة الأراضي التي اغتصبَتها لا تستوعب اليهود، وهي في هذه

(١) "اليمامة"، العدد (٤٥١)، في ٢٨/ ٨/ ١٣٨٣هـ.

الحال ستَعتدي على أراضي الدُّول العربيَّة المجاورة حتمًا، ولن تَقنَع بما اغتصبَته، وكلُّ يوم يمرُّ دون أن يحزم المسلمون أمرَهم للتخلُّص من هذا الخطر الصِّهيَوني، ويقابلوا دُويلةَ العصابات بالقوَّة، فإنَّه يُتيح الفرصةَ لإسرائيل لتتركَّز، وتَقوى على حساب العرب.

إنَّ الأمر يقتضي الاستعدادَ والجدِّية اللَّائقَين بعِظَم المسؤوليَّة وجَسامتها.

إنَّ الشُّعوب تريد من حكَّامها في هذه الظُّروف أن يكونوا معبِّرين عن آمالهم وآلامهم، وأن يعمَلوا ما تقتضيه الحالُ من حزم وتهيُّؤ.

يريدون نشاطًا سياسيًّا واقتصاديًّا وتأهُّبًا عسكريًّا، وتدريبًا شاملًا على مختلِف الأسلحة؛ ليكونوا على مستوى الأحداث؛ فإسرائيل تعمل للتَّجنيد الإجباريِّ الشَّامل منذ سنين، وبقي أن نَعمل نحن بالمِثل.

وإذا كانت الصِّهيَونيَّة العالميَّة قد جعلَت من وسائل الأعلام لديها قوَّةً هائلة، بل وتكاد تكون وسائل الإعلام في الدُّول الأوروبيَّة والأمريكيَّة أدواتٍ ناطقةً باسمها، فيجب أن تقوم الدُّولُ العربيَّة بنشاطٍ ملحوظ في هذا

الصَّدد، وأن تنشُرَ وجهاتِ نظَرها وحقائقَ الوضع في فلسطين على الرَّأي العامِّ العالميِّ بصورة واضحة.

إنَّ المسألة ليسَت في اجتماع يُعقَد، وقراراتٍ تَصدُر وخُطبٍ تُلقى، ولكنَّه في استعدادٍ وتهيُّؤ وتنفيذ، إنَّنا نتمنَّى مع ملايين المسلمين أن يوفِّق الله قادةَ وشعوبَ العالم الإسلاميِّ للاعتبار، وتلافي الأخطار، وحَزْم الأمر، والتنفيذ العاجِل، حتَّى يُعيدوا للأمَّة مجدَها وكرامتَها.

ونذكِّر مرَّة أخرى أنَّ كلَّ يوم يمرُّ دون ردِّ الاعتداء الصِّهيَوني هو في صالح الصِّهيَونيَّة، وازديادٌ لخطرها على الأمَّة الإسلاميَّة والعربيَّة.

وبعدُ، فالكلُّ يترقَّب ماذا ستكون النَّتيجة من مؤتمر القاهرة، وعسى أن يكونَ على مستوى الأحداث وأهمِّيتها، وإنَّا لمنتظرون!

المقاطعة الاقتصاديَّة سلاح فتَّاك[(١)]

يمكن القول: إنَّ قضيَّة فلسطين منذ النَّكبة لَم تحظَ بالاهتمام والجِديَّة، رغم ما كُتب عنها وما أُرسِلَ فيها من بليغ الخُطب والتَّهديد، إلَّا أنَّه بعدَ مؤتمر ملوك ورؤساء الدُّول العربيَّة في القاهرة؛ لبَحث تحويل مجرى نهر الأردنِّ قد دخلَت هذه القضيَّة في دور جديد، وإنَّ الأمل قد قوِيَ في نفوس الفلسطينيِّين خاصَّة، والعرب عامَّة، ولقد كانت صدمةً للدُّول الاستعماريَّة وللصِّهيَونيَّة العالميَّة؛ فقد طالَما بذَروا بذورَ الخلاف والفُرقة، وسعَوا بكلِّ جهد لإضعاف المسلمين في شتَّى أقطارهم، وظنُّوا - إثمًا - أنَّه لا تلاقيَ بين زعمائهم ولا مصافاة، ولكنَّه مهما يكن بين الزُّعماء، وحتَّى بين الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة من خلاف في الرَّأي والاتِّجاه، فإنَّ قضيَّة فلسطين مُتَّفَق عليها بينهم.

ولم يُطقِ الاستعماريُّون - الأصليُّون والجُدد - السُّكوت؛ فقد أبرَزوا نواياهم، وصاروا يُصرِّحون ويهدِّدون، ويُعلِنون عطفَهم وحمايتهم لدُويلة العصابات،

---

(١) "اليمامة"، العدد (٤٦٠)، في ٨/ ١٠/ ١٣٨٣هـ.

وهم في الحقيقة لم يَأتوا بجديد؛ فلم يكنِ العرب ينتظرون إطلاقًا من هذه الدُّول أن ترحِّب باجتماع العرب، أو العمل لتخليص فلسطين من شرور الصَّهاينة وعُدوانهم.

وقد ردَّ العرب على التَّصريحات والتَّهديدات بأنَّ ذلك لن يفُتَّ في عضُدِهم.

ونقول: إنَّ هذه الدُّول الاستعماريَّة - ولا سيَّما بريطانيا - لن تَقنَع بالحُجج المنطقيَّة، والبراهين الواضحة على صحَّة حقوق العرب في فلسطين، وهي الدَّولة التي عمِلَت على ترسيخ أقدام الصَّهاينة، وبذلَت لهم شتَّى المساعدات، وهي التي مزَّقت البلاد الإسلاميَّة، وأذاقتها صنوفًا من الطُّغيان الاستعماري، والمكر السِّياسي.

ولكن الذي يُقنعها هو الردُّ العمليُّ بالوسائل المشروعة.

إنَّ المقاطعة الاقتصاديَّة مثلًا يمكن أن تُعيد لساسة بريطانيا - الدَّولة التِّجاريَّة - صوابَهم، فلا يندفعون في سياستهم الخاطئة في تأييد الصَّهاينة ضدَّ شعب فلسطين الذي شرَّده المعتدون.

إنَّ الدُّول العربيَّة لو استعملَت هذا الحقَّ، وقاطعَتِ البضائع البريطانيَّة، والمنتجات الإنكليزيَّة بتاتًا لأثَّرت تأثيرًا كبيرًا على أسواق بريطانيا وتجارتها، ولا سيَّما إذا انضمَّت إلى الدُّول العربيَّة بقيَّةُ الدُّول الإسلاميَّة، وبعضُ الدُّول الأخرى.

إنَّ هذا العملَ بجانب الأعمال الأخرى الحازِمة، وفي طليعتها: تدريبُ الشَّباب الفلسطينيِّ على استعمال الأسلحة، تكون الحلَّ العمليَّ لقضيَّة فلسطين، التي دخلَت مرحلةً جديدةً في تاريخها بعدَ خمسةَ عشَرَ عامًا، فلنجرِّبِ الحلول العمليَّة التي يفهَمُها المستعمرون والصِّهيَونيُّون، «ولا يفُلُّ الحديدَ إلَّا الحديدُ»، «وإنَّ غدًا لناظِره قريب».

هل هذا في مصلحة فلسطين؟[(١)]

كانت جريدة "النَّدوة" قد نشرَت في عددها (١٧٦٦) الصَّادر يومَ السَّبت ١٧ رجب ١٣٨٤هـ في صفحتها الأولى بعنوان: "مصير جوازات حكومة عموم فِلسطين" في حديثٍ لرئيس منظَّمة التَّحرير الأستاذ أحمد الشُّقيري جاء فيه:

«أمَّا بالنِّسبة إلى جوازات السَّفر التي تُصدِرها حكومةُ عموم فلسطين، فستَظلُّ ساريةَ المفعول حتَّى انتهاء مدَّتها، وبعد ذلك تُستبدَل بجوازات سَفَر اللَّاجئين الفلسطينيِّين، التي تُصدِرها الدُّول المضيفة للعائدين الفلسطينيِّين؛ استنادًا إلى قرار جامعة الدُّول العربيَّة في هذا الشَّأن؛ الذي نصَّ على أن تُصدِر كلُّ دولة عربيَّة يقيم فيها فلسطينيُّون وثائقَ سفر اللَّاجئين الفلسطينيِّين، تحمل اسمَ الحكومة التي يُقيمون فيها، ويتمتَّع حاملوها بما يتمتَّع به المواطنون في تلك الدُّول، ويتنقَّل حاملوها في أقطار العالَم كما يتنقَّل رعايا تلك الدُّول».

(١) "الجزيرة"، العدد (٣٠)، في ١٧/ ٩/ ١٣٨٤هـ.

ومع أنَّه قد مضى على نَشر هذا الحديث ما يُقارب الشَّهرين، فإنِّي لم أطَّلع على تعليقٍ من الصحفيِّين والكتَّاب في المملكة، لا من الفلسطينيِّين ولا من غيرهم.

وهذا ممَّا يدعو للعَجَب إن لم يكن للأسى، فأمرٌ كهذا يهمُّ الفلسطينيِّين والعرب والمسلمين لا ينبغي أن يمرَّ عليه دون تعليق، وتوضيح لأهدافه ومَراميه، وواجب الصِّحافة هنا وفي البُلدان الإسلاميَّة أن تُعنَى بمثل هذه الأحاديث ونَقدِها، إذا كان فيها ما يَضرُّ بقضيَّة فلسطين.

ولا أحسب الصحفيِّين عندنا وصلوا إلى درجة من عدم المبالاة بقضيَّة فلسطين الحسَّاسة إلى هذا الحدِّ، ولا أظنُّ أنَّ فيه موانعَ تَحول دون مناقشة هذه المواضيع بصراحة تامَّة، وتجرُّد كامل.

ونحن الآن نريد أن نعرِف بهدوء ما إذا كان هذا الإجراء من صالح شعب فلسطين المشرَّد، أم بالعكس؟

إنَّنا نعلم أنَّ مؤامراتٍ شرِّيرةً تَحيكها دولٌ معروفة ضدَّ فلسطين والعرب والمسلمين، متواطِئةً مع الصِّهيَونيَّة العالميَّة قبلَ نكبة فلسطين وبعدَها.

وقد نشطَت هذه الدُّول بعد النَّكبة بإمداد إسرائيل بالقروض والمُساعَدات، والأسلحة والخُبَراء، وتسهيل تزايُد اليهود في فلسطين، وجَمع التبرُّعات للصَّهاينة، وإعلان حماية إسرائيل؛ كما في التَّصريح الثُّلاثيِّ بين أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وكالتَّعويضات الألمانيَّة، والتَّصريحات المنفردة من رؤساء هذه الدُّول؛ كتصريح جون كِندي عام **١٩٦٣**م في ٨ أيَّار، وغيره من الرسميِّين الأمريكيِّين، والإنكليز والفَرنسيِّين.

ولم يدَّخروا وُسعًا في الضَّغط على الدُّول العربيَّة وتهديدها، والسَّعيِ لإضعافها بشتَّى الوسائل.

وفي نفس الوقت كانت تعمل لإذابة قضيَّة فلسطين، في شكل مشاريعَ برَّاقة، تهدف إلى تصفية القضيَّة نهائيًّا، وضمان الاستقرار لليهود كمشروع غوردون كلاب، وبلاند فورد وكين، ومشروع سيناء، ثم مشروع جونستون عام **١٩٥٥**م، ومشروع همرشولد عام **١٩٥٩**م.

وكلُّها مشاريعُ تهدف إلى إضاعة القضيَّة، والتعويض للاجئين عن ممتلكاتهم، ومَنح الدُّول العربيَّة التي تقبل هذه الأوضاعَ مساعداتٍ باسم المعونات والمساعدات؛

لإسكان اللَّاجئين.

وقد نتَج عن لجنة غوردون كلاب الأمريكيَّة للاستقصاء الاقتصاديِّ في الشَّرق الأوسط أن أوصَت بإنشاء (وكالة غَوث اللَّاجئين وتشغيلهم)، وتبنَّتِ الأمم المتَّحدة هذه الوكالةَ تحت ضغط الدُّول الاستعماريَّة المتمالئة مع الصِّهيَونيَّة، وقد وضعَت هذه الوكالةُ عِدَّة مشاريع؛ منها: مشاريع التَّوطين، ومشاريع الأشغال والتَّأهيل، والتَّدريب المهني، والعمل لِنُزوح الفلسطينيِّين إلى البلاد الأمريكيَّة وغيرها، وكلُّ أولئك لإنهاء القضيَّة الفِلسطينيَّة.

ومع أنَّا لا نشكُّ في الأستاذ الشُّقيري، ومَواقفُه في هيئة الأمم المتَّحدة واضحةٌ وصريحة، إلَّا أنَّ هذا لا يمنع من مناقشة الموضوع؛ ليتبيَّن وجه الحقِّ فيه.

وذلك ما يدعونا لأن نقول: «إنَّ إعطاء الفِلسطينيِّين وثائقَ سفَر تحمل اسمَ الحكومة التي يقيمون فيها، ويتمتَّع حاملوها بما يتمتَّع به المواطنون في تلك الدُّول» كما جاء في حديث الأستاذ الشُّقيري - خطوةٌ في فَصل الفلسطينيِّين عن بلادهم، ورَبطِهم بالدُّول التي يُقيمون فيها، وبالتالي

يُصبح الفلسطينيُّ مُواطنًا في الدَّولة المضيفة، فيَكسَل عن الاستعداد لخَوض المعركة؛ لأنَّه لم يجدِ الوسائل المشجِّعة، ويَركَن إلى العَيش الرَّخي، ثمَّ ينسى الأحفادُ فلسطين، ومعركة فلسطين ونكبتَها، بل إنَّه من الصَّعب التَّفريقُ بين هذا العمل، وبين ما تطلبه الدُّول الضَّالِعة مع الصَّهاينة في مشاريعِ توطين اللَّاجئين، وإسكانهم وتشغيلهم في البُلدان المضيفة.

إنَّه قد لا يقلُّ عنها نتائجَ إن لم يَفُقْها خطرًا!

وكما قلتُ سابقًا: فلَسنا نشكُّ في الشُّقيري، ولكنَّه لن يجزمَ بأنَّ رأيه على صوابٍ دائمًا فيما أعتقد، والمسألة لا تهمُّ فردًا أو هيئة أو حزبًا، ولكنَّها أهمُّ من ذلك وأعظم.

إنَّها قضيَّة المسلمين، وهذا جهدٌ متواضع أرى الإسهامَ به، فإن كان صوابًا فمِن الله، وإن كان خطأً فمِن نفسي ومِن الشَّيطان، والرُّجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل، والله الموفِّق.

هذا لا يكفي[1]

ألمانيا الغربيَّة منذ قيام ما يُسمَّى بدويلة إسرائيل العدوانيَّة، وهي تُمِدُّها بالقروض الطَّائِلة، والتَّعويضات لضحايا النَّازيَّة من اليهود، كما تدَّعي حكومة ألمانيا.

ولَم يقفِ الأمر عند هذا الحدِّ، بل إنَّ المساعداتِ العسكريَّةَ والاقتصاديَّة والخُبراءَ الألمان تتدفَّق على إسرائيل، ولم تهتمَّ الحكومة الألمانيَّة باحتجاجات العرب وتصريحاتهم، ولكنَّها تمادَت وأسرفَت في التودُّد إلى إسرائيل، غيرَ عابئة بالعَرَب، ولا مُراعيةٍ لمشاعر المسلمين في جميع أنحاء العالَم.

ولألمانيا مصالحُ اقتصاديَّة وسياسيَّة تتعرَّض للضَّرر العظيم في حالة إقدام العرب على اتِّخاذ عمل جادٍّ.

ولكن العرب وقد تنبَّهوا لما يُحاك لهم، وما يجب عليهم عمَلُه أخلَفوا ظنَّ ألمانيا، فوقَفوا موقفًا مشرِّفًا، وأعلنوا تصميمهم بالردِّ على إمداد ألمانيا لإسرائيل

(١) "البلاد"، العدد (١٨٣٩)، في ١٨/ ١٠/ ١٣٨٤هـ.

بشِحنات الأسلحة الضَّخمة، التي اضطُرَّت الحكومةُ الألمانيَّة للاعتراف بها؛ ردًّا ليس في صالح ألمانيا قطعًا، وينتج عنه أضرارٌ عاجلة للمصالِح الألمانيَّة، والاقتصاد الألماني، وحتَّى للسِّياسة الألمانيَّة.

وهنا فقط - ولأوَّل مرَّة - تراجعَتِ الحكومة الألمانيَّة، وهدأَت حملةُ صِحافتها على العرب، وجاءتِ الأنباء تتَوارد عن إعادة الحكومة الألمانيَّة النظرَ في صفَقات الأسلحة التي باعَتها لإسرائيل، والتي تشكِّل تهديدًا خطيرًا للعرب.

ولكنَّ قرار ألمانيا بوَقف إرسال الأسلحة لا يَكفي لتراجُع العرب عن اتِّخاذ الخطوات الهامَّة إزاءَ ألمانيا؛ فهناك التَّعويضاتُ المزعومة التي تَبذُلها ألمانيا لإسرائيل، والمساعدات الأخرى، وهناك الدُّول التي لا تدَعُ مناسبة تمرُّ إلَّا وتُعلن مساندتها لإسرائيل ضدَّ حقوق العرب ومَصالحهم، والتي تقدِّم لها المال الجزيل والمساعدات المتنوِّعة، والأسلحة الحديثة، والمهندسين والخبراء، ويتبارى ساستُها في كَسب عطف الصِّهيَونيَّة، ويُعلنون حمايتَها، والتَّعهُّد بالحِفاظ على كِيانها، ولا يقيمون للعرب

والمسلمين أيَّ وزنٍ أو اعتبار، بل ولا يُفكِّرون في مَصالحهم الضَّخمة، التي يستطيع العرب أن يُزلزلوها، وأن يُحدِثوا في بلاد تلك الدُّول هزَّاتٍ اقتصاديَّةً عنيفةً فيما لو تيقَّنَت تلك الدُّول أنَّ العرب جادُّون في اتِّخاذ موقف موحَّد، ومُقدِمون على عمل جِدِّيٍّ بعيد عن التَّصريحات، والاحتجاجات التي لا تُثمِر.

إنَّ الخُطوة التَّالية يجب أن تكون مع هذه الدُّول التي ما فَتِئت تُهدِر كرامةَ العرب والمسلمين، وتقف ضدَّ رغباتهم وآمالهم متحدِّيةً لهم، مستهينةً بطاقاتهم وعزائمهم، وإنَّ العرب يجب ألَّا يَسكتوا على ضَيم، وأن يَنفُضوا غبارَ الخمول الذي طال استقرارُه، وأن يُثبتوا أنَّهم أمَّة قويَّة أبِيَّة، تُحسِن استخدامَ وَسائلها إذا لَزم الأمر، وأنَّ أوهام المستعمِرين والصِّهيَونيِّين والدعاوى المسمومة لا تلبَث أن تضمحِلَّ أمام التصميم والعزيمة الصَّادقة.

إنَّ هذا ليس فورةً عاطفيَّة، ولكنَّه تعبيرٌ عن آمال الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة، وهو مقتضى الوعي المتطوِّر، وها قد مرَّت سِنونَ كثيرة، وقد جرَّب العرب مُصانعةَ الدُّول الكبرى واستعطافَها، وإظهار الحقائق لها، وفي

المحافِل الدوليَّة كانت الأصواتُ تدوِّي بإبراز القضايا العربيَّة والإسلاميَّة، فلم تعبأ الدُّول (الحرَّة!) التي تُلقِّب نفسها بهذا اللَّقب، أو بـ(العالم الحرِّ!)، ولم تُفلح معها تلك الوسائل، وبقي تجرِبةُ الوسائل الأُخَر، والعَزم الأكيد، ولا ريبَ أنَّها ستنجح، وستعود الدُّول المُعادية عن خطئِها؛ حفاظًا على مَصالح بلادها، وستَضرب بروابطها مع دُويلة العصابات عُرضَ الحائط.

فهل لنا أن نترقَّب الخُطوة التَّالية على نحوٍ يُعيد للأمَّة الإسلاميَّة عزَّتَها وكرامتها؟ إنَّنا لمنتظرون ومتفائلون.

لمصلحة مَن هذه التصرُّفات؟[1]

نشرَت "جريدة المدينة" في العدد (٢٨٣) بتاريخ ٧ شوَّال ١٣٨٤هـ بعنوان: (انتقال الفلسطينيِّين بين الدُّول العربيَّة): «أعلنَت مصادر منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة في القدس: أنَّ السيِّد باسل عقل - مدير مكتب المنظَّمة في القاهرة - أعلَن بأنَّ المنظَّمة تقوم حاليًّا بوضع بروتوكول يقضي بتسهيل سفر وانتقال وعمل وإقامة الفلسطينيِّين في جميع الدُّول العربيَّة، ومعاملتهم معاملةَ رعايا الدُّول العربيَّة، وكفالة حرِّية العمل والاستخدام لهم في البلاد العربيَّة التي ينتقلون إليها.

وقال: إنَّ هذا المشروعَ سوف يُقدَّم إلى الأمانة العامَّة للجامعة العربيَّة خلالَ الشَّهر القادم؛ لإعداده في صيغته النِّهائيَّة التي ستُعرَض على المؤتمر الثَّاني لرؤساء الحكومات العربيَّة المقرَّر عقدُه في شهر مايو المقبل».

هذا هو الخبَر، وقبلَه من حوالي ثلاثة أشهر أدلى

(١) "الجزيرة"، العدد (٣٤)، في ٢٢/ ١٠/ ١٣٨٤هـ.

الأستاذ أحمد الشُّقيري بتصريح لمندوب النَّدوة نُشِر في الجريدة المذكورة حولَ جوازات الفلسطينيِّين، وأنَّ الحكومات العربيَّة ستَمنح الفلسطينيِّين المقيمين فيها جوازاتِ سفر.

وقد كتبتُ كلمة في هذا الموضوع نُشِرت في "جريدة الجزيرة" العدد (٣٠) تاريخ ١٧/ ٩/ ١٣٨٤هـ، بعنوان: (هل هذا في مصلحة فلسطين؟) انتقدتُّ فيها هذا التصرُّف، وأبديتُ رأيي بصراحة: أنَّ هذا لا يقلُّ ضررًا عن المشروعات الاستعماريَّة، والمؤامرات الأجنبيَّة لتصفية قضيَّة فلسطين، ومحاولات وكالة الغَوث الرَّامية إلى توطين اللَّاجئين في البُلدان العربيَّة وغيرها، وتسهيل تجنيسهم؛ ليذوبوا في البُلدان العربيَّة وسواها، ولينسَوا قضيةَ فلسطين، ويَنزِعوا من أفكارهم العزمَ على العودة إليها.

لقد كنَّا نتوقَّع مِن منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة أن تَحشد الفلسطينيِّين في جزء أو أجزاء من فلسطين، وأن تَطلُب من الدُّول العربيَّة المساعدةَ لنَقل الفِلسطينيِّين إلى هذه الأجزاء كغَزَّة، والضِّفة الغربيَّة من الأردنِّ، وتسليحهم، وإمدادهم بالقوَّة والمال، والمُؤَن والذَّخائر، وإعدادهم للمعركة

القادمة، وهذا ما كان يتطلَّع إليه المسلمون في كلِّ مكان، ويترقَّبون من منظَّمة التحرير وجامعة الدُّول العربيَّة أن تفعلَه.

أمَّا أن تكونَ النَّتيجة حريَّةَ العمل والاستخدام لهم في البلاد العربيَّة، ومعاملتهم معاملة الرَّعايا العربيَّة، فأمرٌ يدعو للأسف والحزن، ولعلَّه آخِرُ ما يخطر ببال الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة أن تتوقَّعه من منظمة التَّحرير!

إنَّ اجتماعاتِ الملوك والرُّؤساء العربِ ورؤساء الحكومات العربيَّة، وتنقُّلات المسؤولين في الجامعة العربيَّة، والضَّجيج الذي رافقَ ذلك، وسبَقه وأعقَبه، ثمَّ دفع كثيرٍ من الدُّول العربيَّة نصيبَها في تشكيل الجيش الفلسطيني، والاستعداد لاسترجاع الأجزاء السَّليبة من فلسطين، وقد دفعَتِ الحُكومة السُّعوديَّة أكثرَ من ثمانين مليون ريال لهذه الأغراض - كلُّ تلك أشياء يُنتظر أن تأتي بنتائجَ عظيمة.

أمَّا إن كانت عاقبةُ هذه المساعي توطينَ اللَّاجئين في البلاد العربيَّة، فإنَّ أقلَّ ما يُقال: «تَمخَّض الجبلُ فولَد فأرًا!».

وإنَّ آمال الشُّعوب العربيَّة والفلسطينيَّة قد حطَّمها أناسٌ تَصدَّروا في قضيَّة خطيرة وحسَّاسة، وقد عكس الأمر فيها على طول الخطِّ.

وبعدُ، فلِمصلحة مَن هذه التصرُّفات؟ ومَن المستفيد منها؟

وما هو موقِف الشُّعوب الإسلاميَّة، وموقف الفلسطينيِّين بصفة خاصَّة من هذه الأعمال، التي لا تَخدُم مصلحة فلسطين، ولا الأمَّة الإسلاميَّة، والتي لا تخرج عن كونها امتدادًا لمؤامرات استعماريَّة صليبيَّة، وصِهيَونيَّة عدوانيَّة؟

وربَّما كان في الأيَّام المقبِلة كشفٌ لما يبدو غامضًا بعض الشَّيء، فلا يبقى لَبس ولا غموض.

الموقف الخطِر[(١)]

ما الذي يَجري في فلسطين المحتلَّة؟ وما الذي يمكن أن يَحصُل نتيجةً للأحداث الرَّاهنة؟

هذا ما ينبغي التَّفكيرُ فيه جيِّدًا ودراستُه، والاستفادة من أخطاء الماضي، وعملُ الاحتياطات الممكِنة؛ حتَّى لا تكون المفاجآت سببًا للارتباكات والفَشَل.

والدِّين الإسلاميُّ يدعو إلى أخذ الحِذر، والاستعداد بالقوَّة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ٧١﴾ [النساء: ٧١]، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

إنَّ واجب المسلمين أن يَستعدُّوا بكلِّ قوَّة ممكِنة، وسلاح جديد، وكِفاح دائب؛ فهُم أمامَ أعداء ماكرين، لا يدَّخرون جهدًا في القضاء على المسلمين.

وإذا كان دُعاة الإصلاح يرفعون أصواتَهم جهيرةً، ينادون الأمَّة الإسلاميَّة بأن تكون حَذِرة، فلا تغترَّ بدعاوَى

(١) أُرسلت لـ"المدينة" في ٢٨/ ١١/ ١٣٨٤هـ.

الأعداء المتنوِّعين المتناقضين، من شيوعيِّين وصِهيَونيِّين، واستعماريِّين صليبيِّين، فما حيلة هؤلاء المصلِحين إذا حاربوا في جبهات عديدة، وناضلوا قُوًى متباينة؟!

إنَّهم يُدافعون عن أمَّتهم مدَّ التيَّارات المذهبيَّة المخرِّبة، والمطامع العُدوانيَّة، وقبل أن نلومَ هؤلاء المصلِحين، يجب أن ننبِّه إلى مواضعِ الخطر، ومَكامن الدَّاء.

أجَل؛ فها هي فلسطين كمثَلٍ على ما جابَهَته الأمَّة الإسلاميَّة، وما تآمَر به عليها الأعداءُ المتخاصمون، وما يقوم به زُعماء الصَّهاينة في هذه الأيام من نشاط مَحموم في البُلدان التي عُرِفت بعَدائها للمسلمين بدافع الحِقد الصَّليبي، والأطماع الاستعماريَّة الظَّاهرة أحيانًا، والمتخفِّية في غلائل الاقتصاد والثَّقافة آنًا، كلُّ هذا يَقضي أن يكون المسلِمون مستعدِّين.

إنَّ إسرائيل تتحرَّش بالبُلدان العربيَّة، ولا سيَّما سوريا والأردنِّ! ويُصدِر كِبارُ موظَّفيها تصريحاتٍ فيها تهديدٌ للعرب، والاتِّصالاتُ التي يقوم بها زعماء اليهود في أوربَّا وأمريكا، والبيانات التي تُذاع من بعض الرَّسميِّين في هذه

البُلدان في تأييد الصَّهاينة ضدَّ العرب - كلُّ هذه أشياءُ ليس من السَّهل تجاهلُها.

إنَّ قصَّة الأسلحة الألمانيَّة السِّريَّة التي تُغدِقها ألمانيا على إسرائيل قد كشفَت أشياءَ خطيرة، واتَّضح أنَّ أعداء الأمَّة الإسلاميَّة لا يَدَّخِرون وُسعًا في طَعن المسلمين، وتمزيق شملهم، وتقوية أعدائهم، وعندما وقفَ العرب يُؤيِّدهم المسلمون في أصقاع المعمورة موقفًا صُلبًا - نوعًا ما - أحدَث ذلك ردَّ فِعل في العالَم كلِّه، وصار له صدًى، واهتمامٌ بالغ، وبدأتِ التَّصريحات من (الهررة!!) بالحِرص على صداقة العرب، والعلاقات الحسنة بين العرب والألمان، وماذا أقول؟!

إنَّ الموقف الخطير يتطلَّب الاستعدادَ؛ لئلَّا يُؤخذ المسلمون على غِرَّة؛ فقد ترى إسرائيلُ وأنصارُها أنَّه أنسبُ وقتٍ لشنِّ الحرب، لكي تنفِّذ مخطَّطاتها في التوسُّع.

إنَّ قضيَّة فلسطين قضيَّةُ المسلمين، هذه حقيقةٌ يجب أن يَعيَها مَن لا يزال في عِناده سادرًا، ومنذ نكبة فلسطين حتَّى اليوم والأحداثُ تُبرهِن على صحَّة هذه النَّظريَّة

وثبوتها.

وإنَّ الفلسطينيِّين يجب أن يكونوا في طليعة المدافعين عن حقوقهم، واسترداد بلادهم بقوَّة السِّلاح، وبالعلم والسِّياسة.

إنَّ التَّناحُرَ بين بعض البلاد الإسلاميَّة والبعض الآخر يجب أن ينتهي، وأن يوفِّروا جهودَهم لأعدائهم الذين يريدون القضاءَ عليهم بضَرب بعضهم ببعض.

وإنَّ المُهاتراتِ التي توجِّهها بعضُ الأجهزة الإعلاميَّة ضدَّ بُلدان إسلاميَّة يجب وقفُها.

وإنَّ المناداة بالشِّعارات والمبادئ المستورَدة التي لا تتَّفق ودينَ الإسلام ومُثُلَ الأمَّة ومبادِئَها يجب نبذُها وطرحُها بعيدًا، فما نال منها معتنِقوها إلَّا الخرابَ والدَّمار، وسوءَ العيش، ونكَد الطَّالع، وعند المسلمين الغُنيةُ - كلُّ الغُنية - في دِينهم وشريعتهم.

ومن الواجب أن تستعدَّ البُلدان الإسلاميَّة استِعدادًا يتَّفق مع الأخطار المُحيطة بهم، فيَجعلوا التَّجنيدَ إجباريًّا لأجل التَّدريب على استعمال الأسلحة، والتعرُّف على

فنون القتال، وأساليبه الحديثة.

وأن يكون هناك دعايةٌ قويَّة على كلِّ المستويات الرَّسميَّة والشعبيَّة، في جميع أنحاء العالَم؛ لكي يعرف العالَمُ وجهةَ نظرهم، وصحَّة دعواهم.

هذه أشياء لا بدَّ منها إذا ما أُريد لفِلَسطين وللأمَّة الإسلاميَّة أن تتجنَّب أحابيلَ المستعمِرين، وأن تكون على أُهبة الاستِعداد؛ لتُدافعَ عن عقيدتها وبلادها.

وواجبُ الصِّحافة في هذا الظَّرف أن تضع النُّقط على الحروف، وألَّا تكتُم الحقائقَ عن الشَّعب؛ لئلَّا تُساهم في تضليله عن قَصد أو غير قصد.

هذا، ونسأل الله أن يوفِّق الأمَّة الإسلاميَّة لِما فيه مجدُها وعِزَّتها.

المقاطعة الاقتصاديَّة أمضى(١)

عندما أمعنَت ألمانيا الغربيَّةُ في تحدِّيها مشاعرَ العرب والمسلمين ببذلِ المساعدات الاقتصاديَّة لإسرائيل باسم تعويض ضحايا النازيَّة، وباسم القروض والمساعدات آنًا آخر، كان لا بدَّ للعرب والمسلمين أن يقفوا موقفًا جريئًا.

ولم تكن الاحتجاجاتُ والاستنكارات لتجعل ألمانيا تَقطع تعويضاتِها ومساعداتِها لدُويلة الاحتلال الصِّهيَوني، بل إنَّ ألمانيا تجاوزَت كلَّ حدٍّ حينما أمدَّت إسرائيل بالأسلحة في صفقةٍ سِريَّة، فكانت طعنةً غادرة من ألمانيا توجِّهها إلى المسلمين، وصار لا بدَّ ممَّا ليس منه بُدٌّ، وركبَت ألمانيا رأسَها، واعترفَت بإسرائيل، وقطعَت عشرُ دول عربيَّة عَلاقتَها مع ألمانيا؛ ردًّا على تصرُّف حكومة بون، وثأرًا للكرامة التي أراد الألمان إهدارَها.

---

(١) أُرسلت لـ"البلاد" في ١٩/ ١/ ١٣٨٥هـ.
ومن الغريب أن يذهب أمين الجامعة العربيَّة عبد الخالق حسُّونة إلى ألمانيا راغبًا في تحسين العلاقات العربيَّة الألمانيَّة (دون تفويض!)، ويُقابَل هناك بالاستهزاء والحطِّ من شأن العرب! ولم تحصل المساعدات المأمولة! شيء يفوق التصوُّر!

وقد يكون الردُّ معقولًا ، ولكن ينبغي أن نتساءل: هل ما يهمُّ ألمانيا، وما يؤثِّر على الشَّعب هناك المقاطعةُ السياسيَّة؟ أم أنَّ المقاطعة الاقتصاديَّة أمضى سلاحًا، وأكثرُ فعاليَّة؟

لا أظنُّ أحدًا يَمتري في أنَّ الناحية الاقتصاديَّة تؤثِّر على ألمانيا أكثرَ من النَّاحية السِّياسيَّة؛ فالبلاد الإسلاميَّة تشكِّل سوقًا هامًّا للصَّادرات الألمانيَّة، سواء كانت **٣٠** بالمئة، أو أكثر أو أقلَّ، فعلى كلِّ حال هي سوق مهمَّة تحرص ألمانيا على الاحتفاظ بها، وإذا فقدَت هذه الأسواقَ فإنَّ الشَّعب الألمانيَّ قد يضغط على حكومته ويُجبرها على تفضيل حُسن العَلاقات مع العرب والمسلمين على عَلاقتها مع دُويلة الاحتلال الصِّهيَوني.

أمَّا الاكتفاء بالمقاطعة السِّياسيَّة، فذلك لن يكون له أثرٌ كبير على عَلاقات ألمانيا مع إسرائيل، فالذي يهمُّ الألمان هو النَّاحية الاقتصاديَّة، ومن غير المعقول أن تتحدَّى ألمانيا العربَ والمسلمين بإمداد إسرائيل بالأسلحة والمساعدات الكبيرة، ويكتفي المسلمون بالاحتجاجات والضَّجيج، ثمَّ يقفون عند حدِّ المقاطَعة السِّياسيَّة من دول

عربيَّة، بينما الأسواقُ الإسلاميَّة مجالٌ رَحب للبضائعِ الألمانيَّة، ومدٌّ الاقتصاد الألمانيِّ بالقوَّة.

إنَّني أشكُّ في عدم جدوى المقاطَعة السياسيَّة، ما لم يكن هناك مقاطعةٌ اقتصاديَّة تُعيد إليها رُشدَها، وحرصها على الصَّداقة التقليديَّة بين العرب والألمان؛ كما يدَّعون! «وكلٌّ يدَّعي وصلًا بلَيلى».

وبدون المقاطَعة الاقتصاديَّة تكون الغَضبةُ المُضريَّة زَوبعةً في فنجان، وعبثًا لا طائلَ من ورائه!

إنَّني أدعو إلى أن يقطَع العربُ عَلاقاتِهم الاقتصاديَّة مع ألمانيا، وأن يُغلِقوا أسواقَهم في وجه البضائع الألمانيَّة والشَّركات الألمانيَّة، عندئذٍ سوف يُدرك الألمانُ فداحةَ الثَّمن، وسوء تقدير العاقبة.

ذلك رأيٌ ارتأيتُه وآمُل تحقيقَه، وأحسب أنَّ فيه تعبيرًا عن إرادة الشَّعب الإسلاميِّ بكلِّ جَلاء ووضوح.

الجامعة العربيَّة ووكالات الغَوث[1]

ورَدَ في الأخبار نبأٌ نشرَته الصُّحف، وتناقلَته الإذاعات، وهو نبأٌ يدعو للاستغراب، هذا النَّبأ هو: «أنَّ الجامعة العربيَّة اتَّهمت وكالة الغَوث الدوليَّة بخدمة سياسة الاستعمار الصِّهيَوني؛ وذلك عن طريق مساعدة اللاجئين الفلسطينيِّين في الهجرة إلى الولايات المتَّحدة وأستراليا؛ ممَّا نتج عنه انخفاضُ عدد اللَّاجئين الفلسطينيِّين في معسكرات اللَّاجئين».

هذا مضمون الخبر الذي نشَرته الصُّحف في ١٩/ ١/ ١٣٨٥هـ، وقد يبدو للوَهلة الأولى أن لا داعيَ للاستغراب في هذا النَّبأ، ولكن لو أنَّ الأمر من الخَفاء بحيث يَستدعي اكتشافًا بعد سنين طويلة من قيام وكالة الغَوث لهَانَ الخَطب، ولكانَ أمرًا عاديًّا لا غُبارَ عليه.

أما وأنَّ هذه الوكالة قامت بتوجيهات أمريكيَّة وإنكليزيَّة، وفي مقدِّمة أهدافها منذ تأسيسها: توطينُ

(١) "المدينة"، العدد (٣٨٨)، في ١٠/ ٢/ ١٣٨٥هـ.

الفلسطينيِّين في البلاد العربيَّة وغيرها، وتسهيل الإقامة والعمل لهم في العالَم العربيِّ وغيره، وليس في هذا خَفاءٌ حتَّى يحتاج إلى اتِّهام بعدَ هذه المدَّة الطويلة، ومن جامعة الدُّول العربيَّة كأنَّ جديدًا قد حدث!

إنَّ من لديه وعيٌ وثقافةٌ في العالَم الإسلاميِّ يَعرف منذ أمدٍ - قبل بيان الجامعة الخطير - أنَّ هذه الوكالة استعماريَّة لحمًا ودمًا، وسيلةً وهدفًا، وأنَّ غايتها منحُ اليهود الاستقرار.

إنَّ قضيَّة فلسطين تمرُّ بمرحلة دقيقة؛ ومن ثَمَّ فإنَّ أيَّ شيء يَصدر عن الجامعة يُثير الانتباه، ويحرِص العرب والمسلمون - والفلسطينيُّون بصفة خاصَّة - على فَهمِه تمامَ الفهم، ولسنا ندري هل قصَد المسؤولون في الجامعة الذين وجَّهوا الاتِّهام في هذا الوقت لوكالة الغَوث تِبيانَ الحقائق للعرب الذين لا يزالون يَجهلون أهدافَ الوكالة، وإن كانت صيغةُ الاتِّهام لا توضِّح هذا المعنى، وإن كان الغرَض إفهامَ الرأي العامِّ، فليس إصدار اتِّهام مجرَّدٍ من الأدلَّة المعروفة للعرب ما يجعل الرأيَ العامَّ العالميَّ يَقتنع بوجهة نظر الجامعة!!

ثمَّ هل جدَّ جديدٌ حتَّى تكتشفَ الجامعةُ انخفاضَ عدد اللَّاجئين في المخيَّمات في هذه الظُّروف بالذَّات؟!

إنَّني لم أدرك المغزى من إصدار مثل هذا الاتِّهام على النَّحو الذي نشَرته الصُّحف، وتناقَلته الإذاعات، اللهمَّ إلَّا إذا كان ما أُذيع ونُشِر ليس كلَّ ما جاء في اتِّهام الجامعة، فهذا له شأنٌ آخر.

إنَّ بعضَ ما يَصدر من الجامعة حِيالَ فلسطين يحيِّر حقًّا؛ فمرَّة تقرِّر الجامعة أن يُمنح الفلسطينيُّون جوازاتِ سفر من قِبل الحكومات العربيَّة المضيفة، ومرَّة تُقرِّر تسهيلَ الإقامة والعمل لهم في البلاد العربيَّة، وثالثةً اكتشاف الجامعة انخفاض عدد اللَّاجئين! وماذا يعني ذلك؟! وماذا يؤثِّر هذا في قضيَّة فلسطين، وتصميم المسلمين على طرد اليهود المستعمرين مهما كلَّف الثَّمن؟! وسينتصرون بإذن الله.

وكنَّا نودُّ أن يصدرَ من الجامعة توضيحُ غرضها.

إنَّ بعض ما يَصدر من الجامعة يبعث على القلق، ويُثير البلبلةَ في النُّفوس، والشُّعوب العربيَّة تنتظر من الجامعة أن تكون على مستوى الآمال المعلَّقة عليها.

ولن يُسلِّم الصَّهاينةُ فلسطين طائعين، هذه بدهيَّات لا تحتاج إلى جدلٍ ونقاش: الاستعداد للمعركة، وتهيئة الرَّأي العامِّ لها، ثمَّ ضربة قويَّة خاطفة تقضي على العدوِّ قبل أن تتمكَّن قواعده الاستعماريَّة في الخارج من التدخُّل، ولا بدَّ من تسليح الفلسطينيِّين وتدريبِهم، وأن يكونوا طليعةَ المعركة، ونَبذِ الخصام والشِّقاق بين العرب والمسلمين، وتوفير قوَّتهم لعدوِّهم الذي يهدف إلى القضاء عليهم، وغَزوهم في عُقر دارهم إذا لم يبدَؤوا هم - بعد تخطيطٍ وتصميم، واستعداد وثقةٍ لا تَركن للدَّسائس والمؤامرات الاستعماريَّة، وهكذا إذا كانوا جادِّين.

رجال العاصفة وقضيَّة فلسطين[(١)]

إنَّ الشُّعوبَ العربيَّة والإسلاميَّة، وشعب فلسطين على وجهٍ أخصَّ، يأمُلون أن يكون مَن يتولَّون قيادةَ هذه الشُّعوب في مستوى المسؤوليَّة المناطَة بهم، وإدراك الخطر الذي يتهدَّد شعوبَهم.

جاء في الأنباء: أنَّ رجالَ العاصفة قد نسَفوا سيَّارةً عسكريَّة داخل فلسطين المحتلَّة، فقُتل عشَرة من الجنود الصِّهيَونيِّين، وأُصيب سبعة آخرون، كما صدَر بذلك بيانٌ عن منظَّمة العاصفة الفلسطينيَّة، وبين وقتٍ وآخرَ تُنشر أنباء مماثِلة عن هذه المنظَّمة، التي برزَت إلى حيِّز الوجود قريبًا، وفي هذه المدَّة الوجيزة التي بدأت فيها قُوَّاتُ العاصفة أعمالَها حقَّقَت من الانتصار الماديِّ والمعنوي ما لم تحقِّقه آلافُ الخُطب والمقالات، ومئات الاجتماعات، وعشرات المؤتمرات!

(١) "عكاظ"، العدد (٢٧٦)، في ٢٠/ ٥/ ١٣٨٥هـ.

السَّيفُ أصدقُ إنباءً من الكتُبِ
في حَدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ

إنَّ منظَّمة العاصفة وقوَّاتِها قد بعَثتِ الأمل في النُّفوس، وأعادَت إلى عرب فلسطين شيئًا من الثِّقة التي كادَت تطير أشلاء.

إنَّ هذه المنظَّمة قد أثارَت الانتباه، ونالتِ التَّقدير من لدُن الشُّعوب الإسلاميَّة، وليس في هذا غرابة، ولكنَّ الغريب - والذي يكاد لا يُصدَّق - ما يُقال من أنَّ هناك محاولاتٍ من بعض العرب لوَقف نشاط هذه المنظَّمة، أو ضمِّها إلى منظَّمات فلسطينيَّة أخرى؛ بحجَّة تنظيم العمل وتوحيده.

وهذه - إن صحَّت - مغالَطةٌ مكشوفة؛ فكيف يُحطَّم أمل العرب والمسلمين الذي بدأَته هذه المنظَّمةُ بأعمالها البطوليَّة، ونشاطها الرَّائع، بتجميد أعمالها، وجَعلها جزءًا من منظَّمات لم تبدأِ العمل، ولا يُدرى متى يأذن الله ببدئها، ومتى تنوي ذلك؟! وهل وهل...؟ استفهامات كثيرة، منها ما يُكتفى بذِكر بعضه، ومنها ما لم يَحِنِ الوقت بعدُ لقوله: «وما كلُّ ما يُعلَم يُقال»!

إنَّ الذين يريدون وَقفَ نشاط هذه المنظَّمة يوجِّهون ضربةً عنيفة إلى الفلسطينيِّين بصفة خاصَّة، وإلى الأمَّة الإسلاميَّة بصفة عامَّة، ولدينا مَثَلٌ شعبي يَحسُن استعارتُه في هذا المقام: «جرادة في يدك، ولا عشر طايرات»!

نعم؛ إنَّ عملًا واحدًا تقوم به منظَّمة العاصفة اليوم ولا عشرة أعمال خياليَّة.

إنَّنا نأمُل أن تُقابَل هذه المحاولاتُ بالرَّفض والاستنكار، ولا سيَّما من شعب فلسطين؛ حتَّى وإن أُحسِن الظنُّ بدُعاتها! وليس معنى هذا أن يُكتفى بما تقوم به منظَّمة العاصفة، ولكن يجب أن تستعدَّ جميع المنظَّمات الفلسطينيَّة، والشَّعب الفلسطيني، والأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة لخَوض معركة عاجلة وحاسمة مع الصَّهاينة المجرِمين قبل أن يملكوا القنبلةَ الذريَّة، التي يَجدُّون في امتلاكها، وقد لا يأتي وقتٌ قريب إلَّا وقد ملكوها، وعندَ ذلك سوف لا يقف الصِّهيَونيُّون عند عُدوانهم السَّالف، ولكن سيهاجمون البُلدان العربيَّة المجاورة، ثم البُلدان الإسلاميَّة والعربيَّة الأخرى، بل إنَّ أحلام الصِّهيَونيَّة كما بيَّنته مخطَّطاتُهم في "بروتوكولات حكماء صِهيَون" هي الاستيلاء على شعوب

العالَم جمعاء!

وهل يُنتظر من عصابة الصِّهيَونيِّين أن تهتمَّ بالسَّلام العالمي، أو الحِرص على سلامة العرب أو الشُّعوب الأخرى إذا ما حازتِ السِّلاح النَّووي؟!

وأحسب أنَّ هذا لا يحتاج إلى بيان، وماضي العِصابات في تدمير اقتصاد ألمانيا ونشر الفساد فيها، وفي مذبحة دَير ياسين - ما يُغنِي عن التَّدليل والتَّعليل وطول الاستنتاج.

إنَّ الشُّعوب الإسلاميَّة - وشعبَ فلسطين على وجهٍ أخصَّ - يأمُلون أن يكون مَن يتولَّون قيادةَ هذه الشُّعوب في مستوى المسؤوليَّة المُنَاطة بهم، وإدراك الخَطَر الذي يتهدَّد شعوبَهم.

وهذه كلمةٌ للذِّكرى ليستِ الأولى، ولن تكون الأخيرةَ من نوعها، ومع هذا فالأمرُ من الجَسامة والأهمِّية بحيث لا يزال محتاجًا إلى مَن يُنبِّه ويحذِّر، ويَستثير الهِمَم، بقدر حاجتِه إلى من يحمل السِّلاح، ويُقاتل الأعداء، ويسترجع فلسطين من عصابة الغدر وأعداء الإنسانيَّة!

حقَّق الله الآمال!

لتستمرَّ العاصفة[1]

نشرَت "جريدة المدينة" العدد (٣٩٢) بتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٣٨٥هـ من مُراسلها في بيروت:

«أعلَن مصدرٌ فلسطينيٌّ مطَّلع في بيروت أنَّ الحاج أمين الحسيني - مفتي فلسطين السَّابق، ورئيس الهيئة العربيَّة العليا لفلسطين - يؤيِّد النَّشاط الذي تقوم به منظَّمة العاصفة الفدائيَّة داخل إسرائيل، بينما كان الأستاذ أحمد الشُّقيري - رئيس منظَّمة التَّحرير - قد أعلن في تصريح صحفي أنَّه يسعى لإقناع منظَّمة العاصفة بدَمْج نفسها في منظَّمة التحرير الفلسطينيَّة، وترك الأعمال الفدائيَّة، والمهمَّات الحربيَّة داخلَ فلسطين لجيش التَّحرير الفلسطيني، الذي تُنظِّمه وتسلِّحه منظَّمة التَّحرير حاليًّا على أراضي سوريا والعراق، والكويت وغزَّة وسيناء؛ تمهيدًا لخَوض معركة فلسطين... إلخ».

قرأتُ هذا الخبر ووقفتُ أتأمَّل، والدَّهشة تملؤني،

(١) أرسلت لـ"المدينة" في ٢٥/ ٥/ ١٣٨٥هـ.

وأحسبُ أنَّ كلَّ مَن قرأ هذا الخبر قد دُهِش، وإن كان بوُدِّي لو أنَّ المراسل أوضحَ أكثرَ ممَّا يؤكِّد أنَّ ذلك التَّصريح قد صدر من الأستاذ الشُّقيري حقيقة، الذي يحاول به إيقافَ أعمال العاصفة؛ ليتولَّى ذلك جيشُ التَّحرير بعد إدماج العاصفة به.

إنَّ هذا الخبر - إن صحَّ - يُعدُّ نكسةً ثانية لقضيَّة فلسطين، وهو نكبةٌ بعد النَّكبة، ومهلًا؛ فالأمر لا يحتاج إلى كثير من الاستنتاجات، أليس من أعظم أسباب النَّكبة الفلسطينيَّة قبلَ سبعةَ عشَر عامًا إبعادُ الفلسطينيِّين عن مَيدان المعركة، وتَركُ الحرب للجيوش العربيَّة والدُّول العربيَّة؟!

إنَّ هنا شبهًا قويًّا بين ذلك وهذا؛ ففي النَّكبة الأولى كان هناك رجالٌ يحملون السِّلاح من الفِلسطينيِّين، ويخوضون غِمارَ الحرب، أُوقف نشاطُهم، واليومَ تأتي هذه المحاولةُ لإيقاف نشاط العاصفة إن لم نَقُل: القضاء عليها نهائيًّا؛ بحُجَّة تولِّي جيش التَّحرير الفلسطينيِّ لذلك، علمًا بأنَّ هذا الجيش لا يزال في أولى درجات السُّلَّم، وقيامه بمهمَّات العاصفة شيء مظنون - على أكثر تقدير، وأحسنِ ظنٍّ - بينما أعمال العاصفة محقَّقة واضحة،

أزعجتِ العدوَّ، ونغَّصَت عليه عيشَه، وأعادت بعضَ الثِّقة في استعادة فلسطين، وأسهمَت إلى حدٍّ ما في إبراز القضيَّة الفلسطينيَّة دوليًّا، بعد أن تردَّدَت أصداؤها في الخارج.

بل إنَّها أعطَت دليلًا ملموسًا على تصميم الفلسطينيِّين على استرجاع فلسطين، وطرد المحتلِّين المعتدين، وإذا كان مفهومًا - على صحَّة تقدير الخبر الآنِف الذِّكر - أن يُطالبَ الشُّقيري بتكتيل الشَّعب الفلسطينيِّ المبعثَر في قوَّة واحدة وجبهة واحدة، وأن يسعى لانضمام العاصفة إلى منظَّمة التحرير الفلسطينيَّة، فليس بمفهوم أبدًا أن يَطلُب إيقافَ نشاطها ذي الأثر الملموس.

قد يكون هناك تبريراتٌ وأعذار لمِثل هذا الرأي، ولكنِّي أحسبُ أنَّ أمثال هذه التَّبريرات لا تقوَى على الصُّمود أمامَ الواقع، وفي تاريخ فلسطين بالذَّات ما يؤكِّد أنَّ استمرار العاصفة في أعمالها هو خيرُ مثل على إبراز القضيَّة الفلسطينيَّة، وأنَّ ذلك أولى الخطوات لاستعادة فلسطين التي هي حُلم الفلسطينيِّين، والعرب والمسلمين.

إنَّني لا أريد التعرُّض لموضوع الخلاف بين الشُّقيري والحسيني، وآمُل أن تتوحَّدَ كلمة الفلسطينيِّين، وأن ينبِذوا

الخِلافاتِ والتفرُّقات، وأن يَكونوا صفًّا واحدًا.

ولكنَّني أؤيِّد ما أراه حقًّا ونافعًا، وأنَّ ما يراه أمين الحسيني في هذا الموضوع هو ما ثبَت نجاحُه، وأنَّه الطَّريق الصَّحيح، أمَّا الترقُّب والانتظار والكلام الكثير، فذلك ممَّا يَزيد القضيَّةَ الفلسطينيَّة تعقيدًا، ويمكِّن للأعداء الصَّهاينة.

إنَّ كلَّ يوم يمرُّ بدون حرب لإسرائيل، واجتثاثٍ لها من فلسطين هو يومٌ تستفيد فيه الصِّهيَونيَّة من عامل الزَّمن؛ فإسرائيل تريد أن تحشُدَ أكبرَ قدر ممكن من اليهود المشتَّتين في أنحاء العالم، وتَسوقَهم إلى فلسطين، وهي بذلك تكون قوَّةً بشريَّة، يَصعُب إبعادُها بعد ثلاث سنوات - على وجه التَّقريب - بل يَصعُب اتِّقاء هجماتها، ووقفُها عن تحقيق رغبتها في التوسُّع على حساب العرب.

وإسرائيل تسعى حاليًّا لإنشاء القوَّة النَّوويَّة، ولديها المفاعلات الذَّريَّة، وقد تصبح بعد سنتَين أو ثلاثٍ مالكةً للقنبلة الذرِّية، فتنقلب موازينُ القُوَى في المنطقة، وتعود من دُويلة احتلال مغتصِبة لجزء من أراضي العرب إلى دولةٍ مهاجِمة، تُحقِّق أطماعَها الإجراميَّة.

مرَّةً أخرى: لتستمرَّ العاصفةُ في أعمالها البطوليَّة، وليَسعَ الفلسطينيُّون للاستعداد لحرب مع الصِّهيَونيَّة على نِطاق أوسع.

هذا رأيي، وأحسبه يعبِّر عن رأى الأمَّة الإسلاميَّة، ولا سيَّما الفلسطينيِّين.

والله يُوفِّق العاملين في سبيل الحقِّ والخير.

واجبنا تجاه الباكستان[1]

تناقلَتِ الصُّحف المحلِّية الصَّادرة في ٤/ ٥/ ١٣٨٥هـ تصريحَ رئيس مجلس الأمَّة الباكستاني السيِّد عبد الجبَّار خان عن تأييد باكستان - حكومةً وشعبًا - لعرب فلسطين، ولكلِّ قرار تتَّخذه الدُّولُ العربيَّة لحلِّ المشكلة الفِلسطينيَّة.

وقد تناقلَت وكالات الأنباء والإذاعاتُ هذا التَّصريح.

وممَّا قاله رئيس مجلس الأمَّة الباكستانيِّ في تصريحه، الذي أدلى به في بيروت: إنَّه يطلب من الدُّول العربيَّة تأييدَ موقف باكستان من قضيَّة كَشمير في إجراء استفتاء حُرٍّ، يُقرِّر فيه شعب كَشمير نوعَ الحُكم الذي يريده، وإن كانت بعض الصُّحف لم تنشرِ الجزءَ الأخيرَ من التَّصريح!

ولا يسَع المرءَ إلَّا أن ينظر بإعجابٍ وتقدير لموقف باكستان النَّبيلِ مِن القضايا العربيَّة جمعاء، ومن قضيَّة فلسطين بالذَّات؛ فباكستان وقفَت موقفًا صريحًا وحازمًا ضدَّ الصِّهيَونيَّة المعتدية، وأعلنَت بصِدقٍ تأييدَها المطلقَ

(١) "عكاظ"، العدد (٢٧٦)، في ٢٠/ ٥/ ١٣٨٥هـ.

لعرب فلسطين في المحافل الدوليَّة، والمؤتمرات العامَّة والخاصَّة، وفي كلِّ حين، بل إنَّ باكستان تؤيِّد هذه القضيَّةَ العادلة، وتُناصرها أكثرَ من بعض المتزعِّمين العرب.

ولا ريبَ أنَّ باكستان عندما تفعل ذلك فإنَّما تفعلُه بدافعٍ من عقيدتها ودِينها؛ فهي تلتقي مع العرب لقاءً يفوق الأنساب، والقوميَّات والوطَنيَّات، لقاءً دِينيًّا ساميًا، وهي بذلك تؤدِّي واجبَها.

ولكن ما هو موقِفُنا تُجاهَ باكستان التي أدَّت واجبَها حِيالَنا؟

إنَّ واجبَنا أن نؤيِّدها في حقِّها المشروع دونَ مُواربةٍ أو التِواء.

لو لم يكن يجمعنا مع باكستان الدِّينُ والعقيدة، لكان مِن واجبنا أن نُكافِئَها على صنيعها المشكور تُجاهَ قضايا العرب، كيف وما يربطنا بها أقوى من أيِّ رباط على وجه الأرض؟! ففي القرآن العظيم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠].

ثم إنَّ من صفات العرب الوفاء، وباكستانُ التي صدَقَت مع العرب، وصمَدَت ضدَّ الصِّهيَونيَّة في كلِّ

مجال؛ في السِّياسة والاقتصاد والدِّعاية - جديرٌ بنا أن نتَّخذ إزاءَها ما يُمليه الواجبُ الدِّيني، والضميرُ الحي، حتى نستطيعَ أن نقوِّيَ أنفسنا باجتماع القُوى الكثيرة، وحتى يكون حافزًا للآخَرين على أن يؤيِّدوا قضايانا العادلة.

أمَّا إذا كنَّا لا نُفرِّق بين عدوٍّ وصَدِيق، وبين من يؤيِّدنا حقيقة، ومَن يُعطينا معسولَ القول إذا دعَتِ الحاجة، ثم يَطعن من الخَلف، فسوف لا نجد مَن يؤيِّدنا، ولا مَن يعطف على قضايانا، بل سيَنقلبُ المؤيِّدون إلى خُصوم، ويتحوَّل الأصدقاء إلى أعداء!!

ولستُ أدعو لعصبيَّة جاهليَّة بأن نؤيِّد أصدقاءنا، حتى في أخطائهم، ولكن ما أدعو إليه هو نُصرتهم في قضاياهم الحقَّة.

إنَّنا نجد مسلمين يُضطهَدون، ويُريد المتعصِّبون إبادتَهم، أو تحويلَهم عن دينهم بالقوَّة والبطش، ومع ذلك لا نسمع إلَّا أصواتًا خافتة، وكثيرًا ما نسمع ونقرأ التأييدَ لأعداء المسلمين في عُدوانهم!

بريطانيا هي هكذا!![1]

التَّصريح الذي أدلى به وزيرُ الدَّولة في وزارة الخارجيَّة البريطانيَّة طومسون، والذي قال فيه: «إنَّ بريطانيا سوف لا تَبقى محايدةً في حال حدوث حرب ضدَّ إسرائيل».

وقال: «إنَّ من أهداف جولته في الشَّرق الأوسط أن يوضِّح أنَّ بريطانيا لن تسعى لإقامة عَلاقات أفضل مع البلاد الأخرى على حسابِ عَلاقاتها الطيِّبة مع إسرائيل».

هذا التَّصريح لم يأتِ بجديدٍ في السِّياسة البريطانيَّة منذ (وعد بلفور)، وسياسة تشرشل، وإيدن، وأضرابهما؛ فهي سياسةٌ قائمة على مُعاداة العرب، وهي جزءٌ من حملة صليبيَّة تستهدف القضاءَ على الإسلام في العالَم العربي، والعالَم الإسلامي، تقوم بريطانيا فيها بنصيبٍ وافر.

ومهما تمسَّحَت هذه السِّياسة بالأساليب المتنوِّعة وتشكَّلت بالأزياء المتباينة، فهي تسعى لهدف واحد، وكلُّ

(١) أُرسلت لـ"البلاد" في ٦/ ٧/ ١٣٨٥هـ.

مَن يتجاهل هذه الحقيقةَ فهو مغالِط، ولا نُريد أن نذكِّر بريطانيا بما تُزجيه بين آونة وأخرى من عباراتٍ تَفيض بالنُّعومة، وتُخفِي المكرَ الإنكليزيَّ العتيد، ولا بدعاوى التَّمويه والصَّداقة التَّقليديَّة الموهومة، ولن نطلبَ مِن حكومة تحتفظ بوزيرٍ للمستعمَرات في هذا الوقت أن تحترمَ العرب وتُكرمهم؛ لأنَّا عندئذٍ نكون قد أضَعنا الوقت سُدًى، ورُمنا المستحيل، ولكنَّا نريد أمرين لا ثالثَ لهما:

أمَّا أحدهما: فهو الحَزم والاستعداد، والردُّ الصريح القويُّ مع الدُّول العربيَّة، متعاونةً مع الدُّول الإسلاميَّة؛ «فكلُّنا في الهمِّ شَرق».

وأمَّا ثانيهما: فهو تذكيرٌ لبريطانيا؛ الدَّولة الاستعماريَّة التي انحسَر عن هامتها التَّاجُ والجواهرُ بضَياع الهِند، والدُّول الكثيرة التي تحرَّرت من الاستعمار البريطانيِّ في آسيا وإفريقيا، لم يَثنِها عن عزمها جيشٌ مستعمِر، ولا تهديدُه، ولا أساطيلُه ودهاؤه، وكانت بريطانيا في النِّهاية هي الخاسرة، ولتَذكُر بريطانيا أنَّ الزَّمن قد تغيَّر، وإقامة ما يُسمَّى بدولة الصِّهيَونيِّين في فلسطين يختلف عن حرب السُّويس، أليس كذلك؟!

أحسبُ أنَّ هذا الكلام مفهوم، حتَّى لساسة بريطانيا العريقين!

ولو أنَّ مسؤولًا بريطانيًّا صرَّح خلافَ تصريح طومسون لكان غريبًا، ومع ذلك فلتعلَم بريطانيا أنَّها حينما تُقدِم على الوقوف إلى صفِّ اليهود فيما لو حدثَت حرب بين العرب واليهود، فسيكون وبالًا عليها، وسوف تَجني منه خَسارًا واندحارًا.

إنَّ العرب يملكون الزَّيتَ الذي تتغذَّى منه مصانعُ بريطانيا، وآلاتُها ومُعدَّاتها، وأساطيلُها الجويَّة والبحريَّة والبرِّية، وتتَّخذ منه وَقودًا في بيوت أبناء الإنكليز، ودفئًا لدُورهم وأجسامهم، وهم يعرفون جيِّدًا كيف يتصرَّفون في مِلكيَّته، ويُحسِنون تقديرَه. وإنَّ السُّوق العربيَّة التي تكون ميدانًا واسعًا للمنتجات البريطانيَّة؛ الدَّولة التِّجارية التي تُدرِك جيِّدًا أهميَّةَ البُلدان العربيَّة في الاقتصاد الإنكليزي، وتأثيرها عليها - هذه السُّوق يمكن أن تُزعزع الاقتصادَ البريطاني.

والشُّعوب العربيَّة وعَت، وتجاوزَت سِنَّ الطُّفولة، وشبَّت عن الطَّوق، ولا يمكن إغفالُ وعيها ورغبتها

وإرادتها، أحسب أنَّ هذا الكلام واضحٌ لا امتراءَ فيه، وإذا كان الإنكليزُ يشكُّون في شيء من ذلك فسيرَون ما يُزيل دعايات الصِّهيَونيِّين وأباطيلَهم.

وبعدُ، فإنَّ الدُّول الغربيَّة بتحدِّيها لمشاعِر المسلمين، إنَّما تعمل لغَير مصلحتها؛ فهي بهذا تمكِّن للشُّيوعيَّة وتُفسِح المجالَ أمامَها؛ لتستفيدَ من الفرص التي هيَّأَتها لها هذه الدُّول، وبذا تنال الشُّيوعيَّة ثقةَ البعض ممَّن لا يعلَمون أخطارها ومخطَّطاتها.

والعجب أنَّ الدُّول الغربيَّة بعدائها للعرب والمسلمين، وتوجيه سياستها لهذا الغرض دائمًا - كان دفعًا قويًّا لامتداد الشُّيوعيَّة وروَاجها، فهل تُدرك بريطانيا وأمريكا وأندادهما أنَّهم يَجنُون على شعوبهم بمثل هذه التَّصرُّفات الخاطئة؟!

نقول هذا، وعندَنا شكٌّ كبير في أنَّ الدُّول الغربيَّة ستتراجع عن طريقتها العدائيَّة، وتسلك السبيلَ الصَّحيح، ولكنَّه تذكيرٌ على أيِّ حال!

أيَّام حاسمة(١)

العالَم الإسلاميُّ يمرُّ هذه الأيَّامَ بمرحلةٍ من أدقِّ المراحل، وأكثرِها مفاجآت، ولقد اهتزَّ العالَمُ كلُّه، وأوشك أن يشهَد صِراعًا عنيفًا في منطقةٍ من أغنى المناطق وأهمِّها، وطرِب المسلمون للأنباء التي تتردَّد عن قُربِ تحرير فلسطين من الصَّهاينة، وعودة الفلسطينيِّين المشرَّدين إلى بلادهم بعد نَكبةٍ دامَت تسعةَ عشَر عامًا في مأساةٍ مِن أبشع المآسي وأفجَعِها.

وهذا الوضع الذي يُهدِّد بالانفجار قد لا يكونُ له مبرِّر لولا انسياقُ دولةٍ تعدُّ أكبرَ دولة في العالم، وأغنى دولة.

إنَّ العالَم العربيَّ يحتاج إلى الاستعداد بكلِّ الطَّاقات، وجميع الإمكانيَّات، وممَّا يسُرُّ المرءَ أن يجدَ هذا الإجماع، وتناسِيَ الخِلافات، والاستعدادَ للبذل والفِداء، على مستوى الحكومات والشُّعوب.

(١) أُرسلت لـ"الزمان" اللبنانيَّة في ١٩/ ٢/ ١٣٨٧هـ، وكان المؤلف حينذاك في لبنان.

ولكنَّ الذي يُحيِّر المراقِبَ للأحداث هذه النَّغَماتُ الناشزة، التي تَخرج من بعض الإذاعات، وفي ظروفٍ كهذه، والتي تُهاجم بعضَ الزُّعماء العرب، وتتَّهِمهم بتُهم غيرِ صحيحة، وتشتُمهم بألفاظٍ نابية. وهذا مع مناقضاته للحقائق الواقعة فإنَّه يضرُّ كثيرًا باتِّحاد الصُّفوف المطلوب في كلِّ حين، وفي هذه الأيَّام بصورة أكثر.

إنَّ الحِكمةَ تقضي بالسَّعي لرصِّ الصُّفوف، وشدِّ الأَزر بدلًا من الشَّتائم، والألفاظ البذيئة.

وإنَّ مَن يستمرُّ في هذا السُّلوك، فإنَّه يُسيء إلى فلسطين، وإلى حقوق أبنائها، ويعتبر عاملَ هَدم في كِيان الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة، لا يقلُّ عن المخذِّل والمرجِف في الحرب. ومن ثَمَّ فإنَّ أملَنا ألَّا تكون الغوغائيَّة متحكِّمةً في تصرُّفات بعض المسيطرين على أجهزة الإعلام في أقطار عربيَّة مندفعةٍ في طريق محفوفةٍ بالمخاطِر، وأن يكونوا مقدِّرين للمسؤوليَّة، والمحافظة على حقوق شعب فلسطين بتوحيد الجهود بدلًا من تشتيتها.

وإذا كانتِ المعركةُ المرتقَبة في حاجةٍ إلى تجنيد كلِّ الإمكانات، فإنَّه يُلاحَظ ضَعفُ الدِّعاية العربيَّة في المحيط

العالمي، هذا بينما العدوُّ يستخدم وسائلَ الدِّعاية المتنوِّعة، ويطوف زعماؤه في البُلدان التي يُؤمَّل منها العونُ والمساندة.

إنَّنا نريد مِن القادة العرب والرسميِّين الكِبار أن يُعبِّروا عن وجهات النَّظر العربيَّة بواسطة الوسائل الإعلاميَّة، والاتِّصال بالمسؤولين في الدُّول الأجنبيَّة، وشرح وجهة نظر شعوبهم، وأن يُلقوا المحاضرات، ويَعقِدوا النَّدَوات، ويتحدَّثوا مع أولئك النَّاس؛ لكي يُزيلوا الغبارَ الذي يُثيره العدوُّ، ويحجُب به الرُّؤية السَّليمة، ويبثُّ مغالطاتِه بين الشُّعوب؛ ليُعميَها عن الحقيقة.

ومِن أوَّلِيَّات الاستعداد لاسترداد فلسطين: إيلاءُ هذا الموضوع أهميَّةً خاصَّة، والمباشرة في تنفيذه، والبلاد العربيَّة والإسلاميَّة - بحمد الله - لا تنقُصها الكفاءات، ولا يُعوِزها الرِّجال القادرون على الإيضاح والإقناع، وإبداء الرَّأي الواضح.

إنَّ هذه إحدى الأسلحة الفتَّاكة في الحرب بين العرب وإسرائيل، سواء كانت حربًا باردة أم ساخِنة، وأحسب أنَّه قد آن الأوانُ لإنفاذه عاجلًا، بلا إبطاءٍ ولا تردُّد.

غباء سياسي![1]

في إبَّان هذه الأزمة التي تمرُّ بها المنطقة العربيَّة نتيجةً للعُدوان الإسرائيليِّ تظهر أمريكا على مسرح الأحداث وكأنَّها صِهيَونيَّة أكثرَ من الصِّهيَونيِّين أنفسِهم، ويبدو المسؤولون الأمريكيُّون في وضع مؤسِف، وانحياز للصِّهيَونية سافِر يصل إلى التَّهديد بالحرب.

ولقد اعتادَ العربُ هذه المواقفَ من الأمريكيِّين منذ عهد روزفلت، وترومان، حتى هذه الأيَّام، وإلى ما شاء الله.

والغريب في الأمر أنَّ الذَّريعة التي تلجأ إليها أمريكا كلَّما أرادَت مساندةَ اليهود على حساب العرب، وتضييع بلادهم، وتشريد أبنائهم هي: المحافَظةُ على السِّلم! وهذا السِّلم الذي يدَّعيه الرَّسميُّون الأمريكيُّون هو غير السِّلم الذي يَعرفه العالم؛ ذلك أنَّها تُشبه المطَفِّفين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾ [المطفِّفين: ٢-٣].

---

(١) سلِّمت لـ"النهار" اللبنانيَّة في ٢٠/ ٢/ ١٣٨٧هـ، عندما كان المؤلف في بيروت.

فحين يقَع العُدوان من الصَّهاينة، فذلك نصرٌ ومجدٌ لدولةٍ فتيَّة مثاليَّة في نظَرها! أمَّا عندما تحاول الدُّولُ العربيَّة أو أيُّ دولة عربيَّة إيقافَ العدوان عند حدِّه، واستعادةَ الحقِّ السَّليب، فإنَّ هذا في رأي الأمريكان خرقٌ صريحٌ لِميثاق الأمم المتَّحدة، ولحقوق الإنسان، وخطر يُهدِّد السَّلام في المنطقة، وفي العالم أجمع!

إنَّ اليهود - الذين يُشكِّلون ستَّةَ ملايينَ من مجموع سكَّان الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة - ذَوُو نفوذ قويٍّ على الدَّوائر الرَّسميَّة؛ بما لهم مِن أصواتٍ انتخابيَّة، وأجهزة إعلام، وعصابات مُتغلغِلة تنخر في جسم الشَّعب الأمريكيِّ، وتُضلِّله.

ولكن من الغباء أن يدَّعي حُماةُ إسرائيل أنَّ هدفَهم هو المحافظةُ على السَّلام دونَ مآربَ ودوافعَ أُخَر، ومن السَّذاجة أن يظنُّوا أنَّ الناس سيُصدِّقونهم، بدليل أنَّ أحداثًا كثيرة وقعَت في العالم، فلم تُثِر اهتمامَهم، ولا رأوها خطرًا على السَّلام!

ومن النَّاحية الإنسانيَّة، فلم تُحرِّك هذه الدُّولُ ساكنًا حينما ذُبِح أكثرُ من عشَرة آلاف عربي مسلِم في زنجبار!

ولم تُعِرِ انتباهًا لقضايا مماثلةٍ ومُشابهة، فلماذا تختصُّ إسرائيل بهذه النِّعمة، وهذه الرِّعاية؟!

ومن ناحيةٍ ثالثة، فإنَّ مَصالح تلك الدُّول تُحتِّم عليها إذا كان هدفُها صيانةَ مصالحها ألَّا تُناصِبَ الدُّولَ الإسلاميَّة العَداءَ بسبب موقفها المنجرف مع اليهود، وهي تعلم - إذا أرادَت - أنَّ البلاد الإسلاميَّة لا تقبَل هذا الموقِف، وأنَّها تستنكر ذلك العملَ وتُندِّد به، وبالتالي فإنَّ المصالح الأمريكيَّة ليسَت مهدَّدة في العالَم العربيِّ فحَسب، بل إنَّها قد جرَّت على نفسها عَداءَ حوالي سِتِّمئة مليون مسلم، وهذا ما يجب أن تفكِّر فيه طويلًا قبل أن تتمادى في طريقها الجائر.

وشيءٌ آخرُ يجب أن يَعيَه المسؤولون الأمريكيُّون، وهو أنَّهم قد هيَّؤوا للاتِّحاد السُّوفيتي وغيرِه من دول المعسكر الاشتراكيِّ فرصةً نادرة، حيث ظهَروا في موقف المُدافِع عن حقوق العرب، وعن فلسطين بالذَّات، وهي القضيَّة الإسلاميَّة والعربيَّة التي لا يختلف اثنانِ في العالَمين - العربيِّ والإسلامي - فيها، مهما اختلفَت اتِّجاهاتُهم ومذاهبُهم وآراؤهم، هذا في الوقت الذي تُبرز

أمريكا وبريطانيا وكندا وأمثالها من المعسكَر الغربيِّ موقفَ العَدَاء من حقِّ الفلسطينيِّين في الدِّفاع عن بلادهم، وردِّ العدوان الصِّهيَوني.

إنَّ أمريكا التي تحارِب الشُّيوعيَّة في فيتنام، وتَخسَر الجنود والعَتادَ والأموال لهذه الغاية - تهيِّئ للشُّيوعيَّة الانتشارَ، وتمنَحُها سُبلَ الدُّخول إلى العالم، بما تتَّخِذه من مواقفَ لا تَخدُم السِّلم، ولا المصالحَ الأمريكيَّة بحالٍ من الأحوال، وماذا يمكن أن يُسمَّى مثل هذا التصرُّف إن لم يكن غباءً من طراز فريد؟!

لا هُدنة ولا استسلام[١]

هذا ما يجب أن يقولَه المسلِمون بكلِّ جرأة وتطبيق، ليقولوها مع العرب المخلصين: لا نرضَى بالهُدنة، ولا نوقِف إطلاقَ النَّار، وليردِّدوها مع المخلِصين لدِينهم، والذَّابِّين عن حِماهم، والمناضلين عن كرامتهم: نُريد الجهادَ في سبيل الله؛ فإمَّا حياة عزيزة، وإمَّا مِيتة كريمة.

الجهادُ في سبيل الله هو ما يجب أن يَملِك على المرء حوَاسَّه، وأن يكون نغمتَه المطرِبة، وأمنيَّتَه المبتغاة، وإذا كان العرب قد فَشِلوا في هذه المعركة، فلا يليق بهم أن يركَنوا للذُّلِّ، ولا يستكينوا للهزيمة، ولا يلوذوا بالفِرار، وإنَّما يجب أن يأخذوا دروسًا من المعركة، ويُخطِّطوا من جديد بعدَ تلافي الأخطاء، وتدارُك الزَّلل.

وليضَعوا نُصبَ أعينِهم قولَ الله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ

(١) "الجريدة"، العدد (١٣٨)، في ٦/ ٣/ ١٣٨٧هـ.

لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

لقد مرَّت بالأمَّة الإسلاميَّة في تاريخها الطويل حروبٌ ومَعارِكُ انتَصروا في بعضها، فكان لهم العِزُّ والمجد، وهُزِموا في بعضها، فلم يَجبُنوا، ولم تُفلَّ عزائِمُهم، وكم مِن هزيمةٍ كانت سببًا لانتصارات عظيمة!

لقد تعلَّمنا من الأحداث القريبة أنَّ قضيَّة فلسطين قضيةٌ إسلاميَّة، يُهِمُّ أمرُها المسلمين من غير العرب كما يُهِمُّ العرب، وجزَى الله الشَّدائد كلَّ خير؛ فقد أظهرَت مواقفَ مشرِّفة للباكستان والصُّومال وإندونيسيا وغيرها من بلاد المسلمين؛ دفاعًا منهم عن الإسلام وعقائده، ومقدَّساته وأهله.

وعلى ذلك فمِن المحتَّم اعتبارُ التَّعاون بين المسلمين أساسًا لحلِّ قضيَّة فلسطين، كما كان يُنادي بذلك المخلِصون الواعون.

كما علَّمَتنا هذه الحرب: أنَّ الاستبداد في الرأي، والغرورَ، والتَّنابزَ بالألقاب ليست طريقًا صحيحة جديرة بالتمسُّك بها، وأنَّ التَّآخيَ بين المسلمين ومشاورتَهم، وتعاونَهم وإخلاصَهم من أهمِّ أسباب النَّصر، وعوامل الظَّفَر.

وإنَّ من فوائد هذه المعركة استبانةَ المسلمين أنَّ اعتمادهم على غير الله، شرقيًّا أم غربيًّا، وتلقُّفهم لمبادئَ وشعاراتٍ مُعاديةٍ للإسلام - مِن موجبات الهزيمة، ودواعي الفشَل، وأنَّ عليهم إذا ما أرادوا النَّجاح الاعتمادَ على الله، وأن يكونوا إخوةً متعاونين كالبنيان المرصوص، متَّبِعين في ذلك أمرَ الله، وإنَّهم - بحَول الله - لَقوَّةٌ يُرهَب جانبُها، وتُخشى وقائعُها إذا ما أحسَنوا الاستفادةَ ممَّا يملِكون، وعرَفوا كيف يوجِّهون طاقاتِهم المادِّيةَ والمعنويَّة، وإذا ما صَدَقوا العزم، ورجعوا إلى الدِّين، واقتدَوا بسيِّد المرسَلين.

وقد آنَ للمسلمين أن يُعنَوا بالإعلام والتَّوجيه؛ ليعرِّفوا الناسَ بقضاياهم، وأن يُعبِّئوا قُواهم، ويأخذوا حِذرَهم، ويستعدُّوا، وهم في ذلك يكافحون شرورَ المعتدين الذين يريدون أن يَقضُوا على الإسلام في مَهدِه، وعلى العرب في معقلِهم.

إنَّ إسرائيل تَطمحُ إلى أن تستوليَ على المدينة المنوَّرة ومكَّة المكرَّمة، وعلى بلاد المسلمين جميعًا، فهل يَرضى المسلِمون أن يَقفوا متفرِّجين ينتظرون دَورَهم في التَّصفية؟! كلَّا، لن يَرضى بذلك مسلِمٌ أو عاقل.

وإذَن فمن الخير لهم أن يَهبُّوا اليوم هبَّةَ رجل واحد للجِهاد في سبيل الله، وللذَّود عن حِماهم، وللدِّفاع عن أنفسهم قبل أن تفوتَ الفرصةُ السَّانحة، التي أتاحَتها إسرائيل لهم، ببدئها بالعدوان، وانتهاك بلاد المسلِمين في المسجد الأقصى وغيره.

إنَّ العدوَّ الإسرائيليَّ يعمل على إنتاج القُنبلة الذرِّية، وقد جنَّد لها طاقاتٍ هائلة، وعندَه المُفاعِل الذَّري في ديمونة قُربَ مدينة بئر السَّبع، والفُرن الذَّري في نحال روبين قُربَ رحبوت، وعندَه عدد من المؤسَّسات العِلميَّة للأبحاث الذرِّية؛ كمعهد وايزمان في رحبوت قُربَ تل أبيب، ويوشِك أن ينتجَ قنبلتَه، أو قنابلَه الذرِّية، وعند ذاك سوف لا يتورَّع من استخدامها ضدَّ المسلمين.

ومن ثَمَّ فإنَّ على المسلمين أن يُشعلوها حربًا ضروسًا على إسرائيل، يُلقِّنوها فيها درسًا لن تنساه، ولن يستطيع الأمريكان أو الإنكليز حمايتَها عندئذٍ، وها هي الفرصة مُؤاتية، فاهتَبِلوها أيُّها المسلمون قبل ألَّا ينفع النَّدم؛ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وعلى أمَّة المسلمين أن تنبِذَ كلَّ جَبان وخائن، ومثبِّط للهِمم، وداعٍ إلى الاستسلام، وأن تَمضي قُدمًا إلى حيث المجدُ والعظَمة، إلى عِزِّ الآخرة والدُّنيا، إلى حيث يجب أن يكون المسلم الحقُّ.

الحرب هي الحلُّ الوحيد[(١)]

الذين يتصوَّرون حلَّ المشاكل النَّاجمة عن الحرب بين العرب وإسرائيل سينبُع من مجلس الأمن، أو هيئة الأمم مخطِئون خطأً فادحًا يضرُّ بالقضيَّة كثيرًا، ويُعطي لإسرائيل مجالًا للإرهاب والاعتداء، والاستخفاف بالعرب وقضاياهم الخطيرة.

صحيحٌ أنَّ مناقشة القضيَّة في الأمم المتَّحدة ومجلس الأمن قد يكون كسبًا أدبيًّا للقضيَّة، إلَّا أنَّه ليس بديلًا عن الحلِّ الحازم، الذي يُلقِّن إسرائيل ومَن يشجِّعها على العدوان، ويُعطيها درسًا لا يُنسى. وإنَّ من خَطَل الرَّأي الظنَّ بأنَّ المناقشاتِ الطَّويلةَ والاعتراضاتِ والمداولاتِ في هيئة الأمم ستكون نتيجتُها حلًّا يضمن حقوقَ العرب، ويُدافِع عن المقدَّسات الإسلاميَّة على نحوٍ تستعيد به الأمَّةُ الإسلاميَّة هيبتَها وحقَّها. ومَن يتصوَّر ذلك فهو يُخطئ في حقِّ نفسه، وفي حقِّ أمَّته، وقد يُعرِّضها هذا الوهم لنكبة أشدَّ خطورةً وأقسى واقعًا؛ لأنَّه يعني الرُّكونَ إلى الخيال،

---

(١) "الدعوة"، العدد (١٠٨)، في ٢٦/ ٣/ ١٣٨٧هـ.

وإهمال الاستعداد الذي يجب المبادرةُ له، ممَّا يُتيح للعدوِّ فرصًا للتَّمادي في العدوان، والانقضاض مرَّة أخرى على البلاد الإسلاميَّة بمساندةِ الاستعمار الغاشم، الذي يريد أن يسلبَ الأمَّةَ خيراتِها، ويُدمِّر مقدَّساتِها، ويُمزِّق أوصالَها بكلِّ وسيلة.

وإنَّ من له إلمام بالتَّاريخ يعرف مطامِعَ اليهود في البلاد الإسلاميَّة، ممَّا أظهرَته بجلاءٍ الأحداثُ في هذا القرن، وفي العدوان الأخير على عددٍ مِن البُلدان العربيَّة في وقتٍ واحد، وهذا التَّخطيط من جانب العدوِّ يجب أن يُقابَل بتخطيط مماثِل، وباللُّغة التي يعرفها، أمَّا أن نتخيَّل أنَّ هيئة الأمم التي لا حولَ لها ولا طَول، أو مجلس الأمن الذي تتسلَّط عليه دولتانِ كبيرتان متناقضةٌ أهدافُهما - سيُقدِّمان الحلَّ العادل على طبق من ذهب، فهذا غايةٌ في البلاهة، وأشدُّ منه غباءً مَن يُؤمِّل من أعداء المسلمين أن يتحوَّلوا عن موقفِهم المُعادي.

إنَّ أمام العرب حلًّا واحدًا هو الحرب مع إسرائيل، وأيُّ حلٍّ غيره، فهو ليس في صالِح العرب بتاتًا، ولو كان انسحاب اليهود من الأراضي التي احتلُّوها مؤخَّرًا، بما

فيها القدس القديمة، وهذا يعني أنَّ على العرب أن يستعدُّوا للحرب، وأن يُعبِّئوا قُواهم الماديَّة والبشريَّة، والسياسيَّة والعسكريَّة، والاقتصاديَّة والإعلاميَّة، وأن يبادروا بشراء الأسلحة، ولا سيَّما الطَّائرات المقاتلة والدبَّابات، وأن يدركوا أنَّ انتصارهم منوطٌ بنصر الله لهم.

وذلك ممَّا يقتضي الرُّجوعَ إلى الدِّين، وطرحَ الشِّعارات المعادية له، وأن يقتدوا بما أمَرَهم الله من الاستعداد، وأخذ الحذر؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ۝٧١﴾ [النساء: ٧١]، وأن يتَفاهَموا مع زعماء المسلِمين، ويتَعاونوا لِما فيه خيرُ الإسلام والمسلمين، ورِفْعة شأنهم، وإعلاء كلمة الله، ويُعلنوا الجِهادَ في سبيل الله مِن أجل نُصرة دِينه، والدِّفاع عن المقدَّسات، وقِتال أعداء الله، وأنَّ من يتخلَّف عن هذا الواجب فهو عاصٍ لربِّه، مسيءٌ إلى أمَّة الإسلام، وسوف ينال جزاءَه عاجلًا أم آجلًا.

إنَّ هذه الحقيقةَ يجب أن يعيَها العربُ اليومَ قبل أن يتمزَّقوا أيدي سبأ في خِضمِّ الدَّعَوات المتصارِعة، والآراء

المشتَّتة، والنَّزعات المذبذَبة.

إنَّ هذا هو الطريقُ الصَّحيح، وما سواه فمَضيعة للوقت والجهد، أمَّا المخذِّلون والمُرجِفون، وأصحاب الأهواء الدَّخيلة على العقائد الإسلاميَّة، فليعلَموا أنَّهم سببُ الهزائم، وأنَّهم إذا ما تمادَوا في غَيِّهم، فسوف تتكرَّر النَّكبات، وسوف تتحطَّم آمال الأمَّة على أيديهم، وبسبب ما اقترفوا.

إنَّ المعركة حاميةُ الوَطيس، ولن ينفعَ فيها المسكِّنات، وأنصاف الحلول، ومَن لا يعي هذه الحقيقة فسوف يندم ولاتَ ساعةَ مندَم، وهو المَلوم إذ تجاهل الشَّمس في رأْد الضُّحى.

وكلمة لا بدَّ مِن قولها لأولئك المتباكِين على السَّلام في منطقة الشَّرق الأوسط من أنصار الصَّهاينة ومُسانديهم: على رِسلِكم يا مَن لا تُنادون بالمحافظة على السَّلام إلَّا عندما تريدون خِذلانَ المسلمين، وتفتيتَ قوَّتهم، أمَّا عندما يُعتدى على المسلمين، فذلك في منطقكم الأعوج شجاعةٌ تؤيِّدونها، وبطولةٌ تناصرونها بكلِّ قُواكم! ولكن لتعلَموا أنَّ العرب المخلصين قد عَرَفوا طريقَهم، ولن

يثنيَهم تضليل، أو يفُتَّ في عضُدِهم دسائس، وحتى النَّكبات، فإنَّها ستكون حافزًا لهم على النُّهوض والعَزم، وإنَّهم لمنتصِرون بإذن الله، وسترتفع رايةُ الإسلام خفَّاقة، مهما تآمَر المتآمِرون، وتألَّب أعداءُ الله، وجندُ الله هم الغالبون.

المتفرِّجون على المعركة![1]

وأعني بهم أولئك الذين يَشهدون عُدوانَ اليهود المتكرِّرَ على بعض البُلدان العربيَّة، والأماكن الإسلاميَّة، وما تفعلُه هذه الشَّراذمُ من ذبح وسَلب وإرهاب حيالَ إخوانهم المسلمين، فلا يتحرَّك لهم ضمير، ولا يدفعُهم دِين، ولا تهتزُّ لهم كرامة، هل يَكتفي أولئك بالاطِّلاع على الحوادث في غير اكتراث؟ ويرَون الخطرَ يُداهمهم فلا يُحسُّون به، ولا يستعدُّون لمقاومته؟!

وإذا كانتِ الصِّهيَونيَّة والصَّليبيَّة قد نفَّذت خُططَها المجرِمة، واستطاعت أن تضربَ ضربةً غادرة في بعض بُلدان العرب، فهل تبقى الدُّول العربيَّة الأخرى صامتةً متفرِّجة، أو مكتفيةً بالتصريحات والوعود، أو لاهيةً متغافلة؟!

إنَّ إسرائيل لها مطامِعُ في كلِّ البُلدان الإسلاميَّة، ولا أحَبَّ إليها من أن تجدَ المسلمين متفكِّكين، أو شامتين ببعضهم؛ لتبتلعَهم واحدًا بعد الآخر، ولتستوليَ على

---

(١) "الدعوة"، العدد (٢٠٩)، في ٣/ ٤/ ١٣٨٧هـ.

أرضهم بلدًا إثرَ بلد.

وإذا كانت عصابات الصَّهاينة قد حقَّقَت انتصارًا بمعاونة بعضِ المستعمِرين الغربيِّين، فليس معنى ذلك أن يقفَ المسلمون مكتوفي الأيدي؛ فالحرب سِجال، والأيام دُول؛ «يومٌ لك، ويومٌ عليك»، ولكن المؤلِم أن يَستمرئَ اليهودُ العدوانَ متبجِّحين بما حصلوا عليه من نصر، ثم لا يتكاتفَ المسلمون، ويجمعوا أمرَهم؛ ليلقِّنوا إسرائيل الدَّرسَ القاسي، وليَقلِبوا نصرَها إلى هزيمة ساحقة، وليجعلوا أفراحَها أتراحًا، وعُرسَها مأتمًا، فالعربُ لديهم إمكانياتٌ وفيرة من المال، والثَّروات النفطيَّة والمعدنيَّة والزِّراعيَّة، وموارد هامَّة من سياحيَّة وممرَّات مائيَّة، ومواقع إستراتيجيَّة، وطاقات بشريَّة، ومعهم المسلِمون من غير العرب يشدُّون أَزرَهم، ويقفون بثبات إلى جانبهم، كما برهنَت على ذلك الأحداثُ الأخيرة.

وإذا كان العرب لم يستفيدوا مِن كلِّ ذلك في حربهم الأخيرة مع العدوِّ لأسبابٍ معروفة، وأسبابٍ غير معروفة، فلا ينبغي أن يظَلُّوا هكذا دائمًا، وإنَّما يجب أن يُحسِنوا الاستفادةَ من ثروتهم، وأن يوجِّهوها الوِجهة النَّافعة؛

ليكونَ مصرفُها سليمًا، وطرقُها صحيحة؛ لتكونَ دِعامةً لإعلاء شأنِ المسلمين وقوَّتهم، وأن ينتفعوا بالطَّاقات التي حَباهم الله بها، وأن يتشاوَروا، ويتعاوَنوا لِما فيه عزُّ الأمَّة، ورِفعةُ شأنهم، وأن يُعدُّوا كلَّ ما يستطيعون لخوض المعركة من جديد، وأن يُقدِّروا خطورةَ الموقف، ويتيقَّنوا أنَّهم أمامَ عدوٍّ يريد الانقضاض عليهم جميعًا؛ ليُحيلَهم إلى مشرَّدين، يَهيمون على وجوههم بلا قرار، بعد أن يقتلَ من يقتلُ منهم.

إنَّ واجب المسلمين أن يقفوا موقفًا حازمًا يستعيدون فيه هيبتَهم، ويُدافعون عن معتقداتهم، ويردُّون عدوانَ المعتدين. أمَّا مَن ينكُص عن أداء واجبه، ومَن يقف متفرِّجًا وقتَ الجِدِّ، ويلهو حين يشتدُّ لهيب الحرب، ومَن يُفرِّق شملَ المسلمين، ويُبدِّد قُواهم، فكلُّ هؤلاء مسيئون في حقِّ دِينهم وأمَّتهم، وسوف ينالون ما هم به حَريُّون، ويَلقَون ما يستحقُّون. ولن ترضى أمَّة الإسلام أن تجدَ بين صفوفها أمثالَ هذه الطُّفيليَّات السامَّة؛ بل إنَّها ستنبِذهم نبذَ النَّواة، وتُوقِع بهم أشدَّ العقاب، جزاءَ خُنوعهم، وجُبنهم وخيانتهم.

إنَّ المسلمين يقفون اليومَ في مفترَق الطُّرق، والزَّمن يمضي سريعًا، وعليهم أن يُدركوا أنَّ الحرب لا مَناص منها، وأنَّ إسرائيل لن ترتدعَ عن عدوانها إلَّا بلُغة المِدفع والنفَّاثة، والدبَّابة والصَّاروخ. أمَّا العويل في هيئة الأمم، وعَرض الصُّور الدَّامية؛ استدرارًا للعطف، فتلك ليسَت من شِيمة المسلم، ولا من كرامة العربي، ولن تردَّ المعتدي، أو تحفظ للعرب ما فَقدوه في المجال الأدبيِّ والسِّياسي، والمادِّيِّ والعسكري، وإنَّما كما يقول الشَّاعر العربي:

السَّيفُ أصدَقُ إنباءً مِنَ الكتُبِ
في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

دروس من النَّكبة[1]

ليس غريبًا أن تَحصلَ الخسائرُ في الحروب، وليس مُستنكَرًا أن تقعَ الهزائم؛ فتلك سُنَّة الحروب، وذلك واقعُها، ليس فيها غالبٌ دائمًا، ولا مغلوبٌ دائمًا، وأفدحُ من النَّكبة اليأس؛ فعندما يتسرَّب إلى النُّفوس، فذلك الخطرُ كلُّ الخطر، والنَّكبة التي تهون أمامَها جميعُ الهزائم.

والأمم القويَّة قد تَلحق بها الخسائرُ والنَّكبات، وتنهَض ماضيةً في طريقها بعَزم وتصميم، غيرَ عابئةٍ بالنَّكبات، إلَّا لتأخذ منها درسًا، لكي تَمضيَ قُدمًا نحو النصر.

ولا نُريد ضَرب الأمثال؛ فكلُّ أمَّة وكلُّ شعب لا بدَّ وأن يكون قد جرَّب مرارةَ الهزيمة قبل أن يتذوَّقَ حلاوةَ النَّصر، وقاسى المشقَّات قبل أن يَلقى الرَّاحة، وتاريخُ العرب والمسلمين حافِل بالانتصارات، والهزائم أيضًا في بعض الأحيان.

---

(١) "عكاظ"، العدد (٨٢٦)، في ١٥/ ٤/ ١٣٨٧هـ.

وهذه النَّكبة التي حلَّت بأمَّة العرب والإسلام على يدِ عصابات الاحتلال الصِّهيَونيِّ وأعوانهم، يجب أن تكونَ وسيلةً لتدارُك الخطأ، والسَّعي لوضع الخُطط السَّليمة، ولسلوك الطَّريق الصَّحيح للوصولِ إلى النَّصر المبين.

وفي مقدِّمة ذلك: الرُّجوعُ إلى الدِّين، والاستمساك بحبل الله، وما أمرَ به من التَّعاون بين المسلمين، وتوحيد كلمتهم، والاستعداد وأخذ الحَيْطة والحذر، واتِّباع الخُططِ الصَّحيحة، التي كان الرَّسول وقادة الفتوحات الإسلاميَّة يَنهَجونها؛ مِن إخفاء التحرُّكات العسكريَّة، وكتمان الأسرار الحربيَّة؛ فقد كان الرَّسول إذا أرادَ غزوةً وَرَّى بغيرها، وقال: «الحرب خَدعة».

وقد قال رئيس وزراء الأردنِّ موضِّحًا بعض الأسباب: «إنَّ حصيلةَ معركتنا تقوم على ثلاث جُمل: جُرم صِهيَوني، وغَدر استعماري، وارتجال عربي».

«لقد كان العدوُّ يَبني ويعمل خلالَ العشرين عامًا الماضية، والأمَّة العربيَّة مع الأسف تعيش في جوٍّ من الارتجال والفوضى».

وقال: «إنَّ واجب العرب أن ينظُروا إلى الحقائق

بعُمق، وأن يدرُسوا أبعادَ المعركة بأسلوب جديد غيرِ الأسلوب الماضي، وأن يضَعوا الحلولَ للمرحلة القادمة».

وقال: «إنَّ بعض القادة العرب كانوا يُقدِّمون الأسلحة بأيديهم للعدوِّ عن طريق تصريحاتهم التي تُشير إلى أنَّ العرب سيُبيدون اليهود. وإنَّ العدوَّ الذي يسيطر على جميع أجهزة الإعلام في الولايات المتَّحدة استطاعَ أن يستغلَّ هذه التَّصريحاتِ في توحيد الرَّأي العامِّ العالميِّ ضدَّنا».

وهذه مقتطَفاتٌ من تصريحات رئيس وزراء الأردنِّ، وهي جديرةٌ بالدَّرس والاعتبار، وتنسيق العمل الجادِّ لتخليص فلسطين من شراذم اليهود.

فلماذا يتقاعس العربُ عن الاستعداد والبناء، والعمل المثمِر، بينما العدوُّ يعمل ويُخطِّط لعدوانه؟!

لدى العرب الإمكانات الكبيرة، فما الذي يَحول إذًا بينهم وبين التقدُّم السَّليم؟! ومَن الذي يُريد أن يقفَ عائقًا دونَ هذه الغاية؟!

ولماذا التَّنابذ والشِّقاق؟! ولمصلحة مَن يكون ذلك؟ وما الذي يَدفع البعضَ إلى التمسُّك بخطئه، ويظلُّ متشبِّثًا

بخيوط أوهَى من خيوط العنكبوت، متعلِّقًا بأعداء الإسلام، مبتعِدًا عن اللِّقاء مع زعماء المسلمين؟ وإلى متى يَبقى سادرًا في غَيِّه محطِّمًا أمَّة العرب بحماقاته وأهوائه المشبوهة؟

وما هي الدَّوافع التي دفعَت بعضَ المندوبين العرب ليردِّد في هيئة الأمم المتَّحدة: أنَّ العرب عازمون على إبادة إسرائيل، ويستشهد بأقوالٍ قِيلَت في مناسبة غير هذه المناسبة، ولكلٍّ مقام مقال؟!

هل ذلك المندوب ردَّد ذلك عن جهل بالسِّياسة، أو لأسباب غيرِ معروفة؟!

ونحن على أيِّ حال لا نُريد التَّلاومَ والانشغالَ بالنَّقد، ولكن نريد أن نستدركَ الأخطاء، وأن تكون عاملًا على عزم المسلمين وتصميمهم على تطهير المسجد الأقصى، وأراضي فلسطين من رِجس اليهود المعتدِين في تعاونٍ وإخلاص، وحِرص على مصلحة المسلمين، واسترداد حقوقهم.

إنَّها كلمةٌ يجب أن يعيَها من يتصدَّرون للزَّعامة، ويملؤون الدُّنيا ضجيجًا؛ لئلَّا يكونَ التَّهريج والفوضى

أساسَ الحلولِ المرتجَلة، والنَّكبات المتلاحِقة، وإنَّ أمَّة الإسلام - بحمد الله - قد فهِمَت دَورها، وسوف تعي الدُّروس؛ لتستفيدَ منها في أيَّامها القادمة.

مصنع الطَّائرات الإسرائيلي[1]

إسرائيل تُنشِئ مصنَعًا لتجميعِ الطَّائرات في الأراضي المحتلَّة بالاتِّفاق مع فرنسيٍّ يهودي، تتحمَّل إسرائيلُ ثلاثةَ ملايين دولار من تكاليفه، بينما يتحمَّل اليهوديُّ الفرنسيُّ ثلاثةَ ملايين دولار، وبهذا يكون رأسُ المال قد غُطِّي على لغة التُّجَّار!

ثلاثةُ ملايين دولار فقط، استطاعت إسرائيل أن تبنيَ بها مصنعًا للطَّائرات! أليس هذا ما يدعو إلى الدَّهشة والأسف؟!

الدَّهشة من أنَّ هذا المبلغ القليل - في نظر الكثيرين - قد أُنشِئ به مصنعٌ للطَّائرات، والأسفُ أن تكون عدوَّةُ الإسلام والعرب هي التي تقوم بمِثل ذلك، بينما كان الواجبُ أن يَسبق المسلمون لمِثل هذه الأعمال، وأن يُبادروا بإنشاء المصانع والاستعداد؛ لأنَّ الدِّين الإسلاميَّ يدعوهم لذلك: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن

(١) "الدعوة"، العدد (١١١)، في ١٧/ ٤/ ١٣٨٧هـ.

ﱡﭐرِبَاطِ ٱلۡخَيۡلِﱠ [الأنفال: ٦٠]، فكلُّ قوَّة تُعين على الجِهاد، وردِّ الأعداء، فالمسلِم مطالَب بتهيئتها، إذا كان يَقوى على ذلك؛ من المسدَّس والبندقيَّة، إلى المِدفع والطائرة والصاروخ، وهكذا دَواليك.

والمسلمون لديهم من الأموال والثَّروات، والطَّاقات البشريَّة، والإمكانات المادِّية، ممَّا لا تقدر إسرائيل على عُشْر مِعشاره، ولكنَّ طريقةَ الاستفادة مختلفة، وهذا مؤلِم حقًّا؛ فكم من أموال تُبذَّر، وكم من أناس يتخوَّضون في مال الله بغير حقٍّ، وكم من ثرواتٍ وجهود أُنفِقت على سَفك دماء المسلمين، وإثارة الفِتن بينهم، بينما العدوُّ يتربَّص بهم الدَّوائر!

مع أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة لديها قرآنٌ كريم؛ فيه هدايتُها وسعادتُها، وقد أوضح لها المَحجَّة، فلماذا لا تكون السبَّاقة؟!

وهل يرضى المسلِمون أن يكونوا مثالَ الضَّعف والهوان، حتَّى أصبحوا في حالةٍ مِن استهانة عدوِّهم بهم أن أصبحت شراذمُ اليهود تغزوهم في عُقْر دارهم، فلا يكبَحون جِماحَها، ولا يردُّون عدوانها؟!

أليس من المخجِل أن يستكين سِتُّمئة مليون مسلم، وهم يرَون اليهود يستولون على بيت المقدِس، ويغتصبون فلسطين، ويضربون الأردنَّ ومصر وسوريا بطائراتهم ومدافعهم ودبَّاباتهم، بتحريض الصَّليبيِّين الحاقدين على الإسلام ومعاونتهم، بينما المسلِمون يكتَفون بالكلام والخُطب، والاجتماعات؟!

هل نسي المسلمون ما أمَرَهم الله به من جِهاد الكفَّار والمنافقين؟ وغفلوا عن قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المَائدة: ٥٤]؟!

هل غاب عنهم قولُ الرَّسول ﷺ: «مَن لم يَغزُ ولم يُحدِّث نفسَه بالغزو ماتَ على شُعبةٍ من النِّفاق»؟!

متى كان المسلِم يرضى بالذِّلَّة والمهانةِ وقد أعزَّه الله بالإسلام، وكرَّمه بالجِهاد، ووعَده بجَنَّة عرضُها كعَرض السَّماء والأرض، إن قُتِل شهيدًا؟!

وقد كان العرب في جاهليَّتهم يأبَون الضَّيم، ويرفضون الخُضوعَ لمخلوق، ويطيرون إلى الحرب سِراعًا عندَ استشعارهم بأنَّ إهانةً قد أُلحقَت بهم، وحربُ البَسوس

التي دامَت أربعين عامًا، وقصَّة عمرِو بن كُلثوم في قتله عمرَو بن هندٍ من الأمثلة المعلومة في التَّاريخ:

وهذا الشَّاعر العربيُّ يقول:

ولا يُـقـيـمُ عـلـى ضَـيـمٍ يُـرادُ بـه
إلَّا الأذَلَّانِ عَـيْـرُ الـحَـيِّ وَالـوَتِـدُ

والآخَر يقول:

ومَن لَم يَذُدْ عن حَوضِه بسِلاحهِ
يُهَدَّمْ، ومن لا يَظلِمِ النَّاسَ يُظلَمِ

والثَّالث يقول:

ونـحنُ أُبـاةُ الـضَّـيـمِ مـن آلِ مـالِـكٍ
وإنْ مـالِـكٌ كـانَـت كِـرامَ الـمـعـادنِ

وأبو الطَّيِّب المتنبِّي يقول ممثِّلًا عِزَّة الإسلام:

لا يَسلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأذى
حتَّـى يُـراقَ عـلـى جَـوانـبـهِ الـدَّمُ

هكذا كان العربُ في جاهليَّتهم، ثم لَمَّا أكرمَهم الله بالإسلام كانوا أكثرَ عِزَّة، وأمنَع وأقوى نفسًا، وأمضى

عزمًا؛ فقاتَلوا في سبيل الله لإعلاء كلمتِه، فكانوا يتمنَّون الشَّهادةَ في سبيل الله، ويحرِصون على الموت، كما يَحرِص عدوُّهم على الحياة، فسادوا الدُّنيا، وفتَحوا الفُتوحاتِ العظيمة، ونشرُوا الدِّين والعِلم، وازدهرَتِ البُلدانُ في عهد المسلمين.

واستطاعوا أن يردُّوا كيدَ الأعداء، وأن يُحطِّموا القوَّات الهائلة، والمُعدَّات الكثيرة، ويُرجعوا الصَّليبيِّين والتَّتر على أعقابهم مدحورِين. وجاءت عصورٌ بعد ذلك جَهِل فيها كثيرٌ من المسلمين تعاليمَ دِينهم، ورَكنوا إلى التَّرَف، واستكانوا إلى العَيش اللَّذيذ، وتفرَّق أمرُهم، فهانوا على الأمم، فتَداعت عليهم من كلِّ جانب، حتى استطاعت تفكيكَ الدَّولة العثمانيَّة، ومزَّقت البُلدان الإسلاميَّة شِيعًا، واقتسمَتها غنائمَ وممتلَكات.

وقام الدُّعاة والمصلِحون يُنبِّهون إلى موطِن الدَّاء، ومكمَن الخطر، فهبَّ المسلمون يذودون عن حِياضِهم، حتى تمكَّنوا من الخلاص مِن الاستعمار العسكريِّ والسِّياسي، ما عدا أجزاءً قليلةً هي في طريق الخلاص، وبذا تحرَّروا من الاستعمار الظاهريِّ، ولكنَّ بعضًا من

أبناء تلك البُلدان، ومنهم مَن وصل إلى كراسيِّ السُّلطة كان قد تشبَّع ببعض المبادئ المناقضة للإسلام، والشِّعارات القوميَّة والعنصريَّة، مستهينًا بالدِّين، وربَّما آل الأمر ببعضهم أن يظنَّ أنَّ الدِّين هو سببُ تأخُّر الشُّعوب؛ جهلًا أو عنادًا.

وعملَت هذه العواملُ الهدَّامة عملَها في المجتمع الإسلامي، فضَعُف أمرُه، وهانَ شأنُه، ورجع كثيرون منهم إلى جاهليَّة عمياء، وضلالة قاتلة، وركنَ كثيرون منهم إلى الدَّعَة والخُمول والتَّرف، وها هم اليوم يتجرَّعون مرارةَ الهزائم من عدوٍّ ضُرِبت عليهم الذِّلَّة والمسكنة، وكان طولَ حياته مشرَّدًا هائمًا بسبب عصيانه وآثامه.

ولا نجاحَ للأمَّة الإسلامية إلَّا بالعودة إلى الإسلام، والتَّضامُن بين المسلمين، والسَّير في طريق سليم نحوَ الأهداف الكبيرة، والمُثُل الفاضلة؛ ليكونوا كما أمرَ الله لهم من الكرامة والعِزَّة، يقودون العالَم إلى الهدى، ويُرشدونه إلى النُّور، كما كان أسلافُهم يفعلون.

لماذا الابتعاد عن المسلمين؟![1]

كنَّا نظنُّ أنَّ الهزيمة التي لحِقَت بالعرب على يد العصابات الصِّهيَونيَّة سوف تفيدُ العرب، ويأخذون منها درسًا وعِبرة، وتغييرًا في الخُطط والسُّلوك، بعدَ أن استبانَت أخطاء كثيرة، كانت مع الأسف سببَ الهزيمة ومقدِّمتها.

ولكن يبدو أنَّ الاستفادة كانت ضئيلة!

وفي مقدِّمة الأسباب: الابتعادُ عن التَّعاون بين الدُّول الإسلاميَّة والعربيَّة، والمناداةُ بشعارات الاشتراكيَّة والتقدُّميَّة، والقوميَّة، والآسيويَّة، والإفريقيَّة، والحياديَّة... إلى آخِر الأسماء التي ما أنزل الله بها من سُلطان، والتي هي انحيازٌ نحوَ المعسكر الشُّيوعي، أو دعوة إلى العصبيَّة والعُنصريَّة.

وقد اتَّضح خطرُ هذه الدَّعوات، وفَشَلُ تلك الشِّعارات، ولم يَصدُق حين جَدَّ الجِدُّ إلَّا المسلمون الذين

---

(١) "الجزيرة"، العدد (١٥٤)، في ١٨/ ٤/ ١٣٨٧هـ.

تدفعُهم العقيدة، ويحضُّهم الدِّين، فقد علَتْ أصواتُهم مؤيِّدةً العرب، ووقفوا إلى جانب العرب بكلِّ حماس وقوَّة، من باكستان والصُّومال، وأفغانستان وماليزيا، وغينيا وغيرها، كلُّها تَعرِض التَّعاونَ وبذلَ ما تستطيع، وأبدَت رغبةً أكيدةً في التَّنسيق والتَّضامن بينها وبين الدُّول العربيَّة في كافَّة المجالات؛ من أجل ردِّ العُدوان، وتقوية الجهود، وتوحيد الصفِّ.

وكان الظنُّ أن يُبادرَ زعماءُ العرب لهذه الاستجابة الكريمة، وأن يعتبروها فاتحةَ خير في المجال الفسيح، وعلى جميع مستويات التَّعاون الثقافيِّ والاقتصادي، والسِّياسيِّ والعسكري، وتأييد القضايا الإسلاميَّة، في كشمير وأريتريا، وقبرصَ وأشباهِها.

ولكنَّ بعض هؤلاء الزُّعماء قد خيَّبوا آمال الأمَّة العربيَّة، وناقَضوا طموحَها، وتطلُّعَها إلى أن ترى التَّعاون بين المسلمين حقيقةً واقعة، فراحوا ينهَجون نهجَهم القديم، ويتشبَّثون بشعاراتهم الفاشلة، ويُظهِرون انحيازًا مكشوفًا، وسَيرًا في عجلة الاشتراكيِّين، وتفريقًا للعرب، وتصنيفًا للدُّول العربيَّة؛ أقلُّ ما فيه أنَّه يُضعِف شأنَ الأمَّة،

ويُفتِّت قُواها.

ولم يجدِ الزُّعماء المسلمون المتنادون بالتَّعاون في بعض زعماء العرب مبادلةَ الشُّعور، ومشاطرةَ الرَّغبة في أن يكون اللِّقاءُ وجَنيُ الثِّمار عاجلًا، حتى يعودَ للأمَّة الإسلاميَّة مجدُها وكرامتُها، وحتى تكون دِرعًا متينًا لمقاومة الأعداء الذين سهُل عليهم تحطيمُ المسلمين عندما أعرضوا عن الدِّين، وما يدعو إليه من التَّآخي والتَّعاون بين جميع المسلمين، لا فرقَ بين أبيضَ وأسودَ وأصفر، ولا بين جنوبٍ وشمال، ولا بين شَرقٍ وغرب، الكلُّ إخوة كالجسد الواحد.

وإذا كانتِ الأمَّة قد نُكِبت نكباتٍ فادحة، وهُزمت هزائمَ منكَرة، وتغلَّب عليها الأعداءُ الذين تداعَوا عليها من كلِّ حَدَب وصَوب - فإنَّ واجبَ زعمائها وذوي الرَّأي وكلِّ قادر فيها أن تكون دعوتُهم إلى الإسلام والتَّضامن بين المسلمين في شرق الأرض وغربها؛ لأنَّ هذا هو طريق الخلاص، أمَّا غيره من الطُّرق فهي كسَراب بقِيعَة، تُوهِن القُوى، وتُفرِّق الأمَّة إلى شِيَع وأحزاب.

وقد رأى الجميعُ بعضَ مَن يُكال لهم المديحُ تحت

شعارات البطولة الآسيويَّة والإفريقيَّة، عندما جدَّ الجِدُّ وقفوا إلى جانب إسرائيل، واستبان حَنَقُهم على الإسلام، وظهرَت صليبيَّتُهم الحاقدة، أو وثنيَّتُهم المُعادية.

ومع كلِّ الذي حدث فلم تيئَسِ الأمَّة من رجوع زعمائها إلى الطَّريق الصَّحيح، طريق الدِّين والعقيدة، والتَّآخي بين المسلمين؛ لأنَّ ذلك هو الموصلُ إلى الغاية المنشودة، وهو طريقُ الخلاص من هذه العثَرات والنَّكبات التي حاقَت بالأمَّة الإسلاميَّة.

وإنَّ العرب وهم يترقَّبون إنقاذَ القُدس وفلسطين من احتلال الصَّهاينة فإنَّ واجبهم أن يحشُدوا قُواهم، وأن يُعملوا كلَّ وسيلة لهذا الغرض الجليل، وفي مقدِّمة ذلك: التَّضامنُ بينهم وبين إخوانهم المسلِمين في كلِّ مكان، وذلك ما يرجوه كلُّ مخلِص غَيور.

طريق النَّصر[1]

إذا كانتِ الأمَّة العربيَّة قد وقعَت في نكبةٍ مذهِلة، فإنَّ الحلَّ لإزالة النَّكبة وبناء الأمجاد يجب أن يكونَ سبيلُه الجِدَّ، وتَقصِّيَ الأسباب الموجِبة لها.

ومِن البديهيِّ أن تكثرَ التخرُّصات، ويتشعَّب القول، ويُنحى باللَّوائم، كلٌّ حسَب فَهمه ومِزاجه، ولكن هذا ليس سبيلَ الظَّفر والقيام من الكبوَة، فذلك ممَّا يَزيد المأساة، ويُشتِّت القوى، ويدعو للتَّخاذل، وهذه أكبرُ عوامل الاضمحلال والتَّلاشي وليس الهزيمةَ وحَسب.

وكلٌّ عربيٍّ لا يرضى أن يكون في وضع كهذا، ولا يريد لأمَّته أن تصبحَ مبعثَرةً يسودها النُّفور، وتُمزِّقها البغضاء، ويُقطِّعها الأعداءُ أوصالًا.

ذلك أمرٌ لا يَرتاب فيه اثنان، ولا ينتَطِح فيه عَنْزان، ولكنَّ الطريق إلى الخلاص، والسَّبيل إلى النُّهوض هما محلُّ النظر، وتبايُن الآراء، وبالتبصُّر والتَّفكير السَّليم

(١) أُرسلت لمجلة "كلمة الحق" في ٢٢/ ٤/ ١٣٨٧هـ.

يمكن الوصولُ إلى معرفة الدَّاء وعوارضه وأسبابه، وإدراك النَّجاة منه، والخلاص مِن مضاعَفاته وأخطاره.

ولا يَغيب عن بال المتمعِّن في حال العرب أن يدركَ أنَّ هناك أسبابًا جوهريَّة كانتِ النَّكبةُ نتيجةً لها، كما أنَّ هناك وسائلَ لاستعادة القوَّة، والطريق الصَّحيحة لبناء ما تَهدَّم، والنُّهوض من التعثُّر والكبَوات.

ونحاول أن نوردَ بعضَ تلك الأسباب والعوامل؛ **فمِن أسباب النَّكبة:**

١- البُعدُ عن الدِّين، وذلك بالدَّعَوات الهدَّامة من اشتراكيَّة شيوعيَّة، وقوميَّة ووطنيَّة، تَقطع صلتَها بالعقيدة الإسلاميَّةِ أو توهِنها، إلى حياديَّة لا تلتزم الحقَّ والدِّفاعَ عن القضايا الإسلاميَّة.

٢- مقاومةُ بعض الزُّعماء العرب دعوةَ التضامن بين المسلمين، وشنُّ الحمَلات النكراء عليها، واتِّهامها بالرجعيَّة، وخدمة الاستعمار والأحلاف المشبوهة، ولا شكَّ أنَّ هذه المقاومة قد عمِلَت على تفتيت قُوى الأمَّة الإسلاميَّة، وعزلَتِ العرب عن سائرِ المسلمين في كثيرٍ من الأحيان.

٣- محاولةُ بعضِ الزُّعماء العرب قهرَ البُلدان العربيَّة على أن تسيرَ في موكبه، وحسبَ ما يريد، واتِّباعه في المذاهب التي يعتنقُها، والأفكار التي يرتَئيها، وسعيه لإحداث الانقلابات والفِتن والاغتيالات، ممَّا جعل العربَ يهتمُّون بمقاومة بعضهم، وينشغلون عن كيد العدوِّ وخُططه العدوانيَّة، فصاروا يُشهِرون سلاحَهم ضدَّ بعضهم، ويَسفكون دماءَ العرب المسلمين في فتنةٍ عمياء، وظلم صارخ، واستِئساد على العُزَّل الأبرياء، حتَّى استعمَلوا الغازاتِ السَّامة، والقنابلَ الممنوعَ استعمالُها دوليًّا ضدَّ الأعداء! فما بالُك بالإخوة في العقيدة أو الجنس؟!

٤- انشغالُ كثير من أجهزة الدِّعاية العربيَّة بالسِّباب، وتطاوُل بعض ذوي الأجهزة الإعلاميَّة الضَّخمة على باقي الدُّول العربيَّة بالكلام البذيء، والطَّعن الممقوت، وانصراف كثيرٍ من أجهزة الإعلام إلى تفنيد ما يُقال عنها، وما تُسبُّ به، فتركوا الميدان فسيحًا لإسرائيل، التي لم تقتصر على الدِّعاية المموِّهة لها - حيث وجدَتِ الجوَّ خاليًا - بل جعلَت من سِباب العرب مع بعضهم مادَّةً ثمينةً تتندَّر بها عليهم، وتُبرزها بينهم لإضعافهم، وإثارة الشَّحناء

بينهم، وفي البُلدان العالميَّة لإظهار العَرَب بمظهر الإزراء والانحطاط.

٥- إفشاءُ الأسرار وإعلانُ المقرَّرات السِّياسيَّة، والمخطَّطات العسكريَّة، وقد دأبَت بعض الدُّول العربيَّة على إذاعة ما يُتَّخذ في المؤتمرات السِّريَّة، وكشف المخطَّطات الحربيَّة، ورغم لَفت النَّظر والعِتاب، فما فتِئوا سائرين على نهجهم، وقد أضرَّ هذا بالعرب كثيرًا، وكان من أهمِّ عوامل الهزيمة، حيث قدَّموا للعدوِّ خِدْماتٍ جُلَّى، وأمدُّوه بمعلومات لو بذَل الملايين في الحصول عليها لعَجَز عن نَيلها(١).

---

(١) قال الملك حسين في كتابه "حربنا مع إسرائيل" : «ومهما يكن من أمرٍ كانت إذاعة صوت العرب تبثُّ بالتدريج هذه المعلومات الضئيلة التي كان يقطِّرها لنا الرادار، كما كانت تُذيع أخبار تحرُّكات القوَّات العراقيَّة، كانوا يعتقدون في القاهرة أنَّهم يتصرَّفون تصرُّفًا حسنًا، ربَّما كانوا يفكرون أنَّ هذا الأسلوب يرفع معنويَّات القوَّات الخلفيَّة!
على أيِّ حال لم يكن أمام الإسرائيليِّين إلا أن يستمعوا إلى إذاعة صوت العرب - ولم يحرموا أنفسَهم من ذلك - لإحباط جهودنا بفاعليَّة وبأقلِّ المجازفات؛ هكذا بدؤوا منذ اليوم الثاني للنِّزاع يقصفون كلَّ ما يتحرَّك على الطرق، وبصورة خاصَّة في هذه المنطقة الممتدَّة من ساحة المعركة حتى مطارات هـ ٣ والحبَّانيَّة قرب بغداد» "حربنا مع إسرائيل" (ص٦٤).

٦- التَّهديدات التي يَكيلها بعضُ الزُّعماء العرب لإسرائيل بلا حِساب؛ من قَذفٍ بالبحر، إلى إبادةٍ كاملة، إلى العَزم على الهجوم عليها قريبًا؛ ممَّا جعل إسرائيل تستغلُّ هذه التَّصريحات لتَظهرَ أمامَ العالم بمظهر المظلوم الذي يريد أن يدافِعَ عن نفسه، بينما هي تخطِّط للهجوم، وتحشُد الأسلحة والطَّائرات، وتعمل على صُنع القنابل الذرِّية، وقد نالَت عطفًا من الدُّول التي تهُبُّ لمساعدتها دائمًا، وحصلَت على تأييد دولٍ أخرى.

٧- الغرور الذي سيطَر على بعض زعماء العرب، فجعَلهم يبالغون في تقدير قوَّتهم، وسِلاحهم وجيشهم، واستبدُّوا بالرَّأي دونَ باقي العرب، وامتنَعوا من الجلوس مع الزُّعماء الآخرين للتَّشاورِ، وتقديرِ الموقِف تقديرًا سليمًا من الطَّيش والعُنجُهيَّة.

٨- ونتيجةً لعدم التَّشاور والتَّنسيق في العمل، فإنَّ وصول الإمدادات جاء متأخِّرًا، وبعض الدُّول العربيَّة لم تتمكَّن من إرسال قوَّات مُحاربة أو تباطأَت؛ ظنًّا أن لا لزومَ لقوَّاتها، أو ردَّ فِعل للموقف الاستبداديِّ، ومحاولة العزل التي بدَت طلائعُها في الأفق منذ مدَّة؛ لتصنِّفَ

العرب إلى تقدُّميِّين ورجعيِّين، وإلى وطنيِّين وعُملاء، وإلى اشتراكيِّين ومتأخِّرين.

٩- اعتماد بعض زعماء العرب على الرُّوس، بدلًا من اعتمادهم على الله، حتَّى كادوا أن يجعلوهم آلهةً مع الله! وقد اعترفوا أخيرًا أنَّ من أسباب الهزيمة حُسنَ ظنِّهم بالرُّوس، وركونَهم إلى مَشورتِهم وأوامرهم، ومع كلِّ ما حَدَث فما زالوا يُعلِّقون أمَلهم بالكِرِمْلِين، ويحسُّون أنَّهم سيُقيمون حربًا عالميَّة من أجل سواد عيونهم، أو أنَّهم سيُدافعون عنهم حتَّى النَّفَس الأخير!

١٠- إغفالُ بعض الدُّول العربيَّة واجبَها في إعداد القوَّة، والتسلُّح الكافي، وبناء الملاجئ، والتَّدريب العسكريِّ الإلزامي، والدِّفاع المدني، وكأنَّها تحسِب الأيَّام رغَدًا كلَّها لا يعكِّره حرب، ولا يُزعجه قعقعةُ السِّلاح!

هذه الأشياء كانت من أبرز عوامل النَّكبة.

أمَّا طريق العلاج فهو يتمثَّل في أمور كثيرة؛ **من أهمِّها:**

١- الرُّجوع إلى الدِّين، والإيمان بالله، وتحكيم

شرعه، والجِهاد في سبيل الله، لا في سبيل المطمَع الشخصيِّ أو النُّعَرات المفرِّقة؛ فقد سُئل الرَّسول ﷺ عن الرَّجل يُقاتل حَميَّةً، ويُقاتل شجاعةً، ويُقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «مَن قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، فهو في سبيل الله»، ولا بدَّ من تثقيف النَّشء بالثَّقافة الإسلاميَّة، لا بالثقافات المسمومة المستورَدة من الملحِدين الشُّيوعيِّين، وأضرابهم.

٢- التَّضامن بين المسلمين؛ فالمسلم أخو المسلم في أيِّ مكان وزمان، ومهما كانت ألوانُهم وأجناسهم وبُلدانهم، ومهما تفاوَتوا ثقافةً وثروةً وجاهًا، ومن الواجب التَّعاونُ بينهم لرَفع راية الإسلام، والدِّفاع عن المعتقَدات؛ ليبلغوا ما يَصبون إليه، وأنَّ الدُّول الإسلاميَّة تستطيع أن يكملَ بعضُها بعضًا في الاقتصاد والسِّياسة، والعسكريَّة والثَّقافة، وخلافها.

٣- حسن التصرُّف في أموال المسلمين، وبَذلُها في مصارفها الصَّحيحة؛ لتكونَ دِعامةً لقوَّة الأمَّة الإسلاميَّة، وإعلاء شأنها، وإنهاضها من كَبوتها.

٤- طرحُ الغرور واستعلاءِ بعض العرب على بعض،

وأن يحترموا بعضَهم، ويتعاونوا على أُسس من التَّقدير والتفاهم والمؤازَرة، لا باللَّغط والاستعلاء والسُّخرية، وكفى ما مرَّ بهم من تجارِب، وما قاسَوه من محنٍ بإهمالهم هذا الواجب.

٥- أن تكونَ أجهزةُ الإعلام عونًا لبعضها فيما يُعلِي شأنَ الأمَّة وَفقَ دِينها، وعقيدتها الإسلاميَّة، وأن تتضافر جهودُها لإفهام العالَم حقيقةَ القضيَّة وعدالتَها، وتفنيد مَزاعم عدوِّها.

٦- كتمانُ الأسرار العسكريَّة، والحِفاظ عليها من الذُّيوع والانتشار؛ حتَّى لا يستفيدَ العدوُّ من المعلومات التي تُذاع، ويستخدِمَها ضدَّ العرب والمسلمين، وحتَّى لا يُعطوه السِّلاح بأيديهم.

٧- تَرك التَّهديدات الاستهلاكيَّة، والعمل في صمت، والتَّخطيط بلا ضجيج يفسِد العمل، ويُبطِل مفعولَه، والإيضاح للرَّأي العامِّ بأنَّ العرب يدرؤون شرورًا محدِقةً بهم من الصِّهيَونيَّة ومَن يُمالئونها.

٨- التقاءُ الزُّعماء العرب، والتَّداول بصراحة، ووَضع الخُطط الصَّحيحة، والسِّياسة الحكيمة، التي تضمن سيرَ

العرب في خطٍّ سليم، وتعاوُنٍ مع البُلدان الإسلاميَّة الأخرى.

٩- شعورُ كلِّ دولة عربيَّة بواجبها حِيالَ اليهود المغتصبِين، وإدراكها لِما يُراد ببلادها من مؤامرات صِهيَونيَّة استعماريَّة خطيرة، تكاد تنقضُّ عليها بين آونةٍ وأخرى، ومُساهمةُ كلِّ دولة عربيَّة في إحباطها.

١٠- ألَّا يَركَنوا إلى الرُّوس، ولا غيرهم، وإنَّما يعتمدون على الله، ويأخذون حِذرَهم، ويستوردون السِّلاح من كلِّ مكان يجدونه فيه، ويُعبِّئون قُواهم، ولا تبلغ بهم التَّبعيَّة للدُّول الأجنبيَّة حدًّا يجعلهم في موقف التَّابِع الذَّليل، وكأنَّ الدُّول الأجنبيَّة - كبرى كانت أم صغرى - قد أضحَت وصيَّةً عليهم، ولكن تضافُر جهود العرب مع باقي إخوانهم المسلمين، ومع الاستعداد وامتثال أمر الله، فإنَّهم جديرون بالنَّصر، وواصِلون إليه إن شاء الله.

١١- أن تُغيِّر بعضُ الدُّول العربيَّة من أسلوبها، وأن تستعدَّ، وتنظر للأمور نظرةً جادَّة، تتَّفق وخطورةَ الموقف، وما يتطلَّبه من اتِّخاذ الوسائل والاحتياطات، وأن يكونوا على أُهبَة الاستعداد لخوض غِمار الحرب، مزوَّدين بالعُدَّة

والعتاد، واثقين بنصر الله لهم، مؤمنين بأنَّ الله ينصر مَن نصَره.

وما أحسبُ العربَ حين يفعلون ذلك إلَّا بالِغين ما يأمُلون، ومُثبِتين للعالَم أنَّ المسلِم الحقَّ لا يُبالي بالأعداء مهما كثُروا، ولا يجبُن عن اللِّقاء، ولا يتخلَّف عن داعي الجهاد، وأنَّ المسلمين الذين فتَحوا الأندلس والسِّند لهم أحفادٌ يَسيرون على مِنوالهم، ويُعيدون تاريخَهم من جديد.

دسٌّ قديم![1]

إذاعة إسرائيل تمثِّل كيدَ اليهود ودسَّهم، وتفنُّنَهم في ترويجِ الأكاذيب، وإثارةِ الفِتن، وهي تسير على طريقة خلط الحقِّ بالباطل، أو دس السُّمِّ في الدَّسَم، وهدف إسرائيل واضح؛ وهو تفريقُ صفوف الدُّول العربيَّة والإسلاميَّة، وبثُّ البغضاء بينها، ولها طريقةٌ غاية في الخُبث والمكر، ولا بِدع؛ فقد وَرِث الصَّهاينةُ ذلك عن أجدادهم القدماء.

وما أسلوبهم الذي يكادون يمتازون به في ذِكر الخصومات والمشاحَنات بين العرب، وإذاعة تسجيلات بأصوات بعض زعماء العرب، ومعلِّقيهم، وكتَّابهم في نِزاعهم مع بعضهم إلَّا لونٌ من ألوان التفنُّن اليهوديِّ في بثِّ البغضاء والفِتن، وإيغار الصُّدور، وتمزيق الصَّفِّ؛ أملًا في أن يخلوَ لهم الجوُّ؛ ليَصِلُوا إلى مآربهم الشِّرِّيرة، وليبلغوا ما يحلمون به من الوثوب على البلاد الإسلاميَّة؛ لضمِّها لمملكة إسرائيل، التي خطَّط لها حُكماءُ صِهيَون في

(١) "الجزيرة"، العدد (١٥٥)، في ٢٥/ ٤/ ١٣٨٧هـ.

بروتوكولاتهم، وذلك بعد أن تكونَ الخلافاتُ والمنازَعات بين البُلدان الإسلاميَّة قد أضعفَت أمرَهم، وشتَّتت شملَهم، وأصبحوا منهوكين من جرَّاء الصِّراع المحتدِم، الذي يُذكي أُوارَه أعداءُ العرب والمسلمين، ويَنفخ في كِيره الصَّهاينةُ بأساليبهم الماكرة.

إنَّ هذا داءٌ قديم في اليهود، وهو من أكبر أسباب نِقمة شعوب العالَم عليهم، فقد مهَروا في الكيد، ونَشر البغضاء، وإثارة الشَّحناء.

وهِتلر كان لقِيَ منهم الأمَرَّين في هذه النَّاحية، وشهِد كيف يحطِّمون ألمانيا بدسائسهم وأعمالهم الشرِّيرة، فكان أنْ شنَّ عليهم حملتَه، وأراد تخليص العالَم من مكرِهم. ومن الواجب ألَّا يُلقِيَ المسلمون السَّمعَ لِما تُذيعه إذاعة الصَّهاينة، تُوغِر به الصُّدور، وتُثِير به الضَّغائن، بل يُعرِضون عنها، ولا يَلتفِتون إلى ما تروِّجه من باطل، وما تقصده مِن فِتنة، وما تريده من شِقاقٍ بين الأمَّة الإسلاميَّة، وأن يتذكَّروا ما كان أسلافُهم الصَّهاينة يفعلون مِن أجلِ هدم الإسلام، وتحطيم المسلمين.

وها أنا أُورِد واحدةً من تلك الفَعلات، التي أراد بها

اليهود إثارةَ الفتنة بين المسلمين في عهد الرَّسول ﷺ؛ ليكونَ فيها معتبَرٌ وذِكرى.

قال ابن إسحاق في "السِّيرة": «مرَّ شاس بن قيس (يهودي) - وكان شيخًا قد عَمِي، عظيم الكفر، شديد الضِّغن على المسلمين، شديد الحَسَد لهم - على نَفَرٍ من أصحاب الرَّسول ﷺ من الأوس والخزرَج في مجلس جمَعَهم يتحدَّثون فيه، فغاظَه ما رأى من أُلفَتهم وجماعتهم، وصلاح ذاتِ بَينِهم على الإسلام بعدَ الذي كان بينَهم من العداوة في الجاهليَّة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلَةَ بهذه البلاد! لا واللهِ ما لنا معهم إذا اجتمع ملَؤهم بها مِن قَرار!

فأمر فتًى شابًّا من اليهود كان معه، فقال: اعمِد إليهم فاجلِس معهم، ثمَّ اذكُر يوم بُعاث بين الأوس والخزرج، وما كان قبلَه، وأنشِدهم بعضَ ما كانوا تقاوَلوا فيه من الأشعار.

وكان يوم بُعاث يومًا اقتتلَت فيه الأوسُ والخزرج، وكان الظَّفرُ فيه للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذٍ حُضَير بن سماك الأشهلي، أبو أُسَيد بن حُضَير،

وعلى الخزرج عمرو بن النُّعمان البياضي فقُتلَا جميعًا.

قال ابن إسحاق: ففعل، وتكلَّم القوم عندَ ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثبَ رجُلان من الحيَّين على الرُّكَب، أَوس بن قَيْظِي أحد بني حارثةَ بن الحارث، وجبَّار بن صخر أحد بني سَلِمة من الخزرج فتَقاوَلا، ثمَّ قال أحدهما لصاحبه: إن شئتُم ردَدناها الآن جَذَعَة، وغضِب الفريقان جميعًا، وقالوا: قد فعَلنا، موعدُكم الظَّاهرة - والظَّاهرة: الحَرَّة - السِّلاحَ السِّلاح.

فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فخرج إليها فيمَن معه مِن أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم، فقال: «يا معشرَ المسلمين، اللهَ اللهَ!! أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهُركم بعدَ أن هدَاكم الله للإسلام، وأكرمَكم به، وقطَع به عنكم أمرَ الجاهليَّة، واستنقذَكم به من الكُفر، وألَّف به بين قلوبكم؟!»، فعرَف القوم أنَّها نزغةٌ من الشَّيطان، وكيدٌ من عدوِّهم، فبكَوا وعانق الرِّجالُ من الأوس والخزرج بعضُهم بعضًا، ثمَّ انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، وقد أطفأ اللهُ عنهم كيدَ عدوِّ الله (شاس بن قيس).

فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)﴾ [آل عِمرَان: ٩٨-٩٩]، وأنزل الله في أوس بن قَيْظِي وجبَّار بن صخر، ومَن كان معهما من قومهما، الذين صنعوا ما صنَعوا لَمَّا أدخل عليهم شاسٌ من أمر الجاهليَّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾ [آل عِمرَان: ١٠٠-١٠١]، إلى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]».

هذه قِصَّة من قصص كثيرة، ومؤامَرات دبَّرها اليهودُ للإسلام والمسلمين.

وإذا كان هذا ما فعَلَه أسلافُ اليهود المعتدين، فإنَّ خَلَفَهم يُعيد التَّاريخَ بأساليبه الشَّيطانيَّة الماكِرة، التي ازدادَت مع الأيام خُبثًا، وتفنُّنًا في الإثارة والاستعداء، فانبِذوا إذاعةَ الصَّهاينة، ولا تُصغوا لِمَا تُروِّجه دِعايتهم من

دسٍّ رخيص؛ لتفوِّتوا عليهم غرضَهم، وما يهدفون إليه، ولْيَموتوا بغيظهم.

قطع دابر الإشاعات[1]

يبدو أنَّ الإشاعاتِ تجد مكانًا خِصبًا بين المواطنين، ولا أعرِف ما إذا كان مبعثُ ذلك الفَراغ، أم أنَّ ترك الأمور على سجِيَّتها دونَ إيضاح كافٍ - ممَّن يقدرون على الإيضاح - هو الذي جعل الإشاعاتِ تنطلق دونَ حدٍّ من طُغيانها، أو رَدع لطَمْيِها.

ولا أعرِفُ ما إذا كان مصدرُ بعض الإشاعات أناسًا تخصَّصوا في بثِّها والتَّشويش بها؟ أم أنَّها عفوُ الخاطر، وإن كنتُ أستبعد الأخيرَ في كثير ممَّا يُشاع ولا حقيقةَ له؛ فكم من إشاعات انتشرَت، حتى خالَها بعضُ الناس أمرًا ثابتًا لا ريبَ فيه، وبعد حينٍ ينكشف زيفُها، وعدم صحَّتها أصلًا وفرعًا!

وفي البُلدان الأخرى تُشكَّل لجانٌ لتتبُّعِ مروِّجي الإشاعات ومعاقَبتهم، ولا سيَّما في الأحوال غير العاديَّة؛ كظروف الحرب مثلًا وفي الوقت الذي نطلب فيه من

(١) "الدعوة"، العدد (١١٣)، في ٢/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

الدَّولة أن تُعاقِب مختلقي الإشاعات الباطلة عقابًا رادعًا؛ سلامةً للمُواطِنين من سمومهم وأمراضهم، وحمايةً من البلبلة والقلق، فإنَّا نَودُّ أن يقوم المَعنيُّون بإيضاحٍ يَدحَض الإشاعاتِ والمفترَيات، وإزهاقها قبل استفحال شرِّها.

وفي الحرب الأخيرة بين العرب وإسرائيل كثُرتِ التخرُّصات والأقاويل، ووَجدتِ الإشاعاتُ طريقَها نافذًا إلى بعض النُّفوس؛ ممَّا أحدث بلبلةً فكريَّة، وتخميناتٍ غيرَ صحيحة.

وزاد الطِّين بِلَّة، والأمر ضِغثًا على إبَّالة أنِ استغلَّت بعضُ أجهزة الإعلام في دول عربيَّة معيَّنة الفرصةَ، فراحَت تروِّج لأكاذيبها، وتَنسِج من أوهامها، وتحاول النَّيلَ من موقف هذه البلاد من الحرب، وتنعَتها بالمتقاعِسة والسَّلبيَّة، والشَّامتة، وفوقَ ذلك وصفَتها بصفات غريبة، وزعمَت عنها مزاعمَ كثيرة.

وخطَب رئيس دولة عربيَّة، فتكلَّم بكلام تَنقُصه الدقَّة والتَّحديد، ووضعُ النِّقاط على الحروف كعادته، وطاشَت منه أسهُمٌ موجَّهة لهذه البلاد وموقفها من الحرب، متَّهِمًا

الدَّولة بأنَّها لم تشترِك في الحرب، وأنَّها يمكن أن تكون أرسلَت لواءً من جيشها بعد انتهاء المعارك!!

وهذا الزَّعم على ما فيه مِن تحامُل، وعدم دِقَّة ينبغي ألَّا يُتركَ تفنيدُه؛ إيضاحًا للحقيقة التي كاد يَطمِسها ضبابُ الضجَّة الكلاميَّة المتضاربة، ومن ثَمَّ فإنَّ إصدار بيان حكوميٍّ يجلو الأمرَ، ويقطع دابرَ الإشاعات والافتراءات، ويبيِّن موقفَ الحكومة، وملابساتِ الوضع قُبيلَ المعركة وإبَّانها مطلبٌ تُمليه الضَّرورة، ويستدعيه الموقف؛ وإزالةً للإبهام، وردًّا للتقوُّلات الفارغة، وتفويتًا على مروِّجي الإشاعات قصدَهم، وإفهامًا لمن يريدون الاصطياد في الماء العَكِر: أنَّ الطَّريق أمامَهم مسدودةٌ، وأنَّ الحقائق التي يُريدون تغطيتَها أجلى ممَّا يتوهَّمون.

وقد أعجبني ما نشرَته جريدةُ "الحياة" مؤخَّرًا من تصريحاتٍ لمسؤول في وزارة الخارجيَّة السُّعوديَّة حولَ الموضوع، غير أنَّ حذفَ بعض فِقراته من جانب الرِّقابة اللُّبنانيَّة يحفِّزنا إلى طلب نشرِ بيانٍ واضِح يكشف الخافي، ويبرهِن على الحقيقة، على أن تذيعَه الإذاعةُ ويُنشَر في الصُّحف المحليَّة.

وبالنِّسبة للمواطنين فإنِّي أضمُّ صوتي مع الغَيورين؛ حرصًا على سلامتهم، ورغبةً في أن تُسَدَّ الطُّرقُ أمامَ الإشاعات الكاذبة، على أمل ألَّا يَحفِل المواطنون بالإشاعات، وأن يُلقِّنوا مروِّجيها درسًا قاسيًا، وأن ينظروا لهم نظرةً عنيفة، حتَّى يعودوا إلى صوابهم، وحتى يتيقَّنوا أنَّ إفكَهم لن يُفرِّخ في رُوع المواطنين المخلصين، وأنَّهم قد فقَدوا احترامَهم في المجتمع ما لم يعودوا إلى صوابهم، ويتجنَّبوا إثارةَ البلبلة والتَّرويجات الباطلة.

ومن واجب الشَّعب أن يتعاونَ مع الدَّولة لتحقيق هذا المطلَب العادل، والهدف النَّبيل؛ لأنَّ ذلك من مصلحة الجميع، وسلامةٌ للمجتمع من التصدُّعات والاهتزازات.

والحكومة بنَشرها بيانًا في الموضوع، عِلاوةً على قطعها لدابر الإشاعات في هذا المجال، فهي أيضًا تُسهِم في وعي المواطن، وإشعاره بأهمِّية دَوره في هذه الظُّروف التي تجتازُها الأمَّة الإسلاميَّة، ومسؤوليَّته نحوَها؛ ليكونَ على بيِّنة من أمره، واقتناع بما تتَّخذه من خُطوات تهدف إلى ردِّ العدوان، وإعلاء راية الإسلام، والحِفاظ على كرامة المسلمين.

ومِن واجبِ كلِّ فرد من الشَّعب أن يشعرَ بمسؤوليَّته، وأن يقدِّر الأمور تقديرًا صحيحًا في حدود طاقاته، وعلى قدر استطاعته، حتَّى لا يَبقى للعدوِّ ثُغرة، ولا للحانقين منفَذ، ولذوي الإشاعات مَيدان، هذا مطلَبٌ في صالِح الجميع، ومن الحِكمة تحقيقُه؛ تنويرًا للرَّأي العامِّ، وشعورًا بالمسؤوليَّة، وتقديرًا للموقف.

والإصلاحَ أردتُّ.

إسرائيل والقُنبلة الذرِّية[1]

نشرَت صحيفة "العمل" التُّونسيَّة في عددها (٣٦٦٨) في ٤/ ٤/ ١٣٨٧هـ الآتي:

«أوردَت مجلَّة "نيوزويك" الأمريكيَّة - اعتمادًا على بعض الموظَّفين المدنيِّين الهامِّين بتلِّ أبيب - خبرًا، مُفاده: أنَّ أوَّل قُنبلة ذرِّية ستَخرج بعد سَنة من المفاعِل الذرِّي (ديمونا) ذي ٢٤ ميغا وات، الموجود بالنَّقَب، وسعيًا لذلك أعطَتِ الحكومة الإسرائيليَّةُ الإذنَ لعلمائها حتَّى يضبطوا مشروعَ بعثِ القوَّة الذرِّية الضَّارية».

هذا الخبر ليس عاديًّا حتى يَمرَّ عليه القارئُ مرورًا عابرًا؛ إذ إنَّه يمثِّل الخطورة الفادحة بالنِّسبة للأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة.

وهو كذلك ليس خبرًا جديدًا؛ فقد سبق أن نَشرتِ الصُّحفُ شيئًا عن موضوع المفاعلات الذرِّية الإسرائيليَّة، وتحدَّثت عنها الإذاعات، ولكن الذي هدَفنا إليه من إعادة

(١) "الجزيرة"، العدد (١٥٦)، في ٣/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

الخبر، وبحث الموضوع هو: التَّذكيرُ بمدى نوايا العدوِّ، وما يُضمِره من شرٍّ للأمَّة الإسلاميَّة، وما يخطِّط له في غفلة أو تهاون ممَّن تُصنَع القنابلُ لإبادتهم، والقضاء عليهم!

وذلك ما يوضِّح بجلاء أهمِّيةَ الاستعداد للمعركة، ومُباغَتة العدوِّ في حَرب خاطِفة تدمِّر قنابلَه، وتحطِّم آمالَه، لا أن نتركَ له الفرصة لبَدء الحرب، وشنِّ الغارات في الوقت الذي يناسبه، كما حدثَ مع الأسف في الحرب الأخيرة، رغمَ النُّذُر البادية، والأحداث المرتقَبة، وعسى أن يكون في ذلك عبرةٌ لأخذ الحيطة والاستعداد، وتقدير الموقف.

إنَّ إسرائيل تَبني قوَّةً ذرِّية تريد تصويبَها إلى البُلدان الإسلاميَّة، وهي تَلقى التشجيعَ من بعض الدُّول الحانقة على الإسلام، والتغاضيَ من دول أخرى، وعدمَ اكتراثٍ من دول يُراد تحطيمُها.

إنَّ العدوَّ دأب العمل على إنتاج القنابل الذرِّية، وهو يسعى بكلِّ طاقته لتحقيق الوصول إلى غايته تلك.

ولن يتَوانى عن استخدامها، كما استخدم قنابل

النَّابالم ضدَّ العرب، وسيحاول تغطيةَ الموقِف بعد ذلك، وإيجادَ المبرِّرات والمعاذير، أو النَّفي والإنكار، وسيَلقى من بعض الدُّول مَن يدافع عنه، ويقفُ إلى جانبه، وعندَ ذلك يضع العربَ والمسلمين، والعالَم أجمع أمامَ الأمر الواقع، ويحتلُّ بُلدانًا كثيرة، تنفيذًا لمخطَّطاته الفظيعة، هذه آمال العدوِّ التي لن يتردَّد في الوصول إليها، حالَما يجد أنَّ عامل الزَّمن في جانبه، وأنَّه أكمل استعدادَه، وهذا ما يجب أن يعيَه كلُّ مسلم، ويستعدَّ لمقاومته قبل أن يفوتَ الأوان.

وإذًا فإنَّ المهمَّة المُلقاة على عاتق الزُّعماء المسلمين في غاية الصُّعوبة والخطورة، وعليهم أن يتَحمَّلوها بثبات ويقَظة، وأن يُولوها ما تستحقُّه من عناية واهتمام.

ممَّا لا امتراءَ فيه أنَّ إسرائيل تسعى لامتلاك القنابل الذريَّة، ولكن هناك مَن يؤكِّد أنَّها قد امتلكَتها فعلًا، وكلُّ ذلك لن يغيِّر من الحقيقة شيئًا، وهي أنَّ هناك خطرًا داهمًا، وأنَّ الواجب يقضي بالمبادرة للوقوف في وجهه، والقضاء عليه قبل أن تفوتَ الفُرصة.

وقد كانت جريدة "الحياة" اللُّبنانيَّة نَشرَت بتاريخ

٢٥/ ٢/ ١٩٦٧م دراسةً للأستاذ يوسف مروة - رئيس مختبر الدِّراسات الذرِّية والبيوكيمائيَّة في الجزائر سابقًا - عن هذا الموضوع، وأورد معلوماتٍ على جانبٍ كبير من الأهمِّية.

فذكَر عن البعثات التي تُوفِدها إسرائيلُ لبعض الدُّول النوويَّة، ومنهم أحدَ عشَر عالِمًا ابتعثَتهم إلى أمريكا لهذه الغاية، وعن بعض علماء الذرَّة الذين زاروا إسرائيل، وعن ملاحظاته على ارتفاع درجة تلوُّثِ الهواء في لبنان، وكذا المياه والجو، وتزايد الإشعاعات النَّووية في البحر الأبيض المتوسِّط، وفي البحر الأحمر.

وعرَض بعض الصُّور للمراكز الذرِّية الصِّهيَونيَّة في فلسطين المحتلَّة، ثم ذكر إحصائيَّة بالمبالغ التي صرفَتها إسرائيل على إنتاج القنبلة الذرِّية، والتي بلغ مجموعها ١٩٦ مليون دولار.

وجاء في هذه الدِّراسة بالحرف الواحد:

«إنَّه قد توفَّر لدينا من المعلومات العلميَّة ما يُشير إلى حدوث تجرِبة نوويَّة باطنيَّة في مكانٍ ما في صحراء النَّقَب على عُمقٍ لا يقلُّ عن ٨٠٠ متر تحت سطح الأرض».

وقد نشرَت مجلَّة فلسطين مقتطفاتٍ من هذه الدِّراسة في عددها (٤٧) في محرَّم ١٣٨٧هـ أيَّار ١٩٦٧م.

وبعدُ: فهل أدرك المسلمون ماذا يُراد بهم؟ وما يعملُه العدوُّ من مخطَّطات لتدميرهم والقضاء عليهم، ثم الاستيلاء على بلادهم؟ أم أنَّ الخلافاتِ والشِّقاقَ لا يزالان يَعملان عمَلهما في بعثَرة جهودها، ومنحِ العدوِّ فرصًا للعمل ضدَّهم، بينما تَشغَلهم المنازعات، ويُهمِلون واجبَهم حيالَ الأخطار المحدِقة بهم؟!

ونأمُل أن يكون الاستعدادُ واليقظة والإفادة من الأخطاء سبيلًا إلى سلوك الطَّريق الصَّحيح، والتهيُّؤ المفروض، وتقدير الموقف تقديرًا سليمًا؛ ليكونَ بعد ذلك النَّصرُ المبين إن شاء الله.

فلنُجابهِ الواقع بصراحة(١)

بدون الصَّراحة النَّاصِحة لا يمكن أن يَتوصَّل العرب إلى حلٍّ لمشاكلهم، وإنَّما يظلُّ الضَّباب يحجُب الحقيقة، والضجَّة تضيع الصَّوت الرَّزين، ومعنى ذلك الاستمرار في التِّيه، وفي التَّراشق والتَّلاوم.

أمَّا المشاكل الجذريَّة فتبقى، بل تزداد تراكُمًا وظلمات، وذلك ما لا تُحمَد عُقباه، كما دلَّت التجارِبُ والأحداث، وهو ممَّا لا ترضاه الشُّعوب العربيَّة في مختلِف أقطارها، وعلى تنائي ديارها.

ومَن يستمرئ سلوكَ هذا الطريق الخاطئ فإنَّه يجني على العرب، ويُناقض أهدافَهم، فلنُحاول أن نُجابه الوقائعَ بالحقائق، لا بالتزييف والمغالَطات.

فالعرب عزُّوا بالإسلام، وهم الذين حمَلوا رايةَ الدِّين في عصور الإسلام الأولى، ونشَروا العلم والمعرفة والهداية في أصقاع الأرض منذ تلقَّوا الهدى عن رسول الله

---

(١) أُرسلت لـ"عكاظ" في ١٧/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

ﷺ خاتم النبيِّين، والمبعوث إلى الناس كافَّة.

وعندما يتخلَّى العربُ عن دَورهم في هذا السَّبيل، فإنَّهم يكونون بَددًا ضَعيفي الشَّأن، بأسُهم بينهم، يتخطَّفُهم الأعداءُ من كلِّ جانب.

وهذا ما ظهرَت نتائجه مع الأسف في الحرب بين العرب وإسرائيل؛ إذ عَشِق بعضُ زعماء العرب بعضَ المبادئ الهدَّامة، واندفع خلفَها بلا رَوِيَّة، وأراد فرضَها على العرب بكلِّ وسيلة، وكلُّ مَن لم يَنقَد لها، فهو خارجٌ عن نطاق القوميَّة العربيَّة في زعمِه، ورجعيٌّ وعميل!

كما أنَّ بعض هؤلاء الزُّعماء قد قطع كلَّ صلة له بالبلاد الإسلاميَّة غير العربيَّة، أو كاد، بينما أضحى صديقًا حميمًا لكلِّ شيوعيٍّ من كاسترو، وشوئن لاي، وكوسيجن، وتيتو، إلى عصابات الفيتكونج، وأنصار لومبا، وسفَّاحي تَنْزانيا.

أمَّا التَّضامُن بين المسلمين، والدَّعوة إلى تقوية الرَّوابط بينهم وبين العرب، فهي خيانةٌ في رأيه، وأحلافٌ مشبوهة، ولا شكَّ أنَّ هذا السُّلوك الغريب كان من أشدِّ عوامل النَّكبة وأكبرها بلاء؛ إذ فرَّق الصُّفوف، وشتَّت

الأهداف، وباعَد بين الغايات، وصارَ المحارِب فاقدًا للحماس الدِّينيِّ الذي يدفعُه للاستبسال طلبًا للشَّهادة أو النَّصر.

وكلُّنا يسمع إبَّان المعركة التوجيهاتِ الخاطئة، وبدلًا من قراءة القرآن وأحاديث الرَّسول ﷺ، وخُطب العلماء في الدَّعوة للجِهاد، والحثِّ عليه - كانت الإرشادات من المغنِّيات، والنَّشيد قسمًا بغير الله، والدَّعوة إلى النُّعَرات والعصبيَّات الجاهليَّة، والغلوُّ والغرور، وكان الاستبدادُ بالرَّأي، وتجاهلُ التَّعاونِ بين العرب والتَّفاهمِ بين قادتهم، واستخفافُ بعض الزُّعماء بذلك، واعتمادُه على تصرُّفات فرديَّة، طابعها الطَّيش والاستبداد، كلُّ هذه أسبابٌ للنَّكبة وحدوثها.

وهناك الانحياز السَّافِر من بعض زعماء العرب نحوَ أحد المعسكَرات العالميَّة، حتَّى ليكاد يرتمي في أحضانها، ويُذيع ويملأ الجوَّ عجيجًا بأنَّها ستدافع عنه وتحميه، ويبتهج لأنَّها تتحدَّث باسم العرب، وهي الأجنبيَّة البعيدة عنهم، التي تريد أن تجعلَ منهم سِلعةً تُتاجر بها.

هذا الانحياز المكشوف كانت له نتائجُ خطيرة، وإثارةٌ

لدول الغرب ودول أمريكا اللاتينيَّة، وبعض من دول إفريقيا وآسيا، وقد كان من الممكن بشيءٍ من التصرُّف العاقل المتَّزن تفادي ذلك لو أنَّ هؤلاء المتزعِّمين من العرب لم يَنساقوا هذا الانسياقَ المتهوِّر.

وهذه إسرائيل عدوَّةُ العرب والمسلمين تأخذ المساعداتِ الكثيرةَ من أمريكا وبريطانيا، وفرنسا وألمانيا الغربيَّة، وسواها من الدُّول، ومع هذا فهي لا تندفع اندفاعَ بعضِ زعماء العرب مع روسيا، ولا ترضَى بأن تتكلَّم باسمها في المحافل الدوليَّة!

وقد جرَّت هذه السِّياسةُ على العرب عَداءً عنيفًا من دول الغرب، وردَّ فعل شديد في تأييد إسرائيل تأييدًا مندفعًا.

ولستُ أريد من العرب رفضَ التأييد من أيِّ كتلة أو دولة صديقة، أو عدمَ التعامل معها، ولكنَّ الذي لا أرتضيه هو التبعِيَّة، والذَّوبان في كتلة أو معسكر لا يمُتُّ للعرب والمسلمين بصِلَة.

والعرب مدعوُّون إلى دعم اقتصادهم وزراعتهم، وصناعتهم وجيشهم، والالتفات إلى سُبُل النُّهوض، وحفظ

الأموال، وصَرفها في طُرقِها المشروعة بلا تبذيرٍ أهوج، أو إنفاق في غير ما طائل.

ومن الخير للعرب أن يتَعاونوا مع بقيَّة الدُّول الإسلاميَّة اقتصاديًّا وثقافيًّا، وعسكريًّا وسياسيًّا، وأن يُوحِّدوا صفوفَهم معهم؛ لأنَّهم جزءٌ منهم ما عدا فئاتٍ ضئيلةً لن يضُرَّها التقارُبُ الإسلاميُّ، ولن يكون عليها منه أيُّ عَنَتٍ أو إرهاق.

والمسلمون بإمكاناتهم الوفيرة، وثرواتهم الهائلة، وأسواقهم التِّجاريَّة يمكن أن يكوِّنوا وَحدةً متكاملة قويَّة، تصمُد في وجه الأسواق العالميَّة، والاحتكارات الدَّوليَّة، وتَثبُت راسخةً أمامَ المنافَسات والمناورات الاقتصاديَّة، والسِّياسيَّة والعسكريَّة، ففي ذلك خيرُهم وسعادتُهم، ومنَعتُهم وقوَّتُهم.

والمسلمون في حاجة إلى أن يضَعوا خطَّةً لردِّ العدوان، وتطهير أراضي فلسطين من عصابات الاحتلال، وأن يلتقيَ زعماؤهم ويتشاوَروا، ويسيروا ضمنَ منهج مدروس، نابعٍ من أنفسهم، متَّفِقٍ مع العقيدة الإسلاميَّة، والتضامن الإسلامي.

وإذا كان زعماءُ الكُتلَتَين اللَّدودتَين قد التقَيا وتباحَثا، فكيف لا تجمع النَّكباتُ الزُّعماءَ المسلمين؛ ليتفاهَموا ويتدارَسوا في إطارٍ من خدمة القضايا العربيَّة والإسلاميَّة؟! بعيدًا عن الأحقاد الشخصيَّة، والرَّغبة في السَّيطرة والاستعلاء، وأن يجمِّدوا خِلافاتِهم ليتفرَّغوا لقضيَّة فلسطين، وتأجيل ما يصعُب حلُّه من المشاكل حاليًّا؛ ليُكرِّسوا جهودَهم لهذه القضيَّة، وأن ينبِذوا الشِّقاق والمهاتَرات، وسوءَ ظنِّهم ببعضهم، وعليهم أن يُجنِّدوا كافَّة إمكاناتهم، وأن يكونوا على مستوى المسؤوليَّة، وألَّا يتواكَلوا ويتهاوَنوا بأمر الأعداء وتحذيراتهم؛ فهُم أمامَ أعداء شرسِين يُريدون القضاءَ عليهم، ونهبَ خيراتهم، والاستيلاءَ على أوطانهم. ومَن يتجاهل هذه الحقائقَ فهو سادرٌ في غفلته، وحريٌّ أن يُوقَظ ولا يُترَك في سُباته كالأموات.

إنَّ المسلمين اليوم في مفترَق الطُّرق، وإذا لم يعملوا بسرعة وحزم، فسوف يندَمون ولاتَ ساعةَ مندَم!

وعسى أن يكونَ في الأحداث السَّالفة ما يدعو لإيقاظِهم واستعدادهم، وتهيُّئِهم لِما هم مُقبِلون عليه من

أحداثٍ تحتاج إلى الحذَر والتنبُّه قبلَ أن تقعَ الكوارث، ويذهبوا ضحيَّةَ الغباء والجهل، وتكالُبِ أعدائهم الطامعين.

واللهُ ناصرٌ مَن نصَره.

هل أخذنا حِذرنا؟[(١)]

الله سبحانه أمَرَ المؤمنين بأخذ الحِذر، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النساء: ٧١]، ولقد كان مِن أسباب الهزيمة وبواعثِ النَّكبة إهمالُ العرب، فلم يأخذوا حِذرَهم، فكان أن فاجأَهم العدوُّ بضربةٍ خاطفة، واليوم والمسلمون مصمِّمون على استعادة كرامتهم ومقدَّساتهم وأرضهم، هل هُم مستعدُّون، وآخِذون للأمر عُدَّتَه، ولديهم الحذَر واليقَظة؟ أم أنَّهم يَدُورون في حَلْقة مُفرَغة من الشِّقاق والتواكُل، وتجاهل الحقائق؛ لِيُصبحوا بين عَشِيَّة وضُحاها فريسةً لليهود وأعوانهم، ولِيُضيفوا مشرَّدِين جُددًا، ولتحتلَّ إسرائيلُ أراضيَ جديدة؟!

لا نريد أن نكون متشائِمين، فنحن نعلم أنَّ لدى العرب من الطاقات البشريَّة، والإمكانات المادِّية، والثَّروات العظيمة ما ليس عندَ اليهود مِعشارُه، ومع العربِ المسلمون في شتَّى ديارهم يُناصِرونهم، ويَذودون عن دِيار

(١) "الدعوة"، العدد (١١٨)، في ٧/ ٦/ ١٣٨٧هـ.

الإسلام، ولكن هل استطاعَ العربُ أن يوحِّدوا صفوفَهم، ويَستفيدوا من طاقاتهم، فلا يبدِّدونها هَدَرًا، ولا يجعلون مِن الحبَّة قُبَّة في خلافاتهم وحزازاتهم؟!

الأمر خطير، والعدوُّ يتربَّص، ويُخطِّط للعدوان، ويحشُد قوَّاتِه، ويعبِّئ أسلحتَه ووسائلَه على جميع المستَويات، فهل أدرَك زعماءُ العرب هذه الحقيقة؟

إنَّ استيلاء اليهود على القُدس إهانةٌ لكلِّ مسلم، ووَصمة في جبين كلِّ انهزاميٍّ وكَسول، وإنَّ تشريد العرب من ديارهم نَكبة لن يُخفِّف من وطأتها إلَّا حَربٌ تُعيد للأمَّة الإسلاميَّة عِزَّتَها وكرامتَها، وتستعيدُ بها ما اغتصبَته إسرائيلُ في فلسطين، وسوريا ومصر.

ولقد كان معروفًا مقدَّمًا أنَّ هيئة الأُمم ومجلس الأمن لن يحُلَّا المشكلة، ولن يُعيدَا حقوقَ العرب، وهذا ما حَدَث فعلًا، وقد كنتُ كتبتُ مقالاتٍ في الموضوع نُشِرَت في جريدتَي "الدَّعوة" و"الجزيرة"، وقلتُ في هذه المقالات: «إنَّ أمام العرب حلًّا واحدًا هو الحرب، وإنَّ مَن يظنُّ أنَّ هيئة الأُمم المتَّحدة ومجلسَ الأمن سيأتيانِ بنتيجة مُرضِية للعرب، فهو سادِرٌ في غفلته».

وفي العدد (١٠٨) الصادر بتاريخ ٢٦/ ٣/ ١٣٨٧ من جريدة "الدَّعوة" كتبتُ مقالًا عنوانه: "الحرب هي الحلُّ الوحيد"، وقلتُ فيه: «إنَّ العرب إذا لم يبدؤوا بحرب إسرائيل، فإنَّها ستُحاربهم هي»!

ومن المؤسِف أنَّ بعض الأصوات في بُلدان عربيَّة معيَّنة كانت تَجنَح إلى الاستكانة، وتُنادي بالتَّريُّث واتِّباع الحلول السِّياسيَّة، ولعلَّها الآن أدركَت غلطتَها، وأيقنَت مع جمهور الأمَّة الإسلاميَّة أنَّ تلك الآمال قد أضحَت سرابًا خادعًا.

وهذا الملك حسين يقول فيما روَته وكالةُ رويتر:

«إذا رفضَت إسرائيلُ التنازلَ عن موقفها، فإنَّها وحدَها ستتحمَّل مسؤوليَّةَ ما قد يحدث، وعندها لن يكون هناك أيُّ خيار، إلَّا أن نبذلَ كلَّ ما في وسعنا لاستعادة الضفَّة الغربيَّة من الأردنِّ والقُدس، ومن الواضح أنَّ هذا قد ينطوي على قِتال جديد».

ولا يَخفى أنَّ موقف إسرائيل فيه الكثيرُ من التبجُّح والاستهانة بالعرب، والتعنُّت في الشُّروط، وتَكرار الدَّعاوي العريضة، إذًا فلا مَندوحةَ من الحرب.

وهذا الرئيس عبد الرَّحمن عارف يُعلِن في جُرأة ووضوح: «بأنَّ القتال لتحرير فلسطين أمرٌ حتمي، وأنَّ على الأمَّة العربيَّة أن تكون على قناعة تامَّة بأنَّها إذا لم تقاتل، فإنَّ العدوَّ الإسرائيلي الذي اعتدى في سيناء والضفَّة الغربيَّة وسوريا، لن يتوانَى عن الاعتداء على الدُّول العربيَّة»؛ كلام منطقي معقول.

فهل وَعاه الزُّعماءُ العربُ الآخَرون، وصاروا على مُستوى الأحداث، فحزَموا أمرَهم، ووحَّدوا صفوفَهم، وتدارَسوا شؤونَهم، وحشَدوا قوَّاتِهم، ثمَّ باغَتوا العدوَّ بضربة قاضية، يُنسيه هولُها ما زعَمه من انتِصارات، وبطولات ودَهاء؟!

إنَّ هذا ما يؤمِّله كلُّ مخلص غَيور على دِينه وبلدِه وقومِه، وكلُّ مسلِم في أيِّ بُقعة في الأرض يُريد أن يرى زعماء المسلمين قد عمِلوا الخُططَ اللَّازمة، والاستعداداتِ الكافيةَ؛ المعنويَّة والمادِّية. والنَّصرُ حليف المؤمنين المجاهدين، كما وَعَد الله، ولا يُلدَغ المؤمنُ من جُحر مرَّتين.

وعادت حَليمة(١)

وعادت حَليمة إلى عادتها القديمة، وحليمةُ التي نَعنيها هي إسرائيل، التي تحرَّشَت من جديد بكلٍّ من مصرَ والأردنِّ، وبدأَت بإطلاق النَّار، وهكذا دأبَتِ العصابات الصِّهيَونيَّة منذ عشرين سنة، ومن يوم احتلالها لفلسطين، وهي تبتدئ بالعدوان على العرب حتى تجاوزتِ المئات. وهذا شيءٌ يدعو للغرابة والأسف؛ فإنَّ بقاء العرب على هذا المِنوال معناه إظهارُ الضَّعف والاستكانة للعدوِّ، وإبداءُ العجز أمامَه.

وما أحسبُ العرب قد بلَغوا هذه الدَّرجةَ من الهوان، ولكنَّ سوء التَّقدير للمواقِف في الماضي، وانشغال بعض الدُّول العربيَّة بأمور تافِهة، هي التي أوصلَتهم إلى هذا المستوى، ممَّا أعطى المجالَ لإسرائيل ولدِعايتها أن تنتشر، وتعشِّش في أذهان كثيرٍ من الغربيِّين على أنَّها دولة قويَّة لها شأنُها، بحيث يخافُها العربُ أجمعون، ولا

(١) "الجزيرة"، العدد (١٦١)، في ٨/ ٦/ ١٣٨٧هـ.

يستطيعون مقاومتَها، والغرب يحترمُ القويَّ ويؤيِّده.

وقد كان ممَّا أَلِفه العرب من الصَّهاينة أنَّ تحرُّشاتِهم واستفزازاتِهم تأتي عادةً مقدِّمة لهجوم واسع، وعدوان كبير قد خُطِّط له مقدَّمًا، ووُضعَت أسُسه سلفًا، وهي تبدأ بالتحرُّش لتعرفَ مقدار قوَّة العرب واستعدادهم، فإن رأَت ردًّا سريعًا وحاسمًا، نكصَت وانزوَت رَيثَما تُتاح لها فرصةٌ أخرى أكثرُ ملاءمة، وإن رأت أنَّ العرب غافلون وغير مستعدِّين اختارتِ الثُّغراتِ لتَلِجَ منها، ولتقوم بأعمال عسكريَّة واسعة، تنال بعدَها إعجابَ الغرب وتَهانيَه، بينما يكون نصيبَ العرب في نظره الاحتقارُ والعَداء.

واليوم إذ يحاول العدوُّ التحرُّشَ المرَّةَ تِلوَ المرَّة، ويبدأ بإطلاق النار في أعقاب الهزيمة التي لحِقَت بالعرب لأسباب، بعضُها معلوم، وبعضُها لم يزَل في مجاهِل الخفاء - فإنَّ من واجب المسلمين أن يكونوا أكثرَ استعدادًا وحذرًا، «ولا يُلدَغ المؤمنُ من جُحر مرَّتين»، وقد لُدِغوا مرارًا وتَكرارًا، وإنَّ العدوَّ أقلُّ شأنًا، وأضعفُ إمكاناتٍ ممَّا يصوِّر به نفسَه، وما تصوِّره به الدِّعاية المغرِضة.

ولدى المسلمين من الإمكانات ما يقدرون بواسطته على الصُّمود، وعلى قهر العدوِّ، وإلحاق الهزائم به، بل وعلى تدميره لو أحسنوا الاستفادةَ من إمكاناتهم، وحزَموا أمرَهم، وخَطَّطوا لمواجهة العدوِّ ومَن يُمالِئه، ويُمِدُّه بالسِّلاح والمعونات والتأييد، في صدقٍ وإيمان، واعتماد على الله، ثمَّ استخدام للوسائل التي يملكونها، وتقدير الموقف تقديرًا صحيحًا، بعيدًا عن الغرور والأهواء، ونأي عن الخوَر والضَّياع.

والمسلمون في أنحاء الدُّنيا مطالَبون بأن يُدافعوا عن المسجد الأقصى الشَّريف، وعن بلاد المسلمين التي دنَّسها الأعداء، وجعلوا منها أماكنَ للَّهو، وقواعدَ للعُدوان، وتباهيًا بأمجاد الصَّهاينة المزعومة.

واجب المسلمين أن يغسلوا العار، وأن يُلقِّنوا المعتدِين دروسًا حيَّة في خطورة العَبَث بالأماكن الإسلاميَّة، والأراضي العربيَّة، وحتَّى يُثبتَ المسلمون أنَّهم أهل غَيْرة، وأنَّهم ليسوا لُقمةً سائغةً لِمَن يريد ابتلاعَهم، بل إنَّهم أهلٌ للذَّود عن حِياضهم وكراماتهم، وإنَّهم يعيدون الأمجادَ والبطولات، التي عرفَتها الدُّنيا عن المجاهدين

والمفكِّرين، وحاملي مشاعل النُّور من المسلمين؛ من أمثال خالد بن الوليد، وصلاح الدِّين الأيُّوبي، والعِزِّ بن عبد السَّلام، وغيرهم ممَّن لا يتَّسع المقام لذِكرهم.

مطلوبٌ من المسلمين أن يهجُموا على إسرائيل ويحطِّموها، لا أن ينتظروا عُدوانها، والمسلمون اليوم مدعوُّون إلى أن يُثبتوا وجودَهم، وأن يُبرهِنوا للعالَم أنَّهم ليسوا كما يصوِّرهم الأعداءُ في دِعايتهم المشوِّشة، بل هم أحفادٌ لأسلاف كرام، يردِّدون مع الشَّاعر قوله:

لَسنا وإنْ كَرُمَت أوائلُنا
يومًا على الأحسابِ نتَّكِلُ
نَبني كما كانَت أوائلُنا
تَبني، ونَعملُ مثلَ ما عملُوا

وليقولوا للدُّنيا: ها نحن كما تعلَمون عن أسلافنا الصَّالحين، وزعمائنا الفاتحين، وعلمائنا النَّابهين، وأنَّه إذا كانت عواملُ عديدةٌ قد عمِلَت عملَها في إضعافنا وتخلُّفنا، فتكالَب علينا الأعداءُ وتألَّبوا، فقد نفَضنا غبارَ هذا التخلُّف، وعُدنا إلى وضعِنا الصَّحيح، متأسِّين بخيار أمَّتنا على ضوء شريعتنا الغرَّاء، التي أنارتِ العقول والأذهان،

ومنحَتِ الدُّنيا فضائلَ ومكارم، فشعَّ فيها العلم والعِرفان، وارتقَت من كبوَتها، ونهَضَت من تأخُّرها.

أجَل، فنحن على نَهج الإسلام سائرون، ولمجدِ أمَّتنا مُعيدون، وما ذلك ببعيد، وإن خالَه المخدوعون ضربًا من الخيال، أو عبثًا من القول، وإنَّ غدًا لِناظره قريب.

ألم يتَّعظوا؟[١]

يبدو أنَّ بعضَ زعماء العرب، وكُتَّابهم ومذيعِيهم لم يأخذوا درسًا ممَّا مرَّ بهم من تجارِبَ قاسية، ولم يتعمَّقوا إلى فَهم أسباب النَّكبات على الرَّغم من جَلائها، كما أنَّ بعض مَن لا يرتَضون هذا السُّلوك ما فَتِئوا يقفون موقفًا ضعيفًا، فيه الكثيرُ من المُسايرة غيرِ المحمودة، والسَّلبيَّة تُجاهَ أولئك الذين يتخبَّطون على غير هُدًى، ويسيرون على غيرِ ضياء، ولو استمرَّ الوضعُ على هذا المنوال، فمعنى ذلك انتظارُ سَيل من النَّكبات، وأمواج من النَّكسات.

وكلُّ مَن تدبَّر الواقع، وأعاد الكَرَّة إلى الماضي البعيد والقريب لا بدَّ أن تنجليَ الحقيقةُ أمامَه، ويدركَ أنَّ ذلك ليس ضربًا من التَّنجيم، ولا شططًا من القول المتشائم. وأيُّ زعيم أو مفكِّر أو كاتبٍ يُحجِم عن الجهر بالحقِّ، ولا سيَّما في هذه الأوقات العسيرة، فهو بذلك يَطعُن أمَّتَه وعقيدته طعنةً نَجلاء، ويوجِّه سهمًا قد لا يَقوى العدوُّ على

(١) "الجزيرة"، العدد (١٦٤)، في ٢٩/ ٦/ ١٣٨٧هـ، ونشرت في "المدينة"، العدد (١٠٧٧)، في ١/ ٧/ ١٣٨٧هـ.

توجيه مثلِه.

وبعد هذه المقدِّمة، يَحسُن أن أدخُلَ في صُلب الموضوع:

إنَّ الأمَّة العربيَّة وهي جزء من الأمَّة الإسلاميَّة - والشاذُّ لا حُكمَ له - قد هانَ أمرُها، وضعُف شأنُها منذ أن ابتُليَت بالشِّعارات المناهضة للإسلام، ومنذ أن دبَّت فيها النُّعَراتُ القوميَّة والإقليميَّة، فمزَّقها المستعمرون الصَّليبيُّون، والشُّيوعيُّون الملحِدون، والصِّهيَونِيُّون الباغون - شرَّ تمزيق، وقطَّعوها إرْبًا.

وعندما بدأَت تعي واقعَها، وتُحِسُّ بخطئها، تراجَع أقوامٌ منها لهم دَورٌ بارز في الجهاد والإرشاد والتنبيه، فهبَّت تُقاوم بعزيمة، وتمضي بقوَّة، غيرَ عابئةٍ بضخامةِ العدوِّ، ولا مهتمَّةٍ بأساطيله ودبَّاباته وطائراته، وانتصرَتِ الأمَّة العربيَّة على المستعمرين في كثيرٍ من المواطن.

ولكنَّ بعضًا من زعمائها صرَفها عن اتِّجاهها الصَّحيح بما بثَّه من عقائدَ مناقضةٍ للإسلام، وبما انتهَجه مِن ابتعاد عن الدُّول الإسلاميَّة غير العربيَّة، بل وبوقوفه إلى جانب أعداء الإسلام ضدَّ المسلمين في بعض الأحيان، وهذا

معروفٌ ولا نودُّ الخَوض فيه الآن، وفي هذه الظُّروف بالذَّات؛ لولا أنَّ الصَّراحة الهادِفة تقتضي مثلَ هذا القول، وأن تُبحَث الأسبابُ والعِلل، والمقدِّمات والنَّتائج - كما يقول المَناطِقة - بحثًا دقيقًا.

لقد أيَّد بعضُ زعماء العرب اليونانيِّين في قبرص في عدوانهم على المسلمين الأتراك، ووقَف بكلِّ طاقاته ودِعايته إلى جانب القَتَلة في زنجبار، الذين أراقوا دماءَ المسلمين غزيرة، وطبَّلوا وزمَّروا لبطل إفريقيا المزعوم، الذي يضطهِد المسلمين في أرتيريا والحبشة أشنعَ اضطهاد، ويأمر بإحراقهم أحياء، بعدَ صبِّ الزَّيت عليهم!

وعندما وقَعَ العدوان الإسرائيليُّ على البلاد العربيَّة، وانتُهكتِ المقدَّسات الإسلاميَّة، وقف أولئك الصَّليبيُّون ضدَّ العرب والمسلمين، وصارت بلادهم مواقعَ للعُدوان، ومراكزَ تُوجَّه منها الغاراتُ على المسلمين والعرب بكلِّ أشكال الغارات.

ولكنَّ المسلمين هم الذين صمَدوا مع العرب عندما تخلَّى عنهم الشَّرقُ والغرب، وراحوا يبحَثون عن الأصدقاء فلم يجدوهم، وإنَّما رَأوهم يلتقون مع الأعداء صفًّا إلى

صفٍّ، وجنبًا إلى جنب، فالغاية واحدةٌ، وإن اختلفتِ الأساليب.

واليومَ نشهَد مِن بعض زُعماء العرب مَن يتشبَّث بالخيوط الواهية، والآمال الكاذبة، ويدَّعي أنَّ نجاتَه في سفينة الاشتراكيِّين، وأنَّ الذين خذَلوه هم النَّصيرُ الذي ينبغي أن ينحازَ نحوَهم، متجاهِلًا الأحداثَ والمعقولات. وهذا الاستمرارُ في تجاهُل التَّعاون بين الدُّول الإسلاميَّة سيكون من أقوى أسباب النَّكسات الآتية، كما كان من أهمِّ عوامل النَّكبات الماضية.

ومنَ المستغرَب أن يظلَّ هذا الوضعُ الجامِد مخيِّمًا على طريقة معالجة المشاكل، وألَّا يُسارَ بسرعة وحَزم في تقوية الأواصر بين الدُّول الإسلاميَّة، مع أنَّ هذا هو الطَّريقُ الصحيح، وكلُّ الطُّرق سواه مَزالِقُ ومَخاطر، ثمَّ كوارث!

ولقد وقفَت باكستان والصُّومال، ودولٌ إسلاميَّة عديدة موقفًا مشرِّفًا، وأبدَت رغبتَها في المساهمة في ردِّ العدوان، ومُناصَرة القضايا العربيَّة الإسلاميَّة، والذَّود عن بيت المقدِس والمسجد الأقصى.

وكنَّا ننتظر أن يَصدُر قرارٌ إجماعيٌّ من الدُّول العربيَّة بالتَّرحيب بهذه المبادرة، والتَّنويه بهذه المواقِف المشرِّفة، ولكن مع الأسف لم يحصل مِن ذلك شيء، كما أنَّ معالجة القضايا على نِطاق إسلاميٍّ لم يتحقَّق حتَّى الآن.

وأضرب مثَلًا قريبًا، مُضافًا إلى قضيَّة فلسطين: الحرب في نيجيريا، وهي بين الصَّليبيَّة والإسلام، يناصِر أعداءُ الإسلام فيها المنشقِّين، ويحاولون تقطيعَ أواصر نيجيريا البلد الإسلاميِّ العظيم.

فلماذا تُعالَج هذه القضيَّة مِن قِبل رؤساء الدُّول الإفريقيَّة، ولا تُعالَج من قبل الدُّول الإسلاميَّة؟ مع أنَّها أمسُّ بها وأحرَص، بينما لا يُخفِي بعضٌ من رؤساء الدُّول الإفريقيَّة تعصُّبَهم ضدَّ المسلمين، وعَداءهم السَّافر لهم.

إنَّ على الدُّول العربيَّة أن تختارَ بين العزِّ في ظلِّ التضامُن الإسلاميِّ، وبين الذُّلِّ في الفُرقة والشِّقاق، واتِّباع الأصوات النَّاشزة، والأفكار المدمِّرة، وبالتالي النَّتائج المُرَّة، والهزائم المنكَرة.

وما أظنُّ الدُّول الإسلاميَّةَ ستَرضَى لنفسها أن تكون نهبًا للنُّعَرات والفُرقة، وحسبُها ما عانَته من جرَّاء الانقسام

والتعصُّبات القوميَّة والإقليميَّة، والشِّعارات الماركسيَّة والبعثيَّة من ضعف وانحطاط.

والأملُ وطيدٌ أنَّ هذه الأمَّة التي كانت في يوم من الأيَّام سيِّدةَ العالَم ومرشِدتَه، وعاملَ إيقاظه وازدهاره، سوف تعود إلى خُطَّتِها الرَّشيدة، وتتَّعظ من الأحداث، وإنَّ غدًا لناظره قريب.

كيف نردُّ العُدوان؟[١]

زُعماءُ الصَّهاينة في فلسطين المحتلَّة يُهدِّدون ويتوعَّدون، ويتَّهمون سوريا بإرسال الفدائيِّين لمقاومة عصابات الاحتلال، ويوجِّهون اللَّومَ والتَّهديد إلى مصر؛ لاستمرارها في إغلاق قناة السُّويس. ويصرِّحون بأنَّ اتفاقيَّاتِ الهُدنة قبل عشرين عامًا أصبحَت لاغية، وأنَّ الحدود المناسِبة هي ما حصلَت عليه إسرائيلُ في عُدوانها الأخير بمساعدة الدُّول الاستعماريَّة. بل ويُنذِر أحدُ زعماء اليهود بأنَّ إسرائيل هذه المرَّة سوف تتَّجه نحوَ العواصم العربيَّة، وذلك عندما تَنشَبُ معركةٌ أخرى بينها وبين العرب... إلى آخِرِ هذه التَّهديدات التي ينبغي أن يَنظر إليها العربُ بجِدٍّ وحزم، وأن يُعِدُّوا لها ما يتطلَّبه الموقف؛ إذ لا يُستبعَد أن تقومَ إسرائيل بهجوم مباغِت في وقت قريب.

إنَّ إسرائيل تحشُد قوَّاتِها على الحدود السُّوريَّة، وربَّما على الحدود المصريَّة والأردنِّية، وتُعبِّئ قُواها، وتُكثِر

(١) "الدعوة"، العدد (١٢٣)، في ١٣/ ٧/ ١٣٨٧هـ.

الحديثَ عن القنابل الذَّريَّة، وتتحدَّث الصُّحف الغربيَّة الموالية للصِّهيَونيَّة عن احتمال استخدام العدوِّ للقنبلة الذرِّية في حربٍ قادمة بين العرب وبينَها.

كلُّ هذه الأشياءِ على درجةٍ من الخطورة تستدعي اجتماعًا عاجلًا لمؤتمر القِمَّة الإسلامي؛ لأنَّ الحرب بين العرب واليهود حربٌ بين الإسلام والكُفر. والمسلمون جميعًا يُهِمُّهم تخليصُ المسجد الأقصى من بَراثن اليهود المعتدين، وإذا تعذَّر اجتماعُ قِمَّةٍ إسلامي، فليكن مؤتمرُ قِمَّةٍ عربي؛ تُوضَع فيه الخُططُ الحربيَّة، وتُهيَّأُ الطَّاقات لجهاد الصَّهاينة، وتطهير فلسطين من أرجاسهم، وحتى يُفاجِئوا العدوَّ بضربة قاضية قبلَ أن يأخذَ زمامَ المبادرة، ويُعيد الكَرَّة عليهم مرَّة أخرى؛ كما فعل في السَّابق.

إنَّ العرب قد جرَّبوا الحلولَ السِّياسيَّة، وضيَّعوا كثيرًا من وقتِهم الذي كان ينبغي ألَّا يُفرِّطوا في دقيقة منه في أمثال هذه المناقشات، التي لا جَدوى من ورائها.

إنَّ هيئة الأُمم ومجلسَ الأمن قد أثبتَا فشلَهما منذ أُنشِئا؛ ومن ثَمَّ فإنَّ تعليق الآمال عليهما بِطَرد اليهود المعتدين، وإرجاع الحقِّ إلى نِصابه يُعدُّ من الأحلام

والأمانيِّ التي لا تلبثُ أن تنكشفَ بعدَها الحقيقةُ المُرَّة.

هناك طريقٌ واحدة، هي الجهادُ في سبيل الله؛ لتخليص بيت المقدس، وقتال اليهود، وإخراجهم من فلسطين، وذلك يعتمدُ أوَّلًا على الإيمان بالله، واتِّباع نبيِّه ﷺ، والتعاونِ مع المسلمين في شتَّى بِقاع الأرض، وإعدادِ القوَّة بجميع أنواعها حسَبَ الطاقة، ثمَّ ضرب العدوِّ ضربةً لا يُفيق بعدَها، ولا يستطيع حَراكًا من هَولها.

إنَّ الناس يتطلَّعون إلى قيام العرب بهذه الضَّربة العاجلة؛ لأنَّها الحلُّ الوحيد، أمَّا الحديث المملول عن حلولٍ سياسيَّة على يدِ تيتو، أو كوسيجين، أو أنديرا غاندي، أو يوثانت، فذلك من عبَثِ القول، وسوء التَّقدير؛ إذ إنَّ هؤلاء جميعًا يتَّفقون على أنَّ إسرائيل لها حقُّ البقاء كدولة، وأنَّ على العرب الصلحَ معها، إنْ عاجلًا أو آجلًا.

وهذا أساسُ الخِلاف بين العرب واليهود؛ فالعرب لا يمكن أن يَقبَلوا بهذا الواقع العُدواني، وإذا كانت هذه حالَ أصدقاء بعض الزُّعماء العرب في الوضع الرَّاهن، فإنَّ موقف المنحازِين نحوَ إسرائيل أشدُّ ضراوة.

وعلى هذا فلا يبقى مجالٌ للتردُّد في أنَّ الحلَّ الوحيد هو الحرب، وهذا ما كان المخلِصون الواعون من أبناء الأمَّة الإسلاميَّة يُنادون به، ولم تَزدَد هذه الفكرة إلَّا رسوخًا وصَلابة، وها هي الدلائل تَتْرى كلُّها، وتؤكِّد أنَّ هذا هو الحلُّ الذي لا بديل عنه.

وعلى الأمَّة الإسلاميَّة أن تكونَ متيقِّظة وحازمة، ومستعِدَّةً لهذا الواقع، ومتهيِّئةً لمواجهته، أمَّا مَن يتجاهل هذه الحقائقَ، فهو مخذِّل لأمَّته، ومثبِّط لعزيمتها، وهو: إمَّا جبان حريٌّ بالطَّرد والنَّبذ، وإمَّا خائن يجب تطهيرُ الصُّفوف من دَنَسِه، وسلامةُ الأمَّة من مؤامراته.

إنَّ على العرب أن يَعوا هذه الحقيقةَ قبل أن يُفلِتَ الزِّمام مِن أيديهم، وقبل أن يُباغتَهم العدوُّ وهم في غفلة من أمرهم، ثمَّ يكون همُّهم بعد ذلك المطالبةَ بانسحابه إلى المواقع التي كان يحتلُّها قبل العدوان، كما كانوا يُطالبون بعودته إلى ما قبل ٥ يونيو.

فلدَى العرب من القوَّة والإمكانات المادِّية والبشريَّة ما يمكِّنهم مِن طرد العدوِّ، والقضاء عليه إذا ما صدَقوا العزم وكانوا مؤمنين حقًّا، وقد أخَذوا حِذرَهم، وعَبَّؤوا قُواهم،

والعربُ في موقِف يتطلَّب الحزم وعدم التَّغافل، وأن يتعاونوا مع إخوانهم المسلمين الذين يتحرَّقون شوقًا للجِهاد في سبيل الله، وتطهير المسجد الأقصى من رِجس اليهود.

وكانتِ الدُّول الإسلاميَّة قد أبدَت عواطفَ كريمة، واستعدادًا للبَذل والتَّعاون، ووقَفَت مواقفَ مشرِّفةً في المحافل الدوليَّة، فهذه القُوى الهائلة يجب أن يستفيدَ العرب منها، وألَّا يركَنوا إلى الشُّيوعيِّين والصَّليبيِّين وأمثالهم، بينما يستهينون بالقوَّة الإسلاميَّة الجبَّارة؛ فالمسلم أخو المسلم.

وعسى أن يكونَ في الأحداث القريبة والبعيدة مُعتَبَر، كي يُعيدَ المسلمون النَّظرَ في موقفهم، وأن يكون التعاونُ والتآزُر سِمتَهم؛ لأنَّ رابطةَ الدِّين والإيمان أقوى من روابط القوميَّات والوطنيَّات، والشِّعارات الخادعة، «ورُبَّ ضارَّة نافعة».

الأمَّة اليوم في مفترق الطُّرق؛ فإمَّا أن تَسلُكَ النَّهج الصَّحيح؛ لتكون أمَّةً قويَّة، عزيزةَ الجانب، سائرةً على خطٍّ مستقيم، فيه سَعادتُها ونجاتُها.

وإمَّا أن تكون الأخرى، فتَضيعَ في مَتاهات السُّبل، وتتبعثَر قُواها، وتتمزَّق أوصالُها، ثمَّ تكون عِبرةً لِمَن يعتبر.

ولكنَّها - بحول الله - ستكون سالكةً سبيل النَّجاة، سائرةً على طريق لاحِبٍ لا يضِلُّ سالكُه، ولا يتِيه ناهجُه.

أزِفَت الحرب![1]

الحرب وشيكةُ الوقوع! هذا ما تُردِّده الإذاعات والصُّحف، ويَكاد يُجمِع عليه المراقبون؛ فالعرب قد نَفِد صبرُهم من الدَّوران في حَلْقة مُفرَغة بين الأُمم المتَّحدة ومجلس الأمن، وبين وساطة تيتو، ومباحثات يوثانت، وإسرائيل نفسُها قد زُهِيَت بما حصَلَت عليه من احتلال القدس وغيرها، وملأَها العُجْب والخُيلاء، وهي تريد - سواءٌ من تلقاء نفسِها، أو من المحرِّكين لها - أن تفتحَ قناةَ السُّويس بالقوَّة، وتحاول أن تَعبر سفنُها كرهًا على العرب.

وهذه المعركة البحريَّة التي أُغرِقت فيها المدمِّرة الإسرائيليَّة إيلات، واستَخدمَت فيها مصر الصَّواريخَ البحريَّة، ومُنِي العدوُّ بخسائرَ لم يتوقَّعها - دليلٌ على أنَّ انفجارًا قريبًا سيقَع، وإنَّ هذا ممَّا يؤيِّد الرَّأي العربيَّ الذي كان يحبِّذ حلًّا واحدًا ليس له بديل، هو الحرب؛ لأنَّ العرب إذا لم يبدَؤوا هم، فسيبدأ العدوُّ، ويصبح حينئذٍ هَمُّ العرب إزالةَ آثار العدوان الجديد.

---

(١) "الجزيرة"، العدد (١٦٨)، في ٢٨/ ٧/ ١٣٨٧هـ.

وهذا ما تؤيِّده كلُّ الوقائع؛ فالعرب في موقفٍ لا يَسمَح لهم بالتَّهاون، أو التَّواكل، وهم بين أمرَين: الحرب، أو الرِّضا بالذُّل، ولن يختاروا الثانيَ على أيِّ حال.

وإذا كانت صحفُ إسرائيل وساستُها يُحبِّذون القيامَ بعمل انتقاميٍّ ضدَّ العرب، فإنَّ من واجب العرب والمسلمين أن يُقدِّروا خطورةَ الموقف، وأن يُعبِّئوا قوَّتَهم، ويَضربوا العدوَّ قبل أن يُفاجِئَهم بهجومه.

إنَّ إسرائيل تتحدَّى، وتريد أن تشُنَّ عُدوانَها قبل أن يُعوِّض العربُ ما خسِروه في الحرب، وقبل أن يجمَعوا شملَهم، ويوحِّدوا صفوفَهم، ولذلك أكثرَت من التهديدات، ثمَّ أرسلَتِ المدمِّرة الإسرائيليَّة للمياه الإقليميَّة العربيَّة، وحشَدَت قوَّاتِها على الحدود السُّوريَّة والأردنِّية، وهذا التصرُّف من جانب اليهود واضحٌ فيه الاستفزاز والعدوان.

وحين ضربَت مصرُ هذه المدمِّرةَ الإسرائيليَّة وأغرقَتها، تصايَح اليهود، ودعَوا بالوَيل والثُّبور، وانعقد مجلسُ وزرائهم، وأدلَوا بالتَّصريحات المُعوِلة، والشَّكاوي النَّادِبة، وهدَّدوا، وصاروا يَغلون بالغضب؛ كما قالت رويتر،

وطلب وزيرُ دفاع العصابات المحتلَّة أن تكون قُوَّاتُه في حالة تأهُّب بذريعة احتمالِ قيام الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة بهجومٍ واسِع النِّطاق لطَرد القوَّات الإسرائيليَّة من سَيناء، وليس ذلك إلَّا إخفاءً للحقيقة، وتوسُّلًا بشتَّى السُّبُل لإيجاد مبرِّر لعدوان مُبيَّت ضدَّ العرب.

وإذًا فمِن المحتَّمِ أن يكونَ العربُ على مستوى الأحداث، وأن يضَعوا خُطَّةً عاجلةً تُحشد فيها الطَّاقات العظيمة، التي يتمتَّع بها العرب، متعاونين مع إخوانهم المسلمين في شتَّى بِقاع الأرض، وأن يكونَ التَّدريبُ الإجباري، واتِّخاذ الاحتياطات، وشراء الأسلحة، ولا سيَّما الطَّائرات المقاتلة، والدبَّابات، والمَدافع المضادَّة للطَّائرات، وشتَّى أنواع الأسلحة، وأن يقومَ الدِّفاع المدنيُّ بدَوره؛ إذ إنَّ الرُّكود والتَّهاون معناه انتظارُ هجوم العدوِّ على المكتفِين والمستسلِمين للهزيمة.

إنَّ إسرائيل لن تكتفيَ بتدمير مُنشآت النِّفط في السُّويس، وإذًا فإنَّ على كلِّ دولة عربيَّة وإسلاميَّة، وكلِّ فرد أن يُدرِكَ واجبَه حِيالَ العدوِّ الغادر، وأن يؤدِّيَ دورَه بشجاعةٍ وتقديرٍ للأمور، فلا يركَن للدَّعَة أو الغفلة،

ولا يُقلِّل من أهمِّية دورِه في الجهاد.

وكما أنَّ على الدَّولة أن تعبِّئ قوَّتَها، فإنَّ على العلماء والمفكِّرين والصَّحفيِّين، وسائر مَن يشاركون في وسائلِ الإعلام - أن يعرفوا هذه الحقيقة، وأن يعملوا لها ما في وُسعِهم؛ فالموقف جِدٌّ لا مجال فيه للَّغو والعبث، وليسَت مسؤوليَّتُه محصورةً بأشخاص معيَّنين وحدَهم، ولكنَّها مسؤوليَّة خطيرة يتحمَّلها الجميعُ؛ كلٌّ بحسَب قدرته وطاقاته.

وعندما تَبذلُ الأمَّة الإسلاميَّة ما تُطيق، وتكون على درجةٍ من الوعي الكافي، واليقظةِ التامَّة، معتمِدةً على الله، مسترشِدةً بوحيِه، فإنَّها منصورةٌ بإذن الله، وسينالُ عدوَّها الاندحارُ والهزائم، وعاقبته الخَسار والبَوار، وإنَّ الله ناصرٌ مَن نصَره.

من كتاب "أسرار معارك الأردنِّ[(١)]

(من ٥ إلى ٩ حَزيران ١٩٦٧)"

تأليف: فؤاد القصَّاص

من مطبوعات: دار الهدف بلبنان

كتاب صغير، يقَع في ٨١ صفحةً من الحجم الصَّغير، مزوَّد بالصُّور المختلفة، وفيه معلومات قيِّمة، يقول المؤلِّف: إنَّه استَقاها من مَصادرها الأصليَّة، رسميَّة وشعبيَّة، وعسكريَّة ومدنيَّة على السَّواء، ولم يكتفِ بذلك؛ بل قام «بعمليَّة وزن وتقويم لهذه المعلومات، والتأكُّد من صحَّتها، مستخدِمًا في ذلك كافَّة الوسائل التي أُتيحَ له استخدامُها».

ولا شكَّ أنَّ القارئ العربيَّ شَغوف بالاطِّلاع على الوقائع الصَّحيحة، وسيجد في هذا الكتاب حقائقَ فيها جِدَّة وطَراوة، وثقةً لا تستكين لليأس.

---

(١) "المدينة"، العدد (١١٠٥)، في ٤/ ٨/ ١٣٨٧هـ.

ويشير المؤلِّف إلى أنَّه سبق أن أصدر كتابًا بعنوان: "أسرار معارك سَيناء"، وأنَّه سيُصدر قريبًا كتابًا بعنوان: "أسرار معارك سوريا"، وآخر بعنوان: "السُّعوديَّة في معركة ٥ حَزيران".

وتحدَّث المؤلِّف في كتابه الذي نحن بصدد الحديث عنه كثيرًا عن بَسالة الجيش الأردنِّي وبطولاته، وعن نيَّات العدوِّ المبيَّتة للاستيلاء على الضفَّة الغربيَّة من الأردنِّ، وأوردَ إجابةً لموشي ديَّان وزير دفاع العدوِّ، وكان قد سأله محرِّر مجلة "لوموند" الفرنسيَّة في شهر يونيه **١٩٦٦** عمَّا ستفعلُه إسرائيل في حالة هجوم مصري، فقال: إنَّ خُطَّتنا المضادَّة في حالة هجوم مصريٍّ علينا هي أن نثبِّت القوَّات المصريَّة في سيناء، ثمَّ نهجُمَ على الضفَّة الغربيَّة من الأردنِّ ونحتلَّها.

وتحدَّث المؤلِّف عن خُطط إسرائيل في المجالات الإعلاميَّة والسِّياسيَّة والعسكريَّة، وعن مَهارتها في الخداع، وما استطاعَت كسبَه نتيجةً لهذه الخُطط، ولا سيَّما في المجال الإعلامي، حيث نالَت عطفًا من دول كثيرة؛ لظنِّهم أنَّها ضعيفة تقف أمامَ أعداء أقوياء يريدون القضاء

عليها دونَما ذنبٍ أو جَريرة، وكانت أجهزة الإعلام العربيَّة أحيانًا تُساهم عن غير قصد في إعطاء إسرائيل حجَّة لتأييد مزاعمها عن طريق التهديدات الكلاميَّة.

ويورد المؤلِّف معلوماتٍ على جانبٍ من الخطورة؛ ذلك أنَّ إسرائيل عمَدَت إلى وضع خُطَّتين؛ إحداهما تمويهيَّة والأخرى حقيقيَّة، حصل هذا قبل حرب عام **١٩٥٦** وحرب **١٩٦٧**، وأنَّ أحد الصحفيِّين الألمان المؤيِّدين للعرب! قد نقل الخُطَّة الكاذبة، وتسرَّبَت إلى المسؤولين العرب، ولكن الخُطَّة الحقيقيَّة كانت عكسَها، وحينما وقعَت الحرب في **١٩٥٦** كان بعض المسؤولين العرب قد انخدع بالخُطَّة.

أمَّا الخُطَّة الكاذبة التي سبقَت حرب **١٩٦٧**، فقد نقلَها إلى رئيس إحدى الدُّول العربيَّة الصَّحفيُّ الهنديُّ كارانجيا، ووثِقَ فيه؛ لأنَّه يتصوَّره صديقَ العربِ الوفي.

ومن هذه الخُطَّة أنَّ إسرائيل سوف تهجُم من نقطة معيَّنة، وأنَّها لا تفكِّر بالهجوم على مصر؛ خوفًا من القوَّة الجويَّة المصريَّة الهائلة، القادرة على سحق العسكريَّة الإسرائيليَّة، ويعلِّق المؤلِّف تعليقًا لطيفًا فيقول:

«ولكن ممَّا يُثير الشكَّ في سلوك الصحفيِّ الهنديِّ ونواياه، ما ذكَره في مقدِّمة كتابه "خنجر إسرائيل" ، الذي أورَد فيه نصَّ الخُطَّة الإسرائيليَّة، من أنَّه حصَل على هذه الوثيقة من شخصيَّة عربيَّة كبيرة كان لها دورُها الحيويُّ في حلف بغداد، أمَّا اسم هذه الشخصيَّة فلم يَكشف الصَّحفيُّ الهنديُّ حقيقتَها.

وهناك ملاحظة هامَّة على كتاب الصحفيِّ الهندي، فهو لم يقدِّم في كتابه سوى حروف مطبوعة، أمَّا الوثيقة ذاتها - أي: الخطَّة الإسرائيليَّة المزعومة - فلم يقدِّم أيَّ تصوير زنكوغرافي لأيِّ جزء منها؛ ممَّا ينزِع عن الوثيقة أهمَّ خصائصها، وهي أنَّها وثيقة حقيقيَّة كتبها العسكريُّون باللُّغة العبريَّة».

ويشير المؤلِّف إلى أنَّ معركة السموع كانت جسَّ نبض من إسرائيل للقوَّة العربيَّة، أو التمهيد لمعركة ٥ حزيران ٦٧ ، وقد كانت هذه المعركة الصَّغيرة ذاتَ أهمِّية كبرى بالنِّسبة لإسرائيل؛ إذ عمِلَت على نشر الفُرقة بين العرَب بما تبثُّه من دِعايات، موهِمةً كلَّ دولة عربيَّة أنَّها تقف وحيدةً في الميدان، وبذلك تربح المعركة!

ثمَّ تحدَّث عن تصريحات زعماء اليهود في اعتزامهم ضرب سوريا، وقول أشكول في الثَّاني عشَرَ من أيَّار عام ٦٧: «إنَّ الجيش الإسرائيليَّ سيُهاجم سوريا، ويحتلُّ عاصمتها دمشق، ويُسقط نظام الحكم فيها»، وعن هبَّة الدُّول العربيَّة لمساعدة سوريا في حالة وقوع هجوم عليها، وأنَّ مصر كانت ملتزمةً بالدِّفاع عن سوريا في حالة تعرُّضها لعدوان مسلَّح حسَبَ اتِّفاقيَّة الدِّفاع المشترك، ثمَّ توقيع اتفاقيَّة الدِّفاع المشترك بين مصر والأردنِّ.

ثمَّ تحدَّث عن سحب القوَّات الدوليَّة وإغلاق خليج العقبة في وجه المِلاحة الإسرائيليَّة، وما أحدثَته هذه التطوُّرات من ذُعر في إسرائيل، جرى على أثره تعديلُ الوزارة الإسرائيليَّة لتصبح وزارة حرب.

«وفي مساء الثَّالث من حَزيران عقَدَت القيادة العسكريَّة الإسرائيليَّة اجتماعًا مطوَّلًا، حضَره الجنرالات الجدُد، ومعهم الملحَق العسكريُّ بالسِّفارة الأمريكيَّة، وقائد الأسراب الأمريكيُّ المتقاعد دافيد مارجون الذي يُقيم في إسرائيل منذ عام ٥٦.

وتقرَّر في النِّهاية للاجتماع تعديلُ الخطَّة الإسرائيليَّة بحيث تُعطى الأولويَّة لجبهة سيناء، فتُحشد القوَّة الضَّاربة الرَّئيسيَّة في مواجهة القوَّات المصريَّة، وتُوضع قوَّات متوسِّطة على الجبهة الأردنِّية والجبهة السُّوريَّة، مهمَّتها أن تقوم بعمليَّة تثبيتٍ للقوَّات الأردنِّية والسُّوريَّة في مَواقعها لمدَّة **٢٤** ساعة على الأقلِّ، تكون إسرائيل خلالَها قد تمكَّنَت من إحراز نصر على القوَّات المصريَّة، ثمَّ تلتفت لباقي الجبهات».

وقد نشرَت هذا التَّحليلَ للموقف بين العرب وإسرائيل جريدةُ "ماتور" الصِّهيَونيَّة في اليوم الثالث للعُدوان الإسرائيلي.

ثمَّ يتحدَّث المؤلِّف عمَّا حصلَت عليه إسرائيل من الأسلحة منذ أوائل عام **٦٧** حتى وقوع المعركة؛ فيَذكر أنَّها تحصَّلَت على نحو أربعمئة وخمسين دبَّابة، بين أمريكيَّة وإنكليزيَّة وفرنسيَّة، ومن صُنع إسرائيل بمساعدة خبراءَ أجانب، وأربعمئة مِدفع حديثٍ مضادٍّ للدبَّابات، ونحو ثلاثمئة طائرة من صنع أمريكيٍّ وفَرنسيٍّ وإنكليزي، ومئة وعشرين مدفع مَيدان إنكليزي. هذا بالإضافة إلى

الخبراء الألمان والإنكليز والأمريكان والفرنسيِّين في حرب الصَّحراء والمدن، ونحو ألف وثلاثمئة متطوِّع، نصفهم على الأقلِّ كانوا يعملون كطيَّارين في سلاح الجوِّ الأمريكيِّ والفرنسيِّ والإنكليزيِّ والألماني، وقد دفعَت إسرائيلُ لكلٍّ منهم ٥ آلاف دولار كلَّ شهر، وتمَّ الدَّفع مقدَّمًا.

هذا، بينما لم يكن لدى سلاح الجوِّ الأردنِّي سوى ٢١ طائرة، ومع ذلك فقد أبدى النُّسور الأردنِّيون شجاعةً خارقة، وحينما بدأ العدوان كانت المدفعيَّة الأردنِّية في القدس تقصف القطاع الإسرائيليَّ، وبدأت القوَّات الأردنِّية الزَّاحفة على القطاع المحتلِّ سَيرها، واحتلَّت جبل المكبر، وقصفَت المدفعيةُ الأردنِّية في القدس وتلال الخليل ثلاثًا وعشرين مستعمَرةً إسرائيليَّة، فدمَّرت بعضَها تدميرًا كاملًا، وأشعلَت في البعض حرائقَ هائلة، وأصابَت الباقيَ بأضرار جسيمة؛ كما اعترفَت قيادة إسرائيل فيما بعد.

وأغارت الطَّائرات الأردنِّية على مدينة حَيفا وقصفَتها بالقنابل، وأبادَت المدفعيَّةُ الأردنِّية وحدةً إسرائيليَّة من

وحدات المدفعيَّة الثَّقيلة في مستعمرة إسكندر، كما دمَّرت مستعمرةَ الخمسة الحصينة، التي تقع بين القدس وباب الواد التي تقوم فيها مدينة القسطل العربيَّة، وأسقطَت القوَّات الأردنِّية عددًا من الطَّائرات الإسرائيليَّة، واستولَت على رامات راحيل بعد أن ضربَتها بالمدفعيَّة والرشَّاشات ضربًا عنيفًا، كما دمَّرت عددًا من دبَّابات العدوِّ ومدرَّعاته.

ورغم طائرات العدوِّ الكثيرة، ومُعدَّاته الثَّقيلة، وجنوده الذين لا نسبةَ بينهم وبين الجنود الأردنِّيين عددًا وعدَّة، وقد ركزوا هجومهم على الأردنِّ بعد أن فاجؤوا القوَّات المصريَّة بضربتهم الأولى، وحشَدوا قوَّاتٍ هائلةً على الأردن، فإنَّ البَسالة الفائقة التي أبداها الجيش الأردنِّي تدعو للإعجاب، حتَّى إنَّ العدوَّ لم يتورَّع في ليلة السَّادس من حَزيران أن يُهاجمَ الجيش الأردنيَّ بالصَّواريخ وقنابل النَّابالم الحارقة، هذا بالإضافة إلى عشرة ألوية بينها لواء مدرَّع، ومئات من الطَّائرات تصبُّ قنابلَها على الجيش الأردنِّي الباسل.

وفي صباح السَّادس من حَزيران كانت مَعاركُ تدور في القدس، استُخدِمت في بعضها الأسلحة البيضاء، وتكبَّد

العدوُّ فيها أكثرَ من خمسمئة قتيل، ومئات الجرحى، وعشرات المصفَّحات المدمِّرة، وعددًا من الطَّائرات.

وفي هذا اليوم استَخدمت قوَّات العدوِّ الصَّواريخ وقنابل النابالم ضدَّ المواقع الأردنِّية، وقاتَل الجيش الأردنِّي قتالًا فائقًا، حتى أُوقف إطلاقُ النار بقرار من مجلس الأمن، وكان للتفوُّق في الطَّيران، واستخدام العدوِّ لقنابل النابالم أثرٌ واضح في تفتيت القوَّة الأردنِّية، التي أبدَت من ضُروب الشَّجاعة ما يَعجِز القلمُ عن وصفه.

وفي ختام الكتاب يَذكر المؤلِّف معلوماتٍ هامَّةً عن خسائر إسرائيل في الجبهة الأردنِّية، وعن خسائر الأردن؛ فيقول: «خسِرَت القوَّات الإسرائيليَّة على طول الجبهة الأردنِّية ثلاثةَ آلاف وتسعمئة قتيل، بينهم **١١٥** ضابطًا، وجُرح من قوَّاتها ألفٌ وسبعمئة جندي وضابط، بينهم أربعمئة جراحُهم خطيرة، ودُمِّر للإسرائيليِّين **٨٥** دبَّابة، بينها ثلاثون من طراز سنتوريون الضَّخم، وخَسروا أيضًا **٦٧** مصفَّحة، و**٣٦** ناقلة جنود، وحوالي أربعمئة مدفع مختلفة الأنواع، ودُمِّر لإسرائيل في سماء الأردنِّ **٣٩** طائرة، بينها **١٧** طائرة من طراز فوتور، وأربعَ عشْرةَ طائرة

من طراز ميراج، وخسرَ الأردنُّ نحو ستَّة آلاف رجل، بينهم نحو ألفين من المدنيِّين، وعددٌ من الجرحى يقلُّ عن خمسمئة.

وكانت معظم الإصابات والوفَيَات نتيجةَ حروق قنابل النابالم التي استعملَتها الطائرات الإسرائيليَّة، ودُمِّر للأردنِّ **٦٢** دبَّابة، معظمُها من طراز عتيق وحجم متوسِّط، ودمِّر لها أيضًا **٣٥** مصفَّحةً من طراز عتيق، وخسرَ الجيش الأردنِّي نحو مئتي مدفع مختلفة العِيارات، وفقَد الأردنُّ ثماني عشْرةَ طائرةً من سلاحه الجويِّ، معظمُها من طراز عتيق».

وهذا الكتاب - على صغر حجمه - قد احتوى معلوماتٍ جيِّدة، أحسب أنَّ القارئ قد لمَسَ من خلال هذا الاستعراض مدى أهمِّيتها، وهو كتاب قد يستفيدُ منه - ومن أمثاله - العربُ في التَّخطيط لمواجهة عدوٍّ ماكر يريد أن ينقضَّ على البُلدان العربيَّة ليضمَّها إلى مملكة إسرائيل المزعومة، وليستفيدوا من التَّجارِب والأخطاء؛ حتى تكونَ تقديراتُهم صحيحة، واستعداداتهم كافية.

وفَّق الله الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة إلى ما فيه عزُّها وسعادتها والنصرُ على أعدائها[(١)].

(١) تلقَّى المؤلف خطابًا من الأستاذ فؤاد القصاص، المدير العام لمجلة "الجيب" هذا نصُّه:

بيروت في ٣/ ١/ ١٩٦٨م

الأخ المحترم/ زيد بن عبد العزيز بن فياض

تحيَّة طيِّبة، وبعد:

تلقَّيت رسالتك الرقيقة، وإذ أشكرك على اهتمامك بكتابي "أسرار معارك الأردن" أُحيطك علمًا بأنَّه قد صدر بعد هذا الكتاب سبعة كتب؛ بينها: "أسرار معارك سوريا"، و"أسرار معارك سيناء"، وقد كتبت عنها الصحف العربيَّة والأجنبيَّة ووكالات الأنباء بإفاضة، ولكنِّي أقرِّر باعتزاز أنَّ ما كتبتَه في "جريدة المدينة" كان أكثر شمولًا وفائدة؛ ممَّا يجعلني مدينًا لك بالعرفان، وإن كنَّا جميعًا نكافح من أجل وطننا، وواجب علينا أن نؤدِّي الأمانة لأصحابها، وأن نعتنق دائمًا الحق؛ لأنَّه أقصر طريق نحو الكرامة والحريَّة.

وأرجو أن تقبل تحيَّاتي

فؤاد القصاص

أسرار معارك سوريا[1]

وهذا كتابٌ آخَر ألَّفه الأستاذ فؤاد القصَّاص، وطبعَته دار الهدف ببيروت، ويقع في حوالي ٩٠ صفحة، وهو من سلسلة كتب عسكريَّة للمؤلِّف. ولا شكَّ أنَّ الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة أحوجُ ما تكون إلى نشر معلوماتٍ صحيحة، وإلى وعي أسباب النَّكبة، وإلى إدراك مخطَّطات العدوِّ، مدعَّمًا بالأرقام الصَّحيحة، والإحصائيَّات الدَّقيقة.

الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة في حالةٍ من الغليان والأسى بعد هزيمةٍ لم تكن متوقَّعةً لدى الكثيرين، وإن كانت ليست مستغرَبة لدى الواعين المتتبِّعين لمجرى الأحداث والأوضاع التي كانت سائدةً في العالم العربي، والتفرُّق الذي أوجدَته تيَّارات غريبة، وتخبُّطات فوضويَّة، وغفلةٌ عن أعمال العدوِّ، بينما الخلافات تمزِّق أوصالَ الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة.

والكتاب الذي بين يديَّ الآن من الكتب الرَّزينة

(١) "المدينة"، العدد (١١٢٩)، في ٣/ ٩/ ١٣٨٧هـ.

المدعَّمة بالبيانات، وهو كمثيلِه "أسرار معارك الأردنِّ"، وإن تكن المعلومات التي احتواها أقلَّ من المعلومات التي حصَل عليها في الكتاب السَّابق، وقد اعتذَر المؤلِّف عن ذلك بأنَّه لم يُسمَح له بالبقاء بسوريا أكثرَ من يوم واحد، وأنَّ الغموض يكتنِفُ بعضَ ما وقع تجاهَ تقهقُر القوَّات السُّوريَّة، وأنَّ التحقيقَ يجري حاليًّا للوصول إلى نتيجة.

ويقول المؤلِّف: «وقد خرجتُ بنتيجةٍ واحدةٍ عقبَ هذه اللِّقاءات، وهي أنَّ نوعًا من الغموض يُحيط بمعارك الجبهة السُّوريَّة؛ فالذين يعرفون قليلون جدًّا، والذي يعرفُه الذين يعرفون أقلُّ من القليل!».

وهكذا سافر المؤلِّف إلى سوريا لاكتشاف الحقيقة؛ يقول:

«وفي صباح التَّاسع والعشرين من شهر تَمُّوز (يوليه ٦٧)، كنتُ داخل سيَّارة أجتاز الحدود السُّوريَّة، وخلال ساعات النَّهار - وهو الزَّمن الذي سُمح لي بقضائه في سوريا - استطعتُ أن أحصلَ على معلومات هامَّة ومثيرة، كشفَت الكثيرَ من الغموض الذي أحاطَ بالمعارك السُّوريَّة في ٥ حَزيران، وإن لم تكشِفه كلَّه».

إنَّ المؤلِّف يعترف هنا بأنَّه لم يكشف كلَّ الحقيقة؛ لأنَّ الغموض يحيطُ ببعض جوانب الموقف هذه المرَّة.

ويتحدَّث المؤلِّف عن مخطَّطات العدوِّ، وتصميمه على ضرب سوريا، محاوِلًا استغلالَ الظُّروف والتفكُّك، وأملُه أن يُجابهَ كلَّ بلدٍ عربي على حِدَة؛ فلا تقوى البلاد العربيَّة على الصُّمود أمامَه، ومع أنَّ الهدف الظاهريَّ لإسرائيل هو زعمُها أنَّها تهدف إلى وقف نشاط الفدائيِّين عن طريق ضرب سوريا؛ التي تدَّعي أنَّها المحرِّك لهم، وأنهم يتَّخذون من الأراضي السُّوريَّة مواقعَ لانطلاقهم وتدريبهم، فإنَّ الهدف الحقيقيَّ هو رغبتُها في التوسُّع وابتلاع البُلدان العربيَّة؛ تنفيذًا للمخطَّطات الصِّهيَونيَّة.

وقد شنَّ الإسرائيليُّون هجومَهم على المواقع السُّوريَّة بالطائرات والمُشاة في شهر نَيسان (أبريل ٦٧)، ثمَّ هدَّد أشكول بالهجوم على دمشق وإسقاط نظام الحكم فيها، ولقد أعدَّت إسرائيل العُدَّة لمؤامرتها إعدادًا فيه الغدرُ والمكر.

يقول المؤلِّف مسلسِلًا الأحداث:

وفي الأسبوع الأخير من شهر كانون الثَّاني (يناير

٦٧)، توالَت التَّصريحاتُ الإسرائيليَّة تستصرخ الدُّول الغربيَّة الكبرى: إنكلترا وأمريكا وفرنسا؛ كي تُضاعفَ من شِحنات الأسلحة للدِّفاع عن إسرائيل ضدَّ الغُول العربيِّ المتربِّص بها من كلِّ جانب، وتباكَى الزُّعماء الإسرائيليُّون - كعادتهم - وهم يروُون مَزاعمهم عن القوَّة الضَّاربة الهائلة التي يَملِكها العرب، وخاصَّة سلاحَي الطَّيران والمدرَّعات.

وفي نفس الوقت الذي توالَت فيه هذه التَّصريحات ذاتُ الهدف المكشوف، عُقدت عدَّة اجتماعات على مستوًى عالٍ في العاصمة الإسرائيليَّة: اجتماع لقادة السِّلاح الثَّلاثة، اجتماع لقادة الألوية، اجتماع للقادة العسكريِّين السَّابقين، اجتماع لخبراء التَّسليح الأجانب والإسرائيليِّين، اجتماع لرؤساء أجهزة المخابرات والأمن.

وعلى الصَّعيد المدنيِّ توالَت الاجتماعاتُ أيضًا: اجتماع اقتصاديٌّ برئاسة وزير الماليَّة، اجتماع تمويني برئاسة وزير التَّموين، اجتماع صناعيٌّ برئاسة وزير الصِّناعة، اجتماع إعلاميٌّ برئاسة وزير الإعلام، وقد حضَره أشكول رئيسُ الوزراء. وأعقب كلَّ ذلك اجتماعٌ

سريٌّ عقَدَته لجنة الشُّؤون الخارجيَّة بالكنيست الإسرائيلي، واجتماعٌ آخرُ للجنة الشُّؤون الماليَّة، وقد حضر الاجتماعَين الزُّعماءُ الإسرائيليُّون، وفي الاجتماع الأخير اعتُمِدتِ المبالغ اللَّازمة لتمويل الخُطَّة.

وبعد هذه الاستعدادات كان هناك نشاطٌ دبلوماسيٌّ كبير، ثمَّ صفَقات أسلحة مع أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربيَّة، وقد تمَّت هذه الصَّفَقات في جوٍّ من الكتمان والسِّريَّة في أغلب الأحيان، وتسرَّبَت عنها أنباءٌ قليلة، وسرعان ما توالى ورودُ هذه الأسلحة.

ويرتِّب المؤلِّف تتابُعَ الأحداث على النَّحو التَّالي:

١- «في الثَّامن من شُباط (فبراير ٦٧) طار أبا إيبان إلى واشنطن، حيثُ عقد صفقة القاذفات من طراز سكاي هوك.

٢- في العاشر من شُباط (فبراير ٦٧) عقَد إسحاق رابين مع بريطانيا صفقة الدبَّابات والمدافع، بينها مئة دبَّابة من طراز سنتوريون الضَّخمة.

٣- في أوائل شُباط (فبراير ٦٧) أعلن موشي ديَّان في

سايجون أنَّه يقوم مع عدد من العسكريِّين الإسرائيليِّين بالتدرُّب على أحدث الأسلحة الأمريكيَّة المستخدَمة في الحرب الفيتناميَّة.

٤- في ظلام ليلتَي **٢١، ٢٢** شُباط (فبراير ٦٧)، هبطَت في المطارات العسكريَّة الإسرائيليَّة **٣٥** قاذفةَ قنابلَ من طراز سكاي هوك، يقودها طيَّارون أمريكيُّون.

٥- في الخامس والعشرين من شُباط (فبراير ٦٧) وصلَت إلى ميناء حَيفا سفينةُ شحن إسرائيليَّة، تحمل شِحنةً من أحدث الدبَّابات والمدافع البريطانيَّة.

٦- في نفس شهر شُباط (فبراير ٦٧) وفي الأسبوع الثَّاني منه، كانت جولدا مائير تقوم بزيارة سرِّية لفرنسا وألمانيا الغربيَّة، هدفُها الحصول على الأسلحة والتفوُّق العسكري؛ تنفيذًا للمؤامرات الإسرائيليَّة المبيَّتة ضدَّ البُلدان العربيَّة، والتي وضِعَت خُطَّتها في الأسبوع الأخير من شهر يناير ٦٧.

٧- في الثَّامن والعشرين من شُباط (فبراير ٦٧) نشرَت بعض الصُّحف الألمانيَّة في بون خبرًا نسَبَته إلى مصادرَ مطَّلعة، تُفيد أنَّ إسرائيل تعاقدَت مع بعض خبراء الأسلحة

الألمان ممَّن لهم دراسة بالقطاع الإلكتروني، وعدد من الضُّباط الألمان الذين سبق لهم الاشتراك في حرب الصَّحراء في الحرب العالميَّة الثانية، وعدد آخر من المهندسين في صناعة الأسلحة وتطويرها».

ثمَّ يتحدَّث المؤلِّف عن خُطَّة إسرائيل التنفيذيَّة؛ وهي البدء باشتباكات محدودة ومناوَشات، تُصاحبها دِعايةٌ ضخمةٌ في الخارج ضدَّ البُلدان العربيَّة من أجل سماحها للفدائيِّين الفلسطينيِّين بالعمل من هذه البُلدان، وتهديد إسرائيل بأنَّها ستنتقم من تلك البُلدان ما لم تُوقف نشاطَ الفدائيِّين، وهي تهدف إلى تغطية مؤامراتها، وإلى كسب أصدقاء وحُماة وعطف من دول عديدة.

ثمَّ مرَّت الأحداث مسرعةً عنيفة؛ فقد وقع اشتباك بالمدفعيَّة في بداية نَيسان (أبريل) بين المواقع السُّوريَّة والمواقع الإسرائيليَّة في المنطقة المنزوعة السِّلاح، وتوالت الاشتباكات في الأيَّام الثَّلاثة التَّالية وازدادت عنفًا، ثمَّ وقِّع بين مصر وسوريا اتِّفاقيةُ الدِّفاع المشترك، وتنصُّ على أنَّ أيَّ اعتداء يقع على أيٍّ من الدَّولتين يُعتبر اعتداءً على الدولة الأخرى.

وكان هجوم إسرائيل على سوريا في السَّابع من نَيسان (أبريل ٦٧) بقوَّات كبيرة من المدرَّعات، تُساندها المدفعيَّة الثَّقيلة، ويدعمها غطاءٌ جوِّي كثيف؛ اختبارًا لمدى جدِّية تنفيذ هذه الاتِّفاقية من عدم جديَّتها، وعلى هذا الأساس تضع خُططها الجديدةَ على ضوء هذا التطوُّر العربي.

وفي الثَّاني والعشرين من شهر نَيسان (أبريل ٦٧) وصلَت ميناءَ حَيفا سفينتا شحن - إحداهما إسرائيليَّة، والأخرى ألمانيَّة - تحملان شِحنةً من الدبَّابات الفرنسيَّة طراز ي.م.ل، قدَّرها مراسل هيئة الإذاعة البريطانيَّة في تلِّ أبيب بمئة وخمسين دبَّابة.

«وهذه الدبَّابات هي أحدثُ ما وصل إليه علم المدرَّعات في القرن العشرين؛ فالدبَّابة من هذا الطِّراز تزنُ نحو خمسين طُنًّا، وهي مزوَّدة بمدفع من عيار ٩٠ مليمتر، وتستطيع السَّير على جميع الطُّرق من رمليَّة وصخريَّة، ومستوية ووَعْرَة، بسرعة ٨٠ كم في السَّاعة، وتبلغ سرعتها القصوى مئة كم في السَّاعة، وهي تملك قدرة هائلة في المناورات والضَّرب في جميع الاتِّجاهات.

وإذا عُرف أنَّ أقوى الدبَّابات الرُّوسيَّة والأمريكيَّة والإنكليزيَّة التي تتزوَّد بها البلاد العربيَّة لا تَزيد سرعتها عن ستِّين كم في السَّاعة - لاتَّضحَ أنَّ هذه الدبَّابة قادرةٌ على ضرب دبَّابات الخَصم، والهرَبِ دونَ أن ينالَها أيُّ ضرر.

وفي الأسبوع الأخير من شهر نَيسان (أبريل ٦٧) وصل المطاراتِ الإسرائيليَّةَ عددٌ يتراوح بين خمسين وسبعين طائرةً من أحدث طراز ميراج الفرنسي، وفي نفس الأسبوع وصلَت ميناءَ حَيفا شِحنةٌ من الصَّواريخ الأمريكيَّة من طراز هوك؛ التي تنطلق من الأرض للجوِّ، ومع الشِّحنة عددٌ من الخبراء الأمريكيِّين.

وفي نفس الوقت الذي وصلَت فيه شِحنةُ الصَّواريخ الأمريكيَّة، كانت إحدى سفن الشَّحن الإنكليزيَّة تُفرغ في ميناء حَيفا حمولتَها من الدبَّابات من طراز سنتوريون؛ المزوَّدة بمدفع من عيار ١٠٥ ملم، ويتراوح عددُها ما بين مئة دبَّابة، ومئة وثلاثين دبَّابة.

وبينما تجري هذه الاستعدادات سافر أشكول إلى واشنطن؛ لينال تأييدَ الأمريكيِّين، وليَجلِب أسلحةً جديدة،

ولم يمضِ طويلُ وقتٍ حتَّى وصلَت طائرات ضخمة غريبة الشَّكل، يقودها طيَّارون أمريكيُّون، عليها شعارات الطَّيران الإسرائيلي، وهبطَت في المطارات الإسرائيليَّة، كان ذلك في ليلتَي ٥ و٦ أيَّار (مايو ٦٧)».

وفي العاشر من أيَّار (مايو ٦٧) اعترَف قائدُ جيش إسرائيل بامتلاك إسرائيل لنوع جديدٍ من أحدث الدبَّابات الفرنسيَّة، وأضاف قائلاً: «وقد تمكَّن الفنِّيون والمهندسون الإسرائيليُّون من إدخال تعديلات هامَّة على عدد كبير من دبَّابات السنتوريون، فرفَعوا مِدفَعها الأصليَّ ووضعوا مكانه مدفعًا ضخمًا من عيار ١٥٥ ملم قادرًا على إطلاق قذائفَ من أنواع متعدِّدة، منها نوعٌ لخرق أقوى الدُّروع، ونوع آخَرُ يتناثر على الهدف فتقتل شظاياه جنودَ الأعداء، ونوع آخر شديد الانفجار، وهذه المدافع قد صُنعَت محليًّا، أمَّا في مجال الطيران فنحن نملك الآن أسطولًا من القاذفات والمُقاتلات من أحدثِ ما عرَفه العالم».

وهكذا تدفَّقَت الأسلحةُ على إسرائيل، حتَّى أصبحَت ترسانةً للأسلحة، ومستعدَّة للبدء بالعُدوان، وفي الثَّاني عشَر من شهر أيَّار (مايو ٦٧) أعلَن أشكول أنَّه سيضرب

سوريا، وسيحتلُّ دمشق ويقضي على الحكم الرَّجعيِّ فيها، وأعلنَت إحدى الدُّول الغربيَّة الكبرى استعدادَها لحماية إسرائيل عسكريًّا.

وقد غيَّرَت إسرائيلُ من خُططِها؛ فقرَّرَت أن تبدأ هجومَها على الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة؛ حتَّى تقضيَ على الطَّيران فيها أو تشلَّ من قوَّتِه، وتقطعَ المواصلاتِ والإمداداتِ عن قوَّة المُشاة فيها؛ لأنَّها لا تستطيع مواجهةَ القوَّات العربيَّة الثَّلاث في وقت واحد.

ففي أحسن الظُّروف لم تكن لتستطيع تعبئةَ أكثرَ من مئة وخمسين ألفَ رجل، بينهم أكثرُ من الثُّلث من فئة الخدَمة الذين يخدُمون خلفَ القوَّات المحاربة، سواء في أسلحة المهمَّات، أو التَّموين، أو الحراسة، والباقون يشكِّلون أقصى طاقة ضاربة تستطيع إسرائيل جمعَها، وهي قوَّة لا تكفي - من حيث العددُ - لمواجهة القوَّات المصريَّة وحدَها، التي تزيد عن مئة ألف مقاتل، فما بالك بالنَّجدات الجزائريَّة والعراقيَّة والسُّودانيَّة التي كانت قد بدأَت تتدفَّق على الجبهة المصريَّة، والتي وصل عددُها إلى عشرين ألفَ مقاتل، بالإضافة للقوَّات الأردنِّية، وعددها

أربعون ألف مقاتل، يساندُها خمسة آلاف جنديٍّ عراقي؟!

وإذا أُضيف لذلك قوَّاتُ الجيش السُّوريِّ البالغُ عددُها نحوَ ثمانين ألف مقاتل - استبان مدى التفوُّق البشريِّ العربيِّ في المجال العسكري؛ ممَّا يجعل إسرائيل تختار محارَبة الدُّول العربيَّة واحدةً بعد الأخرى، كما وقع فعلًا.

ومن ثَمَّ فقد حاربَت مصر، ثم الأردنَّ، ثم سوريا على التَّوالي، وهكذا كان الهجومُ الإسرائيليُّ على مصرَ لتحطيم الطَّيران المصريِّ أو إضعافه؛ ليكون لها التفوُّق الجوِّي؛ لأنَّ الأردنَّ وسوريا معًا لا يملِكان من الطَّائرات المقاتلة إلَّا مئة مقاتِلةٍ أو أقل، كما حشَدَت إسرائيلُ معظمَ قوَّاتها في مواجهة القوَّات المصريَّة، والقليل منها حِيالَ سوريا والأردن؛ بغرض تثبيت القوَّات في مَواقعها حتَّى تنتهيَ من ضربتها لمصر. وقد وضع الإسرائيليُّون خُططًا أخرى في حال فشل خُطَّتهم في القضاء على الطَّيران المصري، ولم يكونوا يتوقَّعون أن تكون النتيجةُ لهجومهم على النَّحو الذي وقع.

وتتابعَت الأحداث، فأغلقَت مصر خليجَ العَقَبَة في وجه الملاحة الإسرائيليَّة، وأنهَت بقاء القوَّات الدَّوليَّة،

وذلك على أثر التهديدات الإسرائيليَّة باحتلال سوريا، ثمَّ حصل اتِّفاق الدِّفاع المشترك بين مصرَ والأردن، وفي ليلة ١٩ أيَّار ٦٧ سُحبَت القوَّات الإسرائيليَّة من حدود سوريا إلى حدود سيناء بأمرٍ سرِّي.

ومتى بدأ اشتراك سوريا في حرب ٥ حَزيران؟

تضطرب الأقوال؛ فمن قائل: إنَّه ابتدأ في السَّابع منه، ومن قائل: إنَّه من اليوم الأوَّل واللَّحظة الأولى.

واستعدَّت سوريا في حدود إمكانيَّاتها، إلَّا أنَّ تفوُّق إسرائيلَ في مجال الطَّيران كان له - ولا شكَّ - أثرٌ كبير في تراجع القوَّات السُّوريَّة، واحتلال إسرائيلَ للمرتفَعات المواجِهة لإسرائيل، بعد معاركَ ضارية غير متكافئة.

وكان للدبَّابات السَّريعة ذات الصُّنع الفرنسيِّ التي تقدر على التحرُّك في جميع الطُّرق مزيَّةٌ متفوِّقة؛ فهذا النَّوع من الدبَّابات يزحف على سفوح الجبال والمرتفَعات الشَّديدة الانحدار؛ ممَّا يصعُب مقاومته، يُضاف لذلك تطويق الإسرائيلِّيين لهذه المواقع، حيث دخلوا من منطقة بانياس؛ ممَّا جعل المدافعين بين فكَّي كمَّاشة إسرائيليَّة، ومع ذلك قاتلوا حتى استُشهد أكثرهم ونفِدَت ذخيرةُ الآخرين.

ولا بدَّ للحرب من خسائر، فكان نصيبُ سوريا من هذه الحرب تِسعَمئة قتيل، وتسعَمئة جريح، ومئةً وخمسين دبَّابة ومصفَّحة، ونحوَ سبعِمئة مدفع مختلفة العيارات، وثلاثين طائرة.

أمَّا خسائر العدوِّ في حربه مع سوريا فكان **٣٩** طائرة، بينها **٢١** من نوع الميراج، **٣٤** دبَّابة من طراز ي.م.ل، و**٢٠** دبَّابة من طراز سنتوريون، **١١** دبَّابة من طراز إسرائيلي، **٤٠** ناقلةَ جنود مصفَّحة، **٩٠** مدفعًا من مختلِف العيارات، **٥٩٠** قتيلًا بينهم **٢٨** ضابطًا أحدهم برتبة ميجور، **٦٠٠** جريحٍ نصفُهم جراحُهم خطيرة.

ومِمَّا يُذكر للقوَّات السُّوريَّة قيامُ سرب من الطَّائرات السُّوريَّة بقصف المطارات والـمُنشآت الإسرائيليَّة في المنطقة الشماليَّة من الأراضي المحتلَّة، وإصابتها بتدمير شديد، كما أغار سِربان من الطَّائرات السُّوريَّة على مدينة صَفَد، ثمَّ اتَّجها إلى مدينة حَيفا، وركَّزا الهجومَ على مصفاة البترول بها، فأصاباها إصابةً مباشرة أشعلَت فيها النِّيران، وقصفَت مدافعُ القوَّات السُّوريَّة المستعمراتِ الإسرائيليَّةَ على شواطئ بحيرة طبريَّة، وفي منطقة سهل

الحولة؛ حتَّى أسكتَت المواقعَ الإسرائيليَّة، واشتعلَت النِّيران في المواقع والمنشآت والمستعمرات الإسرائيليَّة.

وشتَّتَت المدافع السُّوريَّة تجمُّعاتٍ عسكريَّةً إسرائيليَّةً على شواطئ بحيرة طبرِيَّة وسهل الحولة، ودمَّرَت العديدَ من أسلحتها.

وفي السَّاعة السَّابعة مساء السَّادس من حَزيران تحرَّكَت تسعة ألوية من القوَّات السُّوريَّة، يحميها غطاء جويٌّ مكوَّن من سربين في عمليَّة هجوميَّة داخل الأرض المحتلَّة، وتصدَّت لها المدفعيَّة والمدرَّعات الإسرائيليَّة في محاولة لإيقاف زحفِها، وبعد معركة استمرَّت سبع ساعات، تمكَّنت القوَّات السُّوريَّة من القضاء على المقاومة الإسرائيليَّة، واحتلَّت أربعَ مستعمرات إستراتيجيَّة؛ هي: شريا شوف وكاريتون وديشوم والعلمانيَّة من قضاء الجَليل.

وكانت معركة شريا شوف هي أكثر المعارك ضراوةً في الأرض المحتلَّة؛ فقد تكبَّد الإسرائيليُّون خسائرَ فادحة، قدِّرت بثلاثين دبَّابة ومصفَّحة، وبأكثرَ من مئتي قتيل وجريح، وخسر السُّوريُّون سبعَ دبَّابات، وخمسين قتيلًا، وخمسةً وعشرين جريحًا، قبل أن يتمكَّنوا من احتلال

مستعمرة شريا شوف الواقعة في شمال سهل الحولة.

ورغم تعزيز العدوِّ لقوَّاته ضدَّ القوَّات السُّوريَّة الزَّاحفة وضَراوة المعارك، فقد تمكَّنَت القوَّات السُّوريَّة من القضاء على مقاومة العدو، واتَّجهَت نحو صَفَد والنَّاصرة.

وبعد ظهر السَّابع من حَزيران تمكَّنَت المدافع السُّوريَّة على المرتفعات من تدمير مستعمرة تل القصر تمامًا، وأبادت سريَّة مشاة إسرائيليَّة بأكملها.

وفي مساء الثَّامن من حَزيران تمكَّنت القوَّات الإسرائيليَّة من احتلال المرتفعات السُّوريَّة.

وبعد ظهر التَّاسع من حَزيران بدأَت القوَّات الإسرائيليَّة تزحف على مدينة القُنيطِرة، وقدِّرت هذه القوَّات بأكثرَ من ستِّين ألفَ جندي، ونحوِ ثلاثِمئة دبَّابة، وأربعِمئة من ناقلات الجنود المصفَّحة، مع مئتي طائرة من مختلف الأنواع، فسدَّت سماءَ المعركة تمامًا.

وقد استمرَّت هذه المعركةُ إحدى عشْرةَ ساعة، ثمَّ شنَّت هجومًا إسرائيليًّا على مدينة القُنيطِرة، مهَّدَت له بضرب عنيف مركَّز من الطَّيران، استعملت فيه قنابل

النابالم الحارقة وقنابل الفسفور، واستمرَّت المقاومة السُّوريَّة في شجاعة عظيمة، حتى لقد استعملَت السِّلاح الأبيض في المقاومة، ثم أُعلن وقفُ إطلاق النار.

هذا، وأرجو أن أكون قد وفِّقت في استعراض هذا الكتاب القيِّم، الذي كنت أتمنَّى لو سَلِم من بعض الأخطاء النحويَّة القليلة.

فلنتذكَّر فلسطين(١)

طافت بذهني أشياءُ كثيرةٌ وأنا أطوِّح النَّظر وأصعِّد الفِكر بين ماضٍ بعيد وحاضر قريب، وتذكَّرتُ أنِّي قد استقبلتُ لتوِّي شهر رمضان المبارك، ومرَّت الخواطر مائجةً صاخبةً لا تلوي على شيء، تدوِّي هادرةً قاصفةً حينًا، ومتَّئدةً رزينةً آونة، وكئيبةً حسيرةً وقتًا، وفي لحظات اعتورَتني أحاسيسُ شتَّى، وانفعالاتٌ متباينة، وخواطرُ مختلفة.

ودَهِشتُ لهذه الذِّكريات المزدحمة السَّريعة التي لا تُعطيني فرصة لآخُذَ أنفاسي وأجمعَ أشتاتي، وقلتُ: لعلَّ ذكرى بدر يوم انتصر الإسلام وتهاوى الكفر تُعيد الثِّقةَ إلى نفوسٍ أدمَتها الآلام، وقطَّعتها النَّكبات، وأرَّقها الحزنُ والبكاء، في شهر رمضانَ كانت غزوة بدر؛ فانتصر الرَّسول ﷺ وهُزم المشركون واندَحروا.

والمسلمون اليومَ وقد توالَت عليهم المِحَن، وتكالبَ

---

(١) "الدعوة"، العدد (١٣٠)، في ٤/ ٩/ ١٣٨٧هـ.

عليهم الأعداء، ودنَّس العدوُّ المسجد الأقصى، يَعيث فيه فسادًا، ويَتيه فيه عُتوًّا، بعد هزيمة كان وقعُها أليمًا، وخَطبُها جسيمًا؛ بَيد أنَّها لم تدعُ إلى اليأس، ولم تُسلِم إلى الهوان - يتذكَّرون معركة بدر في شهر رمضان، وينتظرون معركةً يلقِّنون فيها الصَّهاينة درسًا يطيِّر ما تبجَّحوا به وتفاخروا، حتى طاش سهمُ وزير دفاعهم فتغطرَس في إلحاده، وبطَر في عدوانه، وعندَها يعرف قدرَه، ويتلاشى غرورُه، كأسلافٍ له يَحتذي حَذوَهم، ويقتفي خُطاهم[1].

ولنعُد لتاريخ عظيم؛ لتكون القدوةُ جليَّة، والنَّهجُ واضحًا، ولنبصر من نوافذه وَقعاتٍ وحالات:

بعدما اندحَر المشركون يوم بدر، جمع الرَّسول ﷺ بني قَينُقاع، وخاطبَهم ناصحًا ومحذِّرًا قائلًا: «يا معشر اليهود؛ احذروا من الله مثلَ ما نزَل بقريش من النِّقمة وأسلِموا؛ فإنَّكم قد عرَفتم أنِّي نبيٌّ مرسَل، تجدون ذلك في كتابكم، وعهدِ الله إليكم»، ولكنَّ اليهود - على طريقتهم في

(١) أُصيب بجروح وكسور إثر إنفجار لَغَم في سيَّارته، وضعَه له الفدائيُّون الفلسطينيُّون.

العُدوان والتعالي - ردُّوا على الرَّسول: «يا محمَّد؛ إنَّك ترى أنَّا قومُك! لا يغرَّنك أنَّك لقيتَ قومًا لا عِلم لهم بالحرب، فأصبتَ منهم فرصة، وإنَّا والله لئن حارَبناك لتَعلَمنَّ أنَّا نحن النَّاس»، هكذا كانوا في سفاهتهم.

وحاربهَم الرَّسول ﷺ فكانوا الأذِلَّاء، ونزَلوا على حُكمه يَصنَع بهم ما يريد، بعد حصار دام خمسةَ عشَر يومًا، وكاد يَقتُل مُقاتِلتَهم عن آخِرهم، ثمَّ ترَكهم لطلَبِ عبد الله بن أُبَي.

وفي غزوة بني قُرَيظَةَ حاصرَهم الرَّسول ﷺ خمسًا وعشرين ليلة؛ جزاءً لخيانتهم وتَمالُئِهم مع الأحزاب، وقذَف الله الرُّعبَ في بني قريظة وهم في حصون مَنيعة، وعُدَّة وعَتاد، وكانوا في بدء أمرهم يتبجَّحون ويؤلِّبون، ثم يتحصَّنون للحرب ويشتُمون الرَّسول والمسلمين.

ولمَّا دنا الرَّسول من حصونهم، ناداهم بصِفاتهم اللَّائقة بهم قائلًا: «يا إخوانَ القِردَة؛ هل أخزاكم الله وأنزَل بكم نقمتَه؟»، وأخيرًا نزَلوا على حكم سَعد بن مُعاذ، فكان أن قُتل المقاتِلة، وسُبي الذُّريَّة والنِّساء، وغُنِمَت أموالُهم، وكان مصيرُهم البَوار والتَّباب، واليهود

الماكرون يأبَون إلَّا المؤامراتِ والفتنَ والتَّحريضَ على المسلمين!

وكان بنو النَّضير قد سوَّلت لهم أنفسُهم أنَّ الرَّسول غافلٌ عنهم، أو عاجزٌ عن ردعهم، وسرعان ما اضمحَلَّ وهمُهم حين أبصَروا جيش المسلمين قد دهَمهم، ففرُّوا لا يلوون على شيء، وقال الرَّسول ﷺ كلمتَه الخالدة: «الله أكبر! خَرِبَت خيبر، إنَّا إذا نزَلنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرين»، ولم تُغنِهم حصونُهم وحيطتُهم، فسقطَت حصونُهم واحدًا إثرَ واحد، واستبان لهم بعد طول غَيٍّ أنَّهم الأخسرون.

وتَمضي السِّنون ويكون عُمر بن الخطَّاب الخليفة الرَّاشد، يطهِّر جزيرة العرب من أرجاس اليهود، ويُجلِيهم عنها نهائيًّا؛ عملًا بوصيَّة الرَّسول ﷺ، وتتوارد الخواطر والذِّكريات التَّاريخيَّة، فهذا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله وابن حِبِّه، يبعثه الرَّسول في جيشٍ عظيم إلى فلسطين، ويضمُّ هذا الجيش كبارَ الصَّحابة وأعيانَهم، ويمرض الرَّسول مرضَه الذي قبَضه الله فيه، وكان أسامة معسكِرًا بجيشه على بُعد ثلاثة أميال من المدينة، ويستبطئ الرَّسولُ

ذَهاب الجيش، فيؤكِّد على سرعة إنفاذه؛ بل لقد خرج عاصبًا رأسَه من المرض؛ ليجلس على المنبر ويخطُبَ في النَّاس قائلًا: «أيُّها النَّاس، أنفِذوا جيشَ أسامة».

وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كان فتحُ فلسطين سنة ١٥هـ، وظلَّت بلدًا إسلاميًّا يحافظ فيه المسلمون على بيت المقدس، وعلى ما أُنيطَ بهم من مسؤوليَّة. وفي الحروب الصليبيَّة غزاها الصَّليبيُّون واستولَوا عليها نحوًا من تسعين سنة، حتَّى خلَّصها صلاح الدِّين في ٢٧/ ٧/ ٥٨٣هـ وعادت بلدًا إسلاميًّا.

وفي هذا القرن نُفِّذت المخطَّطات الاستعماريَّة العدوانيَّة، ومنذ عشرين سنة اغتصَبت اليهود قسمًا كبيرًا من فلسطين، وبعد النَّكبة الأخيرة منذ عدَّة أشهُر صارت فلسطين كلُّها تحتَ سيطرة اليهود الأرجاس، ومع ذلك فإنَّ للمسلمين مع عصابات الصَّهاينة أيَّامًا ومعاركَ لن تقف عندَ هزيمة بُيِّتت بليلٍ وتآمَر فيها أعداءٌ كثيرون.

وقد يكون فيما مضى دروسٌ وتداركٌ للخطأ، وتعاونٌ بين المسلمين لاسترجاع فلسطين وتطهيرها من عدوان اليهود ومن يُمالئُهم من أعداء المسلمين، ونحن في

رمضان الذي يصومه المسلمون في أقاصي الدُّنيا، جديرٌ بنا أن نأخذَ في الاعتبار أهميَّة دور المسلمين في دفع الطُّغيان عنها.

فلسطين التي فتَحها المسلمون في زمن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، وخلَّصها صلاح الدِّين بجيوش المسلمين وتآزُرهم، وتصميمهم على إنقاذها، تحت علَم التَّوحيد وراية الإسلام.

ماذا ينتظرون؟![1]

الذي يتمعَّن في الحال التي وصل إليها العربُ في هذا الوقت، لا بدَّ وأن يُصابَ بفاجعة؛ فالعدوُّ الذي شرَّد أهلَ فلسطين العربَ المسلمين، وقام بهجومه الغادر على مصر وسوريا والأردنِّ، ما فَتِئ يواصل عدوانَه، وما انفكَّ زعماء الصَّهاينة يهدِّدون ويخطِّطون لحرب يشنُّونها على العرب، وهم من أجل هذه الغاية يحشُدون الأسلحة، ويثيرون الرَّأي العامَّ، ويستعدُّون للقيام بمؤامرة تستهدف توسيعَ رُقعةِ الأرض التي يحتلُّونها، وضمَّ البلادِ العربيَّة بأجمعها إلى مملكة إسرائيل المزعومة!

وما الاعتداءاتُ على الأردنِّ واتِّهامُ سوريا ومصرَ وسائر البلاد العربيَّة بتشجيع الفدائيِّين الفلسطينيِّين، وعرقلةُ الوصول إلى حلٍّ سلميٍّ يؤدِّي إلى الصُّلح بين العرب وإسرائيل - إلَّا بعضُ البراهين على أنَّ عدوانًا على نطاقٍ واسع يبيِّته اليهود المعتدون ومن يُمالئهم ويَمُدُّهم بالسِّلاح والمعونات.

---

(١) "الجزيرة"، العدد (١٧٧)، في ١٠/ ١٠/ ١٣٨٧هـ.

هذه حال إسرائيل.

أمَّا حال العرب، فهي تدعو للرِّثاء! إنَّ الهزيمة في الحرب الأخيرة ليست أكبرَ من التردِّي في الشِّقاق والتَّلاوم، وفقدان الثِّقة بين زعماء العرب، رغم الأخطار الفادحة التي تتهدَّد بلادَهم ودينَهم وأمَّتهم.

وإذا كان العدوُّ يتفاخر بانتصاراته، ويهدِّد بشنِّ حربٍ أخرى، فهل يليقُ أن ينشغلَ العرب بحزازاتهم وخصامهم؟ وهل من التَّقدير للمسؤوليَّة والنُّصح للأمَّة أن تضطرمَ نيران المُنازَعات بين المسلمين إلى حدِّ القتال أحيانًا؟! لماذا؟ ولمصلحة مَن كلُّ ذلك؟

فكفى أيُّها الزُّعماء ما لاقَته هذه الأمَّة من بلايا عدوِّها، ومن نزاع أبنائها.

وأنتم مدعوُّون إلى التصافي والرُّجوع إلى الدِّين القويم، وإلى التَّضامن مع الزُّعماء المسلمين على اختلاف دُولِهم ولُغاتهم؛ لأنَّ هذا هو الطَّريق الأمثل، طريق الرُّشد والنَّجاح.

أمَّا التَّغافل عن الأخطار التي تتهدَّد العربَ

والمسلمين، وما يَحيكُه الأعداء من شرور، وما يبيِّتونه من مؤامرات، والاشتغال بمنازعات مع بعضهم بعضًا، فذلك السَّبيل إلى الدَّمار والتلاشي.

لقد انخدع البعض من الزُّعماء العرب بوعودٍ واهية من دول لا تُضمِر للإسلام غيرَ العَداء، ولا تريد للمسلمين إلَّا الاضمحلال، وتتجاهل كلَّ الاعتبارات الأخرى، وكأنَّ ما مضى لم يُفِد شيئًا من العِبَر! وهناك مَن لا يزال يردِّد شعاراتٍ غريبة، وقد كانت من عوامل النَّكبة.

إنَّ من يرضى أن يكون ذيلًا لدولة أجنبيَّة معادية للإسلام والمسلمين، يأتَمِر بأوامرها، ويتلقَّى التَّوجيهات من سُفرائها ومندوبيها، ولا يُصيخ السَّمعَ لنداءات المخلصين الواعين - فإنَّه يورِّط الأمَّة في المهالك، ويُسهم بنصيب وفير بدَهوَرة البلاد، وإعادة مأساة الأندلس والقِرم والتُّركستان وفلسطين وأريتيريا.

إنَّ الأمَّة الإسلاميَّة قد عانت من تكالب الأعداء، ومن سُوس الملحِدين المغرورين، ومن العصبيَّات الجاهليَّة، والفِتَن المدمِّرة.

وهي تقف اليومَ في مفترق الطُّرق بين العزَّة والإذلال،

بين التقدُّم والانحدار، بين المَجد والاضمحلال! فاتَّقوا الله أيُّها الزُّعماء في دينكم وأمَّتكم وبلادكم، وانبِذوا دعاةَ السُّوء وبطانةَ الشَّر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران: ١١٨].

مطلوبٌ أن يكون الزُّعماء على مستوى الآمال والأحداث؛ حتَّى لا تتبدَّد طاقات الأمَّة في التفاهات، ولا تضيعَ جهودها في الهواء، ولا تُؤخَذ على غِرَّة.

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَميضَ نارٍ
ويوشِكُ أن يَكونَ له ضِرامُ

وبعد، فإنَّ الثِّقة ما تزال قويَّةً في أن يُبرهِن قادة المسلمين للدُّنيا أنَّهم مُدركون لمسؤوليَّاتهم، وعاملون لما فيه سعادةُ الأمَّة ورِفعةُ شأنها، وأنَّ انتصار العدوِّ في حربه الغادرة حافزٌ على توحيد الكلمة، وتمتين الأواصر، والاستعداد لقهر العدوِّ وإذابةِ أحلامه، وعندَها يشنِّف السَّمع: حيَّهلا أيُّها الزُّعماء الأماجد لأمَّة عظيمة الشَّأن!

والسَّلام على من اتَّبع الهدى.

ما هو دور الشُّعوب العربيَّة؟[١]

اعتادَت النَّاس أن يتطلَّعوا إلى زعمائهم إبَّان الحروب والأزمات الدوليَّة؛ لينظروا ماذا عمِلوا؟! وماذا يريدون اتِّخاذه من خطوات جريئة؟ وليسيروا خلفَهم في تجنيد القُوَى، وإعداد العُدَّة، والتهيُّؤ لخوض غِمار الحرب، والذَّود عن الحِمى.

وكان الصحفيُّون والخطباء والمفكِّرون يجسِّدون آمال الأمَّة في زعمائها، بما يُدبِّجون من مقالات، وما يَستنهِضون به من مُثير البيان.

ونحن في العالم العربيِّ يجب ألَّا ننهَج هذا النَّهج؛ لأنَّه لم يعُد ملائمًا مع الأسف، فمنذ عشرين عامًا والأصوات تُنادي الزُّعماء العرب وتُناشدهم وتدعوهم إلى الوِفاق، وخوض المعركة جهادًا في سبيل الله؛ لإنقاذ القدس وفلسطين، وقد ذهبَت تلك الصَّيحات أدراجَ الرِّياح، وتتابعَتِ النَّكبات.

(١) "الجزيرة"، العدد (١٨٧)، في ٢٧/ ١٢/ ١٣٨٧هـ.

وكثيرٌ من المتزعِّمين العرب في غفلة عن خطورة الوضع، وانشغالٍ بتركيز سلطته وأنانيَّته ومصالحه الذاتيَّة على حساب المصلحة العامَّة، أو بتدبير الفِتَن والمَكايد للمسلمين، أو باستيراد شعاراتٍ ومذاهبَ إلحاديَّة؛ فتمزَّق شملُ الأمَّة على يدِ بعض متزعِّميها، وصارَت نهبًا للأعداء، وطَمِع فيها حثالاتُ البشر، وألحَقوا بها أعظمَ الإهانات والإذلال، وهي الأمَّة العريقة في المجد، ذات الإمكانيَّات الهائلة الماديَّة والبشريَّة.

واليومَ، وبعد تجارِبَ مريرةٍ أثبتَت أنَّ داء الأمَّة الإسلاميَّة من بعض زُعمائها والمتسلِّطين فيها، فإنَّا نتساءل عن دَور الشُّعوب الإسلاميَّة بصفة عامَّة، والعربيَّة بصفة خاصَّة؟ وما هو موقفُها من هذه الأحداث؟ هل تظلُّ تعيش على الأوهام، وتثق بمن لا يكترث بما يجري؟ أم تهُبُّ لتُبرز طاقاتِها، ولتؤدِّي واجبَها؟

إنَّني أُخاطب الشُّعوب العربيَّة بعلمائها ومفكِّريها، وعمَّالها وجيوشها وطلَّابها، وأقول لهم: ما هي مهمَّتكم في هذه الظُّروف القاسية؟ وإلى متى تُحملِقون بأبصار زائغة، وتفكِّرون بعقول مشوَّشة، وتأمُلون من الحجارة

الصَّلدة نميرَ الماء؟! كفى رُقادًا؛ فقد طال نومكم، وحسبُكم من الخمول ما أمضيتموه من عمر مهدور!

استيقظي أيَّتها الشُّعوب، وبرهِني عن وعي وإدراك للمسؤوليَّة التي تخلَّى عنها بعض زعمائك حين أخلَد إلى الرَّاحة، وتلهَّى بلذائذه ومَناصبه! وقُولي لهم ما يجب أن يفهَموه، وعبِّري عن آمالك بصراحةٍ لا تعرفُ المجاملة، وأسلوبٍ واضح لا يَستكين للخُدَع.

وخطُّ السَّير لاحبٌ لا خفاءَ به؛ وهو استعداد الأمَّة للجهاد في سبيل الله، وتهيئةُ الوسائل لكلِّ ما يُعلي شأنها، ويقوِّي بُنيانها، والاستفادة ممَّا حباها الله به من خيراتٍ لعزِّها وسعادتها، نابذةً كلَّ ما يُصادم عقائدَها وإيمانَها ودينَها.

لقد تباهى بعضُ الزُّعماء في العالَم العربيِّ بما كدَّسه من أسلحة، وما جمَعه من معدَّات حربيَّة، بعد أن كسَر طوق الحصار الذي فرضَته الدُّول على بيعها للعالم العربيِّ في وقتٍ مضى، ولكن أين هذه الأسلحة؟! ولماذا تُجمَع إذا كانت لا تُستخدَم لكَبح جِماح العدوِّ الذي استرسَل في عُدوانه وتهديداته؟!

أيُّ دَركٍ انحدَر إليه العربُ وهم يقرؤون ويعلَمون عن حشود القوَّات الإسرائيليَّة على حدود الأردنِّ الشُّجاع، ثم لا يهبُّون للصُّمود في وجهه جنبًا إلى جنب مع جيش الأردنِّ الباسل؟! وتأتي صرخةُ البطولة من قلب المعركة يوم الخميس ٢٢/ ١٢/ ٨٧ إلى زعماء العرب، فيكون الجوابُ في غالبه لَومًا، وعباراتٍ خاويةً ليس فيها عزيمة الإيمان، ومَضاءُ الجهاد، وشهامةُ العرب، والتَّطبيقُ العملي.

أليس مخجِلًا أن يُهرَع العربُ إلى مجلس الأمن يَطلبون وقفَ اعتداءات إسرائيل، ووَصمها بالعُدوان؟! كأنَّ شكاوى عشرين عامًا ليست كافيةً بعد! وإلى متى يستمرُّ بعض زعماء العرب في خُطَّته المتخاذِلة أمامَ عدوٍّ يريد اكتساح كلِّ العرب وطمسَ المعالم الإسلاميَّة؟!

الأمر خطيرٌ ومُفزِع، ولن تُعالجه الخُطب، أو برقيَّات التأييد، أو التباكي في هيئة الأُمم ومجلس الأمن، ولكنَّ هناك طريقًا واحدًا، هو الاستعداد والهجوم، وإرغام العدوِّ على أن يقبَع في جُحره بالقوَّة التي يَفهمها جيِّدًا: لغة المِدفع والنفَّاثة، والدبَّابة والصَّاروخ.

أمَّا إن ظلَّت الشُّعوب الإسلاميَّة تمنِّي النَّفس وتُهَدهِدها بالوعود الكاذبة، وتحسب أنَّها ستفوز مع الإهمال، وإضاعة الفُرص، وترك الاستعداد، فإنَّها ستقَع في هاوية سحيقة، وتتَضاعف نكباتُها وانتكاساتُها، وهذا ما لا يرضاه مخلِص ذو شهامة وحيويَّة.

لقد استنفَدت الشُّعوب العربيَّة الكثيرَ في التطلُّع إلى زعمائها، وقد آن لها أن تؤدِّي دورَها، وأن تقف بإيجابيَّة وحزم؛ لتكون أمَّةً واعية على مستوى المسؤوليَّة المنوطة بها.

فهل يتحقَّق ذلك؟ ويعود للعرب والمسلمين عزُّهم ومجدهم، ويكونون كما كان أسلافُهم الذين فتَحوا الدُّنيا، ونشَروا الإسلام في أصقاع الأرض، وقادوا العالَم إلى الحضارة والعلم والإيمان؟

هذا أمل، وما تحقيقُه على الله بعزيز.

الهجوم الخاطف[1]

إسرائيل تَحشُد قوَّاتِها على الحدود الأردنيَّة، ووزير دفاع العدوِّ يُدلي بالتَّصريحات الخطيرة، والتَّهديدات العُدوانيَّة، وعدد من زعماء اليهود هم الآخَرون لا يُخفون نواياهم الشرِّيرةَ تُجاهَ العرب والمسلمين، والتجارِبُ تثبت أنَّ هذه كلَّها مقدِّمات لحرب تبدؤها إسرائيل، وتوجِّه الضَّربة المفاجئة للعرب.

كلُّ هذه أمورٌ واضحةٌ وليست في حاجةٍ إلى كثير من البراهين لتؤكِّد حقيقتها، أمَّا الغريب فهو هذا الخُمول الذي يخيِّم على العرب، وتقديم الشَّكوى تلو الشَّكوى إلى مجلس الأمن وهيئة الأُمم المتَّحدة، واستِدرار عطف العالم على اللَّاجئين العرب، والترجِّيات بأن يسحبَ الصهاينةُ قوَّاتِهم من الأراضي المحتلَّة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ (صفر سنة ١٣٨٧)، وهو تَرداد لكلام قِيل كثيرًا دون جدوى، بينما العدوُّ يركِّز احتلاله، ويَبني مستعمَراته، ويعبِّئ قوَّاته؛ ليبيِّت غدرًا جديدًا.

(١) "الدعوة"، العدد (١٥٢)، في ١٦/ ٢/ ١٣٨٨هـ.

والعرب يُدركون، والعالم يعلم أنَّ إسرائيل في حالةِ شنِّها هجومًا مباغتًا على العرب، فإنَّها ستُلحِق بالعرب ذلًّا وفقد الثِّقة في أنفسهم، وزعزعةً لظنِّ العالم الذي يتصوَّر أنَّ العرب استفادوا من الهزائم، واحتاطوا للأمر بما يُلائمه، وإن قام للعرب بعدها قائمةٌ أو حصَلوا على انتصار يدحَر اليهود، فإنَّ ذلك ضربٌ من النوادر التي تُشبه الخيال.

لقد كان المخلِصون من العرب الذين يُتابعون مجرى القضيَّة، يُنادون بمباغتة العدوِّ بهجوم صاعق؛ حتَّى لا يحدث العكس، كما وقع مع الأسف المرير، وإذا لم يكن ما حَصَل في العام الفائت نهايةً للحرب، فإنَّ من واجب العرب ألَّا يكرِّروا المأساة، ولا يُصيخوا إلى نصائح الأعداء الذين يخدِّرونهم بالوعود الكاذبة؛ حتى لا تتاحَ للعدوِّ فرصةُ الهجوم المباغت مرَّة ثانية.

إنَّ على المسلمين أن يأخُذوا زمام المبادرة، وأن يشنُّوا هجومًا خاطفًا على العدوِّ يمزِّق شملَه، ويبدِّد قوَّاته، ويطيِّر أحلامَه أشلاء، ولا بديلَ عن هذه الخُطَّة، أمَّا الرُّكون للكسل، والانشغال بقراراتٍ لا تعدو كونَها حبرًا

على ورق يُصدِرها مجلس الأمن أو هيئة الأُمم، فتلك خُطَّة خَسف، وطريق ذلٍّ، يأباها المسلم، ويعزِف عنها ذو الشِّيمة والشَّكيمة.

لقد تعبنا من سماع الشَّكاوى المتتابعة، التي جعلَت العرب أُضحوكةً للعالم، فمَن الذي يقنَع أنَّ مليونين من البشر المشرَّدين من أقطار الأرض، يعتدون على مئة مليون عربي أو ستِّمئة مليون مسلم، ويَعجِز هؤلاء عن الردِّ عليهم بالأسلوب الذي يفهمونه؟ إلَّا أن يكون المسلمون والعرب في نظر العالم غيرَ جديرين بالعَيش في أرضِهم وبلادهم، وأنَّ فلول الصَّهاينة أحقُّ منهم وأولى؛ لأنَّهم أثبَتوا قدرتهم على الصُّمود، وألحقوا بالعرب والمسلمين الهزائم؛ إذْ تفكير الغربيِّ لا يَبعُد كثيرًا عن هذا المحيط، وإذا تعدَّاه فهو بصفةٍ جزئيَّة، لا تستوعب الفكرةَ على حقيقتها، ولا تعي القضيَّةَ على ماهيَّتها.

إنَّنا يجب أن نضعَ في الاعتبار حسابَ التفكير الأوربي، الذي نُحاول إقناعَه عبثًا عن طريق الشَّكاوى المتلاحِقة: شكوى عن حفريَّات إسرائيل، وشكوى عن اعتدائها على الآثار، وشكوى عن استعراضها في القدس،

إلى آخِر الشَّكاوى المتلاحِقة التي لا عدَّ لها ولا حصر!

إنَّ الأمر كما يُقال في المثل: «في الفخِّ أكبر من العُصفور»؛ فليسَت القضيَّة على هذا المستوى، ولكنَّها أعظم وأخطر، ولن يُزيل ظلمَ إسرائيل وعدوانَها أمثالُ هذه الشَّكاوى التي تُنزل من قدر العرب، وتُظهِرهم بمظهر العَجز والجُبن.

وإنَّ تعليق الآمال على تلك المنظَّمات تشبُّثٌ بأوهام، وانتظارٌ للماء من السَّراب، ويجب ألَّا نتوقَّع من الغرب عطفًا أو معونة، ولا أن نجدَ من الدُّول الضَّالِعة مع اليهود تراجعًا عن مواقفها.

وإنَّ الطَّريق الوحيد هو تنسيق الخُطَّة، والجهادُ في سبيل الله، والهجومُ الصَّاعق على العدو.

فالأمَّة الإسلاميَّة في جميع أرجاء العالَم مدعوَّةٌ إلى الاستعداد لخوض المعركة جهادًا في سبيل الله، ومدعوَّةٌ كذلك إلى رفض الشِّعارات والمذاهب المناهضة للإسلام، وإلى توحيد كلمتها على أساس من الإيمان بالله واتِّباع أوامره، وفيما مرَّ بها من تجارِبَ ما يُغني عن السَّير في طرقٍ محفوفةٍ بالمخاطر، مؤدِّية إلى المَعاطب، وهي أمَّة

قويَّة متى عرَفت كيف تستفيد من قوَّتها، سالكةً السَّبيلَ النيِّر، والهديَ الواضح.

وفَّق الله الأمَّة الإسلاميَّة إلى سبيل الرَّشاد.

والسَّلام على من اتَّبع الهدى.

إسرائيل المدلَّلة[(١)]

ليس بغريب على ساسة الدُّول الغربيَّة الانحيازُ لإسرائيل، وفي المقدِّمة ساسة الولايات المتَّحدة ولا فخر، وعندما أطلق هيوبرت همفري نائب رئيس الجمهوريَّة الأمريكيَّة لنفسه العِنانَ ليمتدحَ إسرائيل، ويُسبغَ عليها من الإطراء والإشادة أثوابًا فضفاضة، لم يكن في ذلك ما يدعو للدَّهشة، مع مجافاته للمنطق والحقيقة والعدل، ولكنَّ السَّاسة هناك يسيرون على هذه الوتيرة لا يَحيدون عنها.

ولا بأسَ مِن تذكير مَن قرأ أو سمع تصريحات همفري، ومن إعلام مَن لم يطَّلع عليها؛ لنعرفَ واقعَنا، وموقفَ هؤلاء النَّاس من قضيَّتنا، ولنكونَ على بيِّنة من الأمر في سلوك الطَّريق الوحيد لتحرير فلسطين، وإدراك ما يبيِّته الصَّليبيُّون لبلاد الإسلام من مؤامرات وتدمير.

قال همفري - الذي كان يتحدَّث في حشد من النَّاس

(١) "الدعوة"، العدد (١٥٤)، في ٣٠/ ٢/ ١٣٨٨هـ.

للاحتفال بالذِّكرى العشرين لقيام دويلة الاحتلال في فلسطين - ولنُصغِ لما يقول: «إنَّ أمريكا لن تجعل إسرائيل تقفُ مكتوفةَ اليدين ضدَّ كلِّ مَن تُحدِّث له نفسُه بتدمير إسرائيل»، وأضاف: «أنَّ الأمريكيِّين يقفون بشموخ لمشاركتِهم بجزء بسيط في معجزة إسرائيل»، وقال: «إنَّ إسرائيل تمثِّل جزءًا من تراثنا الرُّوحيِّ والثَّقافي، الذي سيضحِّي من أجله جميعُ الأمريكيِّين!».

هكذا يتحدَّث نائبُ رئيس الولايات المتَّحدة، وكأنَّه يتحدَّث عن إحدى الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، لا عن دولة معتدية اغتصبَت بلدًا عربيًّا إسلاميًّا، وشرَّدَت أهله بمساعدة دول غربيَّة عديدة، وتواطؤٍ شيوعيٍّ ماكِر، وكأنَّ آلاف الأميال لا تفصِل بين الولايات المتَّحِدة ودويلة الاحتلال الصِّهيَوني.

وفي غمرة حماس همفري واكتشافاته المذهِلة التي فاقتِ اكتشاف كولمبس لأمريكا، نسي عدوانَ إسرائيل، واحتلالَها للأراضي العربيَّة، وانتهاكَها لحرمة القدس والمسجد الأقصى، وتجاهَلَ قرارات الأُمم المتَّحدة ومجلس الأمن التي تندِّد بالاعتداءات الإسرائيليَّة، وتطالِب

بانسحابها من الأراضي التي احتلَّتها منذ سَنَة.

لقد أعرض همفري عن هذا كلِّه؛ لأنَّ ذلك لا يَعنيه؛ فمعجزة إسرائيل - على حدِّ تعبيره - هي شُغله الشَّاغل، ولماذا لا يَهيم في اليهود ودولتِهم المزعومة، وهم جزءٌ من تُراث الأمريكيِّين الرُّوحيِّ والثَّقافي، كما اكتشَف ذلك صاحبُ الاكتشافات الهائلة؟!

وقِيلَ من قِبل ساسة أمريكا وبريطانيا وغيرهما كثيرٌ من هذا النَّمط، وكلُّ من يرشِّح نفسَه لانتخابات في أمريكا، فلا بدَّ أن يصبَّ جامَ غضبه على العرب والمسلمين، ويعلِنَ تأييدَه المطلق للصَّهاينة، وكلُّ متزعِّم ومترشِّح هناك فهو في سباق مع الزَّمن لتقديم عونٍ أكثر، ومساعدةٍ أهمَّ.

فهذا حاكم كاليفورنيا الأمريكيَّة يحثُّ على تزويد إسرائيل بالسِّلاح، ومن قَبله مواقفُ معلومة لـ: ترومان، وإيزنهاور، وجونسون، وحتى روزفلت، وكندي! ولا يُتوقَّع أن يتغيَّرَ موقف الدُّول الغربيَّة - وخاصَّة أمريكا - ما دامَ المسلمون على هذا الحال.

لقد حاولتُ جاهدًا أن أسمعَ أو أقرأَ أنَّ دولةً إسلاميَّة عربيَّة أو إسلاميَّة غير عربيَّة، استدعَتِ السَّفير الأمريكيَّ في

بلادها وأبلغَته استياءها من هذه التَّصريحات العَدائيَّة، وإفهامَه أنَّ هذه الدَّولة ستتَّخذ مواقفَ ليست في صالح الولايات المتَّحدة إذا استمرَّ المسؤولون الأمريكيُّون على هذا النَّحو! ولكنِّي لم أسمع شيئًا من هذا القبيل؛ بل كأنَّ أحدًا ليس معنيًّا بأمثال هذا الانحياز المكشوف والعَداء الظَّاهر، أليس هذا غايةَ الضَّعف والتَّخاذل؟!

وفي نفس الوقت نسمع بين حينٍ وآخر عن امتنان اليهود من المواقف التي يقفُها أمثالُ هؤلاء المتزعِّمين، ويشكرونهم على عطفهم على دولة معتدية تَظهر في قالَب الحَمَل الوديع، وهي الحيَّة الرَّقْطاء!

لم أنتظر كلمة دول عربيَّة موحَّدة، أو دول إسلاميَّة متَّفقة للردِّ على أنصار الصَّهاينة في أمريكا وبريطانيا! ولكن لماذا لا يكون الاحتجاج والتحذير من اتِّخاذ موقفٍ مضادٍّ بصفةٍ فرديَّة ومن دولة أو دول، كلٌّ واحدة تعبِّر بأسلوبها، وتحذِّر بمفردها؟!

أتصوَّر أنَّ هذا لو حدث وكان جدِّيًّا، لأصبح لأمريكا وبريطانيا موقفٌ أقلُّ انحيازًا، وأخفُّ غُلَواءً ممَّا هو عليه.

إنَّ الشَّعب الأمريكيَّ لا يرضى أن تتعرَّضَ مصالحُه

للضَّرر، ولو أدرك أنَّ في نهج زعمائه ما يعود عليه بالضَّرر، فسوف يعدِل عن طريقتهم، ويتفهَّم الحقائق الضَّائعة، ولسنا نريدُ الاكتفاء بالاحتجاج والتَّحذير، ولكنَّ ذلك جزءٌ من خُطَّة لتحرير فلسطين، وإرجاع الحقِّ إلى نصابه.

أمَّا الدَّور الحاسم فيه فهو الزَّحف إلى المعركة جهادًا في سبيل الله من جِهة الدُّول الإسلاميَّة تحتَ راية التَّوحيد وعقيدة الإسلام، والنَّصر للمؤمنين المجاهدين كما وعدَ الله، ووعدُه حقٌّ، وعندئذٍ يندم الصَّهاينة الغادرون، ولاتَ ساعةَ مَندَم، ويدركون أنَّ أحلامهم قد تبدَّدت هباء، وأنَّها أوهام لا حقيقةَ لها، وأن تبجُّحهم وغطرستَهم قد عادت وبالًا عليهم، وما تُجدِيهم تهديداتُهم وإرجافهم وقد غَدا المسلمون متمثِّلين بقول الشاعر:

رُوَيدًا بَني شَيبانَ بعضَ وَعيدِكُم
تُلاقوا غدًا خَيلي على سَفَوانِ
تُلاقوا جِيادًا لا تَحيدُ عنِ الوَغى
إذا ما غدَت في المَوقفِ المُتَداني
عَليها الكُماةُ الغُرُّ مِن آلِ مازِنٍ
لُيوثُ طِعانٍ عندَ كلِّ طِعانِ

تُلاقوهمُ فَتَعرِفوا كيف صبرُهم
على ما جَنَت فيهِم يَدُ الحَدَثانِ
مَقاديمُ وَصَّالونَ في الرَّوعِ خَطْوَهُم
بكلِّ رَقيقِ الشَّفرَتَينِ يَمانِ
إذا استُنجِدوا لم يَسألوا مَن دَعاهمُ
لأيَّةِ حَربٍ أَمْ بأيِّ مَكانِ

وتحيَّةً للمجاهدين الصَّادقين، وبُعدًا للجُبناء الرَّعاديد، والغلَبةُ للحقِّ وجندِه.

الاستعداد للمعركة(١)

إسرائيل تحشُد قوَّاتِها المسلَّحةَ على الحدود الأردنيَّة، وقد جمعَت حوالي سبعين ألفَ مقاتل غربيَّ نهر الأردنِّ، وفي نفس الوقت تعتدي دويلةُ الاحتلال على مصر، وعلى الأردنِّ وعلى لبنان، وتستعدُّ للحرب استعدادًا يشمل الأسلحةَ المختلِفة من طيران ودبَّابات، ومدافعَ وغازات، ومصفَّحات ومدرَّعات، وجنود مُشاة، وليس مستبعَدًا أن يكون من ضمن هذه الأسلحة قنابلُ النَّابالم؛ كما حدث في الحرب الأخيرة بين العرب واليهود.

بل ربَّما استعملَت أسلحةً أكثرَ فتكًا، وقد أُخلِيَتِ القرى الواقعة على ضفَّة نهر الأردنِّ، وجُهِّزت المستشفيات وأدوات الإسعاف؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ إسرائيل تبيِّت حربًا عنيفة، وتخطِّط لهجوم واسع على البُلدان العربيَّة. وأفادتِ الأنباء الواردة من بيروت وتناقلَتها الصُّحف اليومَ أنَّه يُنتظَر هجومُ العدوِّ خلال ساعات، وإذًا فالأمر بالنِّسبة لاستعداد

(١) "الدعوة"، العدد (١٥٨)، في ٢٨/ ٣/ ١٣٨٨هـ.

العدوِّ ومخطَّطاته واضحٌ لا لَبسَ فيه، وكلُّ ساعة تمرُّ تؤكِّد هذا الواقع، وهو ما تحدَّثت عنه الصِّحافة ووكالات الأنباء، والإذاعات العربيَّة والأجنبيَّة.

وليس في الأمر غرابةٌ؛ فإسرائيل لا تقف مَطامعُها عند حدٍّ، وهي لن ترضى بما حصَلَت عليه في عدوانها سنة ١٩٤٨ أو ١٩٦٧، وإنَّما هي - تنفيذًا لمخطَّطات حكماء صِهيَون - تريد أن تتوسَّع وتُسيطر، لا على العالَم العربيِّ أو الإسلاميِّ فحَسب؛ وإنَّما على العالَم أجمع، وإن كانت تعتزم السَّير في خُطَّتها على مَراحل.

وهذا الحشد الضَّخم الذي تُعِدُّه الآن، لا بدَّ وأنَّه يستهدف أكثرَ من الأردنِّ، ولا نستبعد أن يكون موجَّهًا نحو لبنان وسوريا ومصر والعراق في آنٍ واحد، وقد يتجاوز ذلك.

إنَّ إسرائيل قد عبَّأت قُواها لعدوان رهيب، ومطامعَ خطيرة، ولن تُبالي باستخدام كلِّ الوسائل، مهما تكن، وعلى أيِّ مستوًى، والسُّؤال الذي يتبادر إلى الذِّهن فورًا هو: ماذا فعلَتِ الدُّول الإسلاميَّة لصدِّ هذا العدوان وإحباطه قبل وقوعه؟ لا سيَّما وقد كانت الضَّربة الأولى

قبل عام كافيةً لأن يفوِّتَ المسلمون هذه الفرصةَ على العدو، «ولا يُلدغ المؤمنُ من جُحر واحد مرَّتين»، وحَسبُهم ما لقُوه من هزيمة، ما فتِئَت مرارتُها وآلامُها يُقاسي منها كلُّ مسلم يشعر بكرامته.

لقد كانت غُصَّةً في كلِّ حَلْق، وجرحًا في كلِّ نفس، ومأساةً في كلِّ بيت، ولن تُغنيَ المحاكمات للمسؤولين عن الطَّيران في إحدى الأقطار العربيَّة شيئًا، وماذا يفيد تدبيجُ المقالات، وتنميق الأساليب في الاعتذار والتَّعليل والتَّلفيقات، وما برِحَت حلقاتٌ مفقودةً في القصَّة، وأسرارٌ مطويَّة؟ وحتى لو عُرفت على حقيقتها، فهل تعيد الثِّقة، وتُرجع الهزيمةَ نصرًا؟! كلَّا.

وما هو الحلُّ يا ترى؟ إنَّه الاستفادة من الأخطاء، وتَدارُك الأسباب المؤدِّية لها؛ وفي طليعة ذلك: الرُّجوعُ إلى الدِّين والإيمان، وعدمُ الاغترار بوعودِ أعداء الله، والتَّعاونُ بين المسلمين حسَب ما يقتضيه أمرُ الله، وإعداد العُدَّة، ثمَّ الهجوم على اليهود المعتدين قبلَ أن يهجُموا هم، فلا بدَّ من التَّخطيط والمباغَتة.

أمَّا أن تُذاع أنباءُ تحرُّكاتهم واستعدادهم، ونظَلَّ

نترقَّبُ هجومَهم فيما يُشبه التَّخدير والسُّبات، فذلك أمرٌ مُحزن؛ بل كارثة فاجعة، إنَّ على الشُّعوب دورًا كبيرًا، وعلى المتزعِّمين فيها أن يكونوا على درجةٍ من تقدير المسؤوليَّة والتَّجاوب مع آمال الأمَّة الإسلاميَّة، وأن يوحِّدوا صفوفَهم، ولا يقنَعوا بالهوان والخمول، فقد ذلَّ من غُزي في عُقر داره.

إنَّنا - وقد عشنا هذه الأيامَ التي صاحبت النَّكبة الثانية في فلسطين وأعقبَتها - نلمَس الفداحةَ الجسيمة؛ لأنَّ التَّواكل والغفلة، والاستبدادَ في الرَّأي، والجُبنَ عن المصارحة المتَّزنة النَّاصحة - قد كانت من عوامل النَّكبة وأسبابها، لقد شُغِل البعض بأفكار وآراء مخرِّبة، ووجَّه حِرابَه إلى صدور المسلمين، بدلًا من مُقاتَلة الأعداء!

أَسَدٌ علَيَّ وفي الحروبِ نَعامةٌ
فَتْخاءُ تَنفِرُ مِن صَفيرِ الصَّافرِ

إنَّ بعض البُلدان العربيَّة تَغَصُّ سجونُها بالأبرياء، لا لذنب جنَوه إلَّا أنَّهم قالوا: «ربُّنا الله»! وبعض البلاد العربيَّة الأخرى همُّها شتمُ الرَّجعيِّين، والرَّجعيُّ في عُرفهم هو المسلِم الذي يؤمن بالله، ويرفض الشُّيوعيَّة الحمراء!

هذا في حين يحتلُّ العدوُّ جزءًا من بلادهم، ويتهيَّأ لاحتلالِ سائرها.

وبعض البُلدان العربيَّة تقف موقفًا سلبيًّا في وقت الجِدِّ وتشمير السَّواعد، ومع هذه المصائب كلِّها، والأخطارُ تهدِّد المسلمين من كلِّ جانب، تكاد الحقيقة تَضيع بين الضَّجيج والتَّهريج، وكأنَّ المأساة أصبحَت سَلوة، والنَّكبةَ أضحَت مَلهاة، والدَّوران في حَلْقة مُفرَغة عن الأخطاء هي الطَّابَع المميِّز لواقع العرب، والأصوات الصَّادقة توشك على الاختفاء. المسألة خطيرة؛ بل هي مسألة حياة أو موت، وقضيَّة عزَّة الأمَّة الإسلاميَّة أو إذلالها، ومفترقُ طرق بين استقلالها أو استعمارها.

إنَّ الأمة الإسلاميَّة لا ترضَى أن تكون هدفًا سهلًا لشراذِم الصَّهاينة، وعلى الزُّعماء في البُلدان الإسلاميَّة أن يُدرِكوا هذه الحقيقةَ جيِّدًا.

وفَّق الله الأمَّة الإسلاميَّة، وهداها سواءَ السَّبيل.

العِبرة من النَّكبة[(١)]

مرَّتِ النَّكبة الفادحة بالمسلمين على يدِ شراذم اليهود منذ عشرين عامًا، وأعقبَتها نكبةٌ مضى عليها أكثرُ من عام.

ويلتَفِت المسلمون إلى قادتهم لِيَنظروا ماذا يعتزمون عملَه؟ وهل ستظلُّ إسرائيلُ باقيةً على احتلالها؟ والشَّكاوى لا ينقطع سيلُها إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم، على طريقة المثل: «أوسَعتُهم شَتمًا وأودَوا بالإبِل»!

أم أنَّ ما حدث كان كافيًا لتدارُك الخطأ وتشخيص الدَّاء، والعمل بلا هَوادة من أجل الاستعداد لخوض المعركة؟ ويقابِل هذا التَّساؤلُ كلَّ فرد من أفراد المجتمع الإسلاميِّ بعربه وعجمه، وليس حتمًا أن تُكشفَ الأسرار العسكريَّة، وأن تُذاعَ أنباء الاستعدادات والحشود؛ فقد كان ذلك من أسباب النَّكبة، وإن لم يكن كلَّ أسبابها.

ومن حقِّ المرء أن يبحثَ ويَستنتِج، ويحاولَ معرفة الواقع؛ ليشعُر أنَّه مسؤول، وأنَّه أهلٌ لتحمُّل المسؤوليَّة،

(١) "الجزيرة"، العدد (٢٠٩)، في ١٢/ ٥/ ١٣٨٨هـ.

كلٌّ بقدر طاقته ووَفق إمكاناته؛ «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته».

وإذا نظَرنا إلى واقع العالم الإسلاميِّ، وجَدنا أشياءَ تبعثُ على التَّفاؤل، وأشياءَ تدعو إلى الإشفاق!

فاهتمامُ بعض الدُّول الإسلاميَّة بتدارك الأخطاء، والاستعداد للمعركة ممَّا يقوِّي الأملَ بأنَّ أمَّة الإسلام بخير، وأنَّها عندما تخطئ فسرعان ما تثوب إلى رُشدها، فتُزيل الأدرانَ العالقةَ بها؛ لتعودَ نقيَّةً من الشَّوائب، سليمةً من الأكدار.

ولكنَّ إغفالَ بعض الدُّول منها لِما يدعو إليه الدِّينُ من تحكيم الشَّرع والتَّعاون بين المسلمين، واتِّخاذَهم بطانةً من دون المسلمين، وثقتَهم في أعداء الله، ومصادقتَهم المُحادِّين للمسلمين - ممَّا يُنذِر بسوء العاقبة، وازدياد النَّكبات والفواجع.

إنَّ بعضًا من زعماء البُلدان العربيَّة يروِّج لمبادئَ تناقضُ الإسلام، ويسعى جاهدًا لنشرها على نطاقٍ واسِع، وقد شُغِلَ بها أكثرَ ممَّا شُغل بالعدوِّ الذي يحتلُّ بلادَهم، ويتهيَّأ لعدوان جديد؛ لأنَّ طمَعه لا يقف عند حدٍّ، بل لقد

قلَب هؤلاء الجهادَ في سبيل الله إلى الحرب بين الشُّيوعيَّة والرأسماليَّة، وصوَّروا جهاد الفلسطينيِّين على أنَّه قتال ضدَّ الإمبرياليَّة!

لقد كان الأجدرُ بهؤلاء الحاكمين أن يَرجعوا إلى الدِّين الإسلاميِّ الحنيف؛ لِيَجدوا الحلولَ لمشاكلهم، والسَّعادةَ في دُنياهم وأُخراهم، ولِيَسلَموا من هذا الارتباك والتخبُّط الذي جرُّوا بلادَهم إليهما، وليرتقوا بأمَّتهم إلى مستوى العِزَّة والكرامة، بدلًا من الهزيمة والمهانة، وعسى أن يَرجعوا إلى الصَّواب، ولا يُصِرُّوا على الخطأ المؤدِّي إلى الفشل، ولا يُعفي خطأُ هؤلاء وتَمادِيهم في هذا السُّلوك الفئاتِ الأخرى التي تنظر للأمور نظرةً تتَّسم بعدم المبالاة، وكأنَّ الأمرَ لا يَعنيها في قليل أو كثير، وكأنَّ المخاطِرَ المُتراكمةَ - نتيجةَ السَّلبيَّة والاستبداد في الرَّأي والاستئثار بكلِّ شيء - ليست واردةً إطلاقًا.

إنَّ على الأمَّة الإسلاميَّة - شعوبًا وحكوماتٍ - أن تكونَ أكثرَ استعدادًا ويقظةً ووعيًا، وأن يُحِسَّ كلُّ فرد بواجبه، فلا يَضيعون بسبب الاتِّكاليَّة والتَّغافل والإهمال، وكفى ما جرَّته هذه الآفاتُ على العالم الإسلاميِّ مِن

نكبات فادحة، وأخطار جِسام.

إنَّنا في حاجةٍ إلى المصارَحة أكثرَ من حَرق البَخور والتَّصنُّع الزَّائف، ولنعتبِر بما يجري من أحداث، ولنتَّخِذ من سيرة سلَفِنا الصَّالح مثلًا في الصِّدق والنُّصح، والجهاد والشُّعور بالمسؤوليَّة؛ ففي ذلك العزُّ والمجد، وتوحيد الكلمة، والوصولُ إلى الهدف النَّبيل والغايةِ المُثلى.

بصراحة مع الاعتذار[1]

بدون مقدِّمات نريد أن نناقشَ قضايانا بصراحة؛ فالمسألةُ لم تعُد تتحمَّل الصَّمت والتهرُّب، وتلفيق المعاذير بأساليبَ مطَّاطةٍ متهافتة كهَيكلٍ بلا رُوح!

نريد أن نعرفَ إلى متى سيَظلُّ هذا الجمود مخيِّمًا على القضيَّة الفلسطينيَّة؟ وإلى متى وإسرائيل تعتدي وتحتلُّ وتهدِّد؟ ما هو الحل؟ وما رأي المتزعِّمين والمتبجِّحين والهاربين من المسؤوليَّة؟ وهل هناك معالجةٌ جادَّة للأخطاء الفادِحة، أم أنَّ «حليمةَ رجعَت إلى عادتها القديمة»؟ «وكأنَّنا يا بدرُ لا رُحنا ولا جِينا»!

لقد مُنِي المسلمون بهزيمةٍ شنيعة على يد عصابات العدوان الصِّهيَونيِّ ومَن يُمِدُّونهم بالمال والسِّلاح والخبرات والمتطوِّعين! وكنَّا نعرف أنَّ من أسباب النَّكبةِ التفرُّقَ، واعتناقَ البعض شعاراتٍ ونِحَلًا ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يلتقِ المسلمون لحلِّ قضاياهم على أُسُس

(١) "الجزيرة"، العدد (؟)، في ١٠/٦/١٣٨٨هـ.

إسلاميَّة تَجمع شملَهم، وتقوِّي عزائمَهم، وتوحِّد كلمتهم، وكنَّا نعلم أنَّ من أسباب النَّكبة الانفرادَ بالرَّأي، والتَّفاخرَ بالقوَّة، والغرورَ في الدَّعاوى.

وكنَّا ندرك أنَّ من أقوى عوامل النَّكبة، بل النَّكبات الثَّلاث - أو العشر - عدمَ الشُّعور بالمسؤوليَّة، وانشغالَ البعض من الزُّعماء بتثبيت سلطانه، وإطراء مَواهبه، والحصول على لذائذه، وترَف حَواشيه وذَويه! ولقد وقَف الأردنُّ صامدًا في بطولةٍ نادرة، وبرهَن الفلسطينيُّون الفدائيُّون على شجاعة وعزيمة صُلبتَين.

ولكنَّ العدوَّ الماكر يحتاج إلى مواجهة أكبر، وإلى قُوًى أمضى، تسير الأعمالُ الفدائيَّة إلى جانبِها، وتتَّحد فيها الإرادة والكلمة.

إنَّه ليس خافيًا أنَّ إسرائيل تخطِّط لاحتلال البُلدان العربيَّة والأماكن الإسلاميَّة، وأنَّها من أجل غاياتها التَّوسُّعيَّة تجنِّد شبابَها وشابَّاتِها لخوض المعارك، وتَسعى بكلِّ طاقاتها لإنتاج القنبلة الذَّريَّة، وقد تهيَّأت لذلك فعلًا، أو هي على وَشْكِ إنتاجها، ولم تتورَّع عن استخدام قنابل النابالم والقنابل الحارقة؛ لتشفيَ أحقادها، وتنتقِمَ من

المسلمين شرَّ انتقام، ولتَصِلَ إلى أهدافها الشرِّيرة.

هذا كلُّه واضح لا غبارَ عليه، وهو شيءٌ لا يحتاج إلى أدلَّة كثيرة؛ لأنَّه الواقع الملموس.

إذًا، فماذا ينتظر المسلمون على اختلاف أجناسهم وبُلدانهم وألوانهم؟!

إنَّ من المؤلم أن تبقى العللُ وأسبابُ الهزائم على حالها، وأن يظلَّ المسلمون متفرِّقين، كلٌّ حزبٍ بما لديهم فرحون، إنَّهم يترقَّبون من قادتهم والمتزعِّمين فيهم أن يجتمعوا، ويتَناقَشوا ويخطِّطوا، ثم يشنُّوها حربًا عادلةً يعيدون بها الجهادَ في سبيل الله، وتطهيرَ الأرض الإسلاميَّة من رِجس الصَّهاينة.

لماذا إسرائيل هي التي تبدأ بالعُدوان دائمًا؟! والعرب لا هَمَّ لَهُم إلَّا رفع الشَّكوى تِلو الشَّكوى إلى مجلس الأمن وهيئة الأمم؟ وما الذي استفادَه المسلمون من عُصبة الأمم طيلة **٢٣** سنة؟!

نريد مؤتمرًا إسلاميًّا يقرِّر معالجة القضايا الإسلاميَّة معالجةً صريحة حازمة، وأن تقومَ جامعةٌ إسلاميَّة تضمُّ الدُّول الإسلاميَّة في مختلِف القارَّات، وأن تنسَحِبَ الدُّول الإسلاميَّة من هيئة الأمم المتَّحِدة وفروعها، وأن توفِّرَ

نفَقات مبعوثيها ووفودها إلى هذه المنظَّمة لدعم العمل الفدائيِّ الفلسطيني.

لا نريد انحيازًا إلى الشُّيوعيِّين أو الرَّأسماليِّين، ولا نرضى أن نصبحَ ذيلًا لأمريكا وبريطانيا، أو روسيا والصِّين؛ وإنَّما نريد كما أمر الله وشرَع تعاوُنًا أخويًّا إسلاميًّا.

لقد تحمَّلَت الأمَّة الإسلاميَّة الكثير من المصاريف والمشاكل؛ من جرَّاء مُشاركتها في هيئة الأمم المتَّحدة، بما في ذلك الجلوس مع مندوب إسرائيل الذي يمثِّل العدوَّ اللَّدود لها، مع أنَّها ترفُض الاعتراف بالدَّولة المعتدية إسرائيل، وتُصرُّ على عدم المفاوضة معها.

أمَّا الفوائد التي تَجنيها الأمَّة الإسلاميَّة مِن هيئة الأمم، فهي معدومةٌ تمامًا.

إنَّ على الشُّعوب الإسلاميَّة أن تحدِّدَ موقفها، بعد أن تَعرفَ ما يُراد لها من زعمائها وغيرِ زعمائها، وإنَّ عليها أن تكونَ حازمةً إزاء كلِّ من يُريد أن يُخذِّلَها في مسيرتها، ومن يحاول أن يتَّجرَ بقضاياها، أو يجرَّها إلى عجلة أعدائها من الشُّيوعيِّين أو الرأسماليِّين الغربيِّين.

ونطلب من المسؤولين في الأردنِّ الصَّامِد أن يضَعوا النقطَ على الحروف، وأن يُصارِحوا الأمَّة الإسلاميَّة بحقيقة الموقف وعوامل التَّثبيط.

إنَّ الأمر لم يعُد يحتمل التَّسويفَ والإبطاء؛ فالعدوُّ يواصل عُدوانَه يوميًّا، ولا يُخفي نواياه الإجراميَّة في احتلال الضِّفة الشَّرقيَّة من الأردنِّ كمرحلةٍ من مراحل عدوانه.

الأمر خطيرٌ ولا يُجدي فيه التفرُّج والتهرُّب من المسؤوليَّة، وتحويلُ أنظار المسلِمين عن مشاكلِهم، والأخطار المحدِقة بهم، وإنَّما تجب المصارحة والعمل الجادُّ، وخوضُ المعركة جِهادًا في سبيل الله.

الدَّورة الخمسون للجامعة[1]

انفضَّ مؤتمر وزراء الخارجيَّة العرب، وانتهتِ الدَّورة الخمسون للجامعة العربيَّة، وصدَرَت بياناتٌ وتصريحاتٌ تُعلِن ابتهاجَها بما تُوُصِّل إليه في هذا الاجتماع من نتائجَ حسَنة، حتى قيل: إنَّه من أنجح الاجتماعات، وإنَّ الدُّول العربيَّة ستقوم بواجبها في الدِّفاع عن الأردنِّ، وتقوية الجبهة الأردنِّية، وإنَّها تشجِّع العملَ الفدائي.

ونقول تعليقًا على هذه البيانات والتَّصريحات:

إنَّ الشُّعوب الإسلاميَّة ذاتَ العدد الكثير، والثَّروات الهائلة، والموقع الجغرافيِّ الهام، والتي لها من الإمكانات ما يجعلها في طليعة دُول العالَم قوَّةً واحترامًا وثراء، لو أنَّ هذه الإمكاناتِ وُجِّهَت توجيهًا سليمًا، وعُرف كيف يُستفاد منها - هذه الشُّعوب تريد من المتزعِّمين فيها عملًا جادًّا؛ فقد شبِعَت تصريحاتٍ وبيانات، ولم تُجْدِها الاجتماعاتُ المطوَّلة، والخُطب الرنَّانة حينما أهملَتِ

(١) "الدعوة"، العدد (١٦٩)، في ١٦/ ٦/ ١٣٨٨هـ.

الوسائل الصَّحيحة، وسار البعض خلفَ البريق الخدَّاع من وعود الأعداء الظَّاهرين والمستترين.

لسنا ندري لماذا قرَّر مؤتمرُ الجامعة في دورته الخمسين أنَّه لا ضرورةَ لاجتماع الملوك والرُّؤساء العرب؟ ولا نعرف لماذا لم يُولِ المؤتمرُ أهميَّةً كبرى لتحمُّل الدُّول الإسلاميَّة في شرق الأرض وغربها لمسؤوليَّتهم في فلسطين، والدِّفاع عن أرض الإسلام؟ وهل القضيَّة لم تبلُغ بعدُ مرحلةً تستدعي إيلاء الموضوعَينِ السَّالفَين ما يستحِقَّانِه؟!

الشَّعب العربيُّ الإسلاميُّ لا يرضَى بعبارات غامضة مبهَمة، ودوَران في الحَلْقة المُفرَغة التي كان فيها دائرًا منذ أكثرَ من عشرين عامًا، وكانت عاقبتُها وخيمة، وقد أجمعَتِ الصُّحف ووكالاتُ الأنباء على أنَّ إسرائيل على وَشْكِ القيام بهجوم وحشيٍّ واسِعٍ على البُلدان العربيَّة، وتصريحاتُ وزير دفاع العدوِّ وتهديداتُه واحدةٌ من براهينَ عِدَّةٍ على هذا المخطَّط.

إذًا فالأمر من الخطورة بدرجةٍ أشعر معها أنَّ مؤتمر الجامعة العربيَّة دونَ مستوى القضيَّة بكثير، وماذا عسى أن يفعلَ وزراء الخارجيَّة؟ وهل في مقدورهم معالجةُ القضيَّة

بكلِّ ما تتطلَّبه من التزامات ومسؤوليَّات؟ إنَّني لا أحبُّ التَّشاؤم؛ ولكنِّي لا أقنَعُ بكلمات عائِمة، ومعالَجات سطحيَّة، ولا أحسب أنَّ التَّصريحات التخديريَّةَ تكفي لردِّ العدوان، وإفهام العدوِّ الشَّرس بما يجب أن يعِيَه.

وها هي دولة العصابات تعتدي في كلِّ يوم على الأردنِّ الصَّامِد، وحسْبُ الدُّول العربيَّة الأُخرى أن تذيعَ أنباءَ العدوان وكأنَّها بذلك قد أدَّت كلَّ ما يجب، وإلَّا فأين التَّعبئةُ للقوَّات وحشدُها، واللِّقاء العاجل بين الزُّعماء لاتِّخاذ خطَّة موحَّدة، ثمَّ ضرب العدوِّ ضربةً قاصمة، بدلًا من انتظار ضربته في خمولٍ يشبه الموت؟!

لقد كتب الأستاذ أحمد حسن الزيَّات مقالًا بعنوان: "من علامات السَّاعة" في مجلَّة "الرِّسالة"، في **١٣** يوليو **١٩٤٨**، ونُشِر في "وحي الرِّسالة"، جاء فيه:

«للجامعة العربيَّة في كلِّ شهر مؤتمر، وفي كلِّ أسبوع مجتمَع، وفي كلِّ يوم قرار، وفي كلِّ ساعة تصريح، وفي كلِّ دقيقة خُطبة! وكلُّ أولئك يحمله الهواءُ إلى المجاهِدين أصواتًا لا تدفع سيَّارة، ولا ترفع طائرة، ولا تحشو مدفعًا، ولا تملأ بطنًا، ولا تبعث قوَّة. فإذا جاء العمل

نَظَر بعضُهم إلى بعض، فإذا الأوَّل واقف؛ لأنَّ ترومان لم يتقدَّم، وإذا الثَّاني ساكت؛ لأنَّ بيغن لم يتكلَّم، وإذا الثَّالث يتأرجح؛ لأنَّ الآخرين لم يستقرُّوا على رأي.

فالجامعة العربيَّة في ميزان الأقدار، وامتحان الشَّدائد، فإذا رجحَت كِفَّتُها على اليهود، رجَحَت في كلِّ أمَّة، وإذا ثبَت مَعدنُها على المِحَكِّ في هذه الأزمة، ثبتَت في كلِّ أزمة».

هذا ما قاله أديبٌ جاهِرٌ برأيه؛ نصحًا لأمَّته، وإشفاقًا على بلاده أن تنخدعَ بدعاوى فارغة، وإيقاظًا للهِمم الرَّاكدة؛ نعيدُ التَّذكيرَ به اليوم، ونأمُل أن يكونَ في التَّجارِب القاسية الماضية ما يجعل من الأخطاءِ سبيلًا إلى دَرَك النَّجاح، وتلمُّس الصَّواب، بعد تجنُّب العثرات.

ونرجو أن تهُبَّ الأمَّة الإسلاميَّة - زُعماءَ وشعوبًا - إلى الجهاد في سبيل الله، وتخليص القدس والأراضي الإسلاميَّة التي اعتدى عليها اليهودُ وانتقَموا من أهلها شرَّ انتقام، وأن يزحَفوا لتطهيرها من رجس عصابات الغدر، وركائز العدوان.

وعلى الله الاتِّكال.

هل هم على مستوى المسؤوليَّة؟![1]

الوضع خطير جدًّا بين العرب وعصابات الاحتلال الصِّهيَوني؛ فإسرائيل تحشُد مئات الألوف من جنودها على ضفَّتي القناة ونهر الأردن، ومجلس الأمن أنذرَ بخطورة الموقِف؛ ليكون أعضاؤه مستعدِّين لاستدعائهم في أيَّة لحظة. والإذاعات والصِّحافة تُبدي تخوُّفَها من اندلاع الحرب بين ساعةٍ ودقيقة، وتصريحات من زعماء الصَّهاينة للحُصول على مزيد من الأسلحة والتأييد، وتسابُق من المتنافسين على كرسيِّ الرِّئاسة في أمريكا لإرضاء اليهود وتقديم ما يطلبون، ورسائلُ من جونسون تؤكِّد طريقته السَّالفة نهجَ من سبقوه كـ: ترومان وآيزنهاور!

وبطولة من حركة فتح وزميلاتها، وبيانات من بعض زعماء العرب فيها المعقول جدًّا وما يُستغرَب، وبين ذلك أمورٌ تتَشابك أحيانًا، وتتَصادم في أوقات؛ فقد سَمِعنا تصريحاتٍ عن امتلاك الأسلحة القويَّة، وفي بلدٍ آخر يُعقَد

---

(١) "الدعوة"، العدد (١٧٠)، في ٢٣/ ٦/ ١٣٨٨هـ.

حاليًّا مؤتمر قيل: إنَّه شعبي ديمقراطي، تُكشَف فيه أسرارٌ عسكريَّة يستفيد منها العدوُّ - مع الأسف - بدعوى مناقشة الشَّعب لحُكَّامه في أوضاعه الرَّاهنة، وتُذاع هذه المناقشات وتُنشر!

وركودٌ على مستوى الزُّعماء، وعلى مستوى الشُّعوب، وإلَّا فأين الالتقاء بين الملوك والرُّؤساء في البلاد الإسلاميَّة؟ وأين التَّجنيد الإجباري؟ وأين التَّعبئة الشَّاملة بكلِّ ما تَعنيه هذه الكلمة؟ وأين الإرشادات للشَّعب ليؤدِّيَ دورَه في حال نشوب المعركة المرتقبة وشيكًا؟ وأين المعلومات التي يُزوَّد بها عن طريق الإذاعة والصِّحافة؛ ليكونَ مهيَّأً ذهنيًّا ونفسيًّا وعِلميًّا، وحتى يعرفَ مسؤوليَّته، وتكون لديه المعلومات التي يتطلَّبها مثلُ هذا الموقف؟!

وتساؤلات كثيرة، تحتاج إلى إجابات أكثر.

ولكن الإذاعات في كثير من البلاد العربيَّة مشغولةٌ بأغاني الغرام والهُيام، أكثرَ مما يهمُّها موضوع الحرب والسَّلام.

لا مِريَةَ في أنَّ خطر الحرب داهم، وأنَّه بين ساعة وأخرى يُنتظر اندلاعُ لهبِها بين عدوٍّ معتدٍ حاقد، وشعبٍ يريد استعادةَ حقِّه، والذَّودَ عن معتقداته وكرامته.

قد يكون في هذا شيءٌ من تصويرٍ للموقِف بما هو عليه من تأزُّم ومَخاطر؛ وإذًا فلا بدَّ من التَّساؤل: وهل استفَدنا من أخطاء الماضي الذي تجرَّعنا مرارةَ هزائمه؟

وإنَّ الواقع الذي يعيشه العرب لا يتلاءم وخطورةَ الموقف، والشُّعوبُ الإسلاميَّة تتطلَّع بشغف إلى أن ترى من الجِديَّة والاستعداد والاحتياطات ما يتَّفق وآمالَها وطموحَها.

وإذا كانت الهزائم السَّابقة قد مرَّت على بعض المتسبِّبين فيها بسلام، فما أحسبُ الأمَّة الإسلاميَّة ستقف متفرِّجة تجرُّ حتفَها على يدِ المهمِلين والسَّادرين في غفلتهم وأخطائهم وأهوائهم؛ بل إنِّي متأكِّد أنَّها لن تتركَهم طويلًا لتتوقَّع مزيدًا من تَجاربهم، ويَكفيها ما تَشهَده الآن من خمول لدى البعض، واستهانةٍ بأدنى مَراتبِ الجِديَّة والحزم.

إنَّ على المتزعِّمين في العالم الإسلاميِّ بعربه وعجمه أن يكونوا على مستوى المسؤوليَّة الجسيمة، والثِّقة التي أولَتهم إيَّاها شعوبُهم، وألَّا يضيعوا الوقتَ فيما لا يُجدي.

ومن الخير للجميع أن يَعملوا متكاتِفين لِما فيه عزُّ الإسلام والمسلمين.

صحّ النوم![1]

منذ عشرين سنةً وموقفُ ألمانيا الغربيَّة منحازٌ إلى جانب الصَّهاينة بشكلٍ سافر، وتقوم ألمانيا بتزويد إسرائيل بالمساعدات التي بلغَت مئاتِ الملايين من الماركات الألمانيَّة، ولم تكتفِ حكومة بون بذلك؛ بل كانت تُمِدُّ إسرائيل بالأسلحة المتنوِّعة، وتُوليها من عنايتها ما يفوقُ الحصر.

وقد أصرَّت على سلوك هذه السُّبل الخاطئة، رغمَ المحاولات الكثيرة بألَّا تندفعَ مع اليهود بهذه الطَّريقة، وأمعنَت ألمانيا في مَسلكِها، وقُطعتِ العَلاقةُ الدِّبلوماسيَّة بين العرب والألمان، وكان ذلك ثأرًا للكرامة والدِّفاع عن قضيَّة عادلة، هي قضيَّة فلسطين.

وعلى حين غِرَّة، ولأسبابٍ مجهولة، حتَّى عندَ من يتحدَّث باسمهم ما عدا من يرسُمون له الخُطَط، ويسيِّرونه وَفْقَ ما يريدون - سافر أمين الجامعة العربيَّة إلى ألمانيا،

(١) "الدعوة"، العدد (١٧٢)، في ٨/ ٧/ ١٣٨٨هـ.

وهناك لقيَ الصُّدودَ والجَفاء، وشمِتَت به وبالعرب أجمعين صِحافةُ ألمانيا بأسلوبٍ يُنافي الذَّوق والأدب، وعاد أمينُ الجامعة خاويَ الوِفاض، منهوكَ القوى من هذه الرِّحلة المشؤومة.

وكاد العرب ألَّا يصدقوا أنَّه اختار ذلك الظَّرفَ لسفرته تلك، وخمَّنوا في الأسباب والدَّوافع التي قد تكون سعيًا لتأجيل قروض، أو تحصيل قروض أو مساعدات، وأُصيبوا بالدَّهشة لهذا التَّصرُّف المُجافي للحكمة!

لقد كانت المقاطَعة الدِّبلوماسيَّةُ غيرَ كافية، كان ينبغي أن تكون مقاطعةً اقتصاديَّة؛ حتَّى يعرفَ الشَّعب الألمانيُّ مدى خسارته من مُعاداة حكومته للعرب وحقِّهم المشروع.

لقد كان تأثير المقاطعة الدِّبلوماسيَّة ضئيلًا بلا ريب، ومضتِ الأيَّام، وتأزَّم الموقف في تشيكسلوفاكيا، ووقع احتلال روسيٌّ خطير، وتطوَّرت الأحداث، وهدَّد الاتِّحاد السُّوفيتيُّ ألمانيا الغربيَّةَ متذرِّعًا بمعاهدة الصُّلح بعد سقوط ألمانيا، وهنا أدركَت حكومةُ بون أنَّها في حاجة إلى كلِّ صوت، وإلى حُسن العَلاقة مع جميع الدُّول، وقام مستشارُها بزيارات متعدِّدة.

وقام وزير التَّعاون الاقتصاديِّ الألمانيُّ بزيارة لبعض البُلدان، ومنها مصر، واجتمع بأمين الجامعة وببعض المسؤولين المصريِّين. ووردَت أنباء من القاهرة وبون تتحدَّث عن قرب إعادة العَلاقات بين الدُّول العربيَّة وألمانيا، وعن تقديم مساعدات اقتصاديَّة وفنيَّة لبعض البُلدان العربيَّة، وتطوَّعت حكومةُ بون بنفي تزويدها لإسرائيل بالسِّلاح؛ هكذا!

وهنا لا بدَّ للمرء أن يقفَ مَلِيًّا ليتعجَّب من هذه الأحداث، وكيف يتصرَّف بعض المسؤولين حِيالَها!

يا عرب، يا مسلمون، إذا كانتِ القضيَّة هي الدِّفاعَ عن الشَّرف والكرامة، وإفهامَ المنحازين للصَّهاينة بسوء اختيارهم، فإنَّ الذي يجدُر عملُه هو الردُّ القويُّ الذي يلقِّن الدَّرسَ الحاسم، ويجادل بالأسلوب الذي يفهمُه الخَصمُ ومَن يساعده ويذبُّ عنه، ويُمدُّه بالماركات والدُّولارات والجنيهات والفرنكات، ومن يقدِّم له الأسلحة والطَّائرات والتَّعويضات.

أمَّا إذا كان هدف البعض هو الاتِّجارَ بالقضيَّة، والكسبَ الخاصَّ على حساب الشعب الفلسطينيِّ

المنكوب، فإنَّ على المسلمين ألَّا يُجاروهم في هذا النَّهج المؤدِّي إلى التَّهلُكة.

لقد كانت فرصةً نادرة لكي يردَّ المسلمون بحزمٍ على ألمانيا، التي تمادَت وأسرفَت في تأييد اليهود المعتدين، وسوف تعودُ إلى أسلوبها عندما تنفكُّ الأزمة، وتَسخَر من العرب الذين ينسَون كرامتَهم لقاء كميَّة من الماركات؛ كما يتصوَّر المسؤولون في بون.

إنَّ على العرب أن يُفهِموا ألمانيا أنَّها مُخطئة في هذا التَّصوُّر، وأنَّ كرامة العرب أغلى من كلِّ ماركات آرهارد وكيسنجر وأديناور ومَن لفَّ لفَّهم، وليَذكُروا أنَّ ألمانيا تعترف بأنَّها زوَّدَت إسرائيل بشِحنات من الأسلحة حتَّى عام **١٩٦٥** تُقدَّر قيمتها بـ **٤٥** مليون دولار، هذا عدا التَّعويضات الماليَّة، والصَّفقات السِّريَّة، والتأييد المعنوي؛ تحدِّيًا للعرب، وامتهانًا لمشاعرهم.

إنَّ على المسلمين في أنحاء العالَم أن يُثبِتوا أنَّهم يمكن أن يستَغنوا عن كلِّ صلة تربطهم بأيَّة دولة تُريد إذلالَهم والانسياقَ مع عدوِّهم، وعلى العرب أن يردُّوا على ألمانيا بنفس الأسلوب الذي حذَته معهم عندما قام

أمين الجامعة بزيارة بون، فكان الجوابُ التَّهكُّمَ والاندفاعَ مع اليهود إلى أقصى مدًى.

إنَّها فرصة، فعسى ألَّا تضيعَ كغيرها من الفرص النَّادرة التي أهدرَها بعض المتزعِّمين؛ لأسباب معلومة حينًا، ومجهولةٍ في أحيان كثيرة، فهل نتَّعظ بما مرَّ بنا من تجارِب؟!

ذلك ما نتمنَّاه.

فلسطين والبلبلة الفكريَّة[1]

عندما وقعتِ النَّكبة الفادحة منذ سنة ونصف تقريبًا، كان الشُّعور السَّائد بأنَّ الأخطاء الجسيمة التي كانت من أسباب النَّكبة وعواملها، سوف تتَداركُها الأمَّةُ الإسلاميَّة سريعًا، وتحاول ألَّا تقَع فيها مرَّة أخرى.

ولكن البلبلةَ الفِكريَّة التي وقعَت فيها بعدَ الحرب واضطراب الرَّأي، جعَلتِ المرءَ المتفحِّص للأمور يُدرِك أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة ما زالَت تتخبَّط في تفكيرها، وأنَّ بعض المتزعِّمين والصحفيِّين والسياسيِّين هم عِلَّة هذا الاضطراب وأسبابُه.

وإنَّ من يقرأ التَّصريحاتِ المتضاربةَ، والآراءَ المتباينة، والخَلطَ الغريب - يَشعر بأنَّ هناك فوضى فكريَّة، وبلبلةً فظيعة، يقف معها الرَّجل العاديُّ حائرًا؛ لا يدري ماذا يريده زعماؤه وساسته؟ وما هو دوره المهيَّأ له؟ وما هي المطالب التي يريدها هؤلاء؟ وما الحلُّ إذا لم

(١) "الدعوة"، العدد (١٧٦)، في ٦/ ٨/ ١٣٨٨هـ.

تُلبَّ تلك المطالب؟

لقد تعنَّت العدوُّ الصِّهيَوني، وركَّز منذ انتهاء الحرب على أنَّه يَهدف إلى إجراء مُفاوَضات مباشرة بين العرب وإسرائيل، ومن الضَّروريِّ - في زعمه - اعترافُ الدُّول العربيَّة بدولة العصابات، وأنَّه لن يتَنازل عن هذه الرَّغبة. وفعلًا، فما فتِئ العدوُّ متصلِّبًا في موقِفه الجائر، وقد أكسبَه ذلك ثقةَ دول عديدة، هذا مع وُضوح عُدوانه، واستمرارِ احتلاله إلى هذا الوقت، وقد أضحى أمامَ اليهوديِّ العاديِّ صورةً بيِّنة.

أمَّا العرب والمسلمون، فإنَّ تضاربَ التَّصريحات من المتزعِّمين والسِّياسيِّين قد أربكَتهم؛ لما فيها من التَّناقضات، وصيَّرت الهدفَ أمامَهم غامضًا.

فهل هناك مَن يريد الصُّلح مع إسرائيل من هؤلاء المتزعِّمين ويسعى لأرباح ماديَّة، وإن كان يعمل بالسِّر من أجل هذه الأهداف، ولا يجرُؤ على المُجابهة بها؛ فلذا يلجَأ لأسلوب جَسِّ النَّبض لمعرفة ردود الفعل؛ ليبدأ بإعلان موقفه عندما يكون الجوُّ ملائمًا؟

وهل المتزعِّمون قد وضَعوا في حسابهم مَطامعَ

إسرائيل العدوانيَّة، وخُططَها التوسُّعيَّة؟!

إذا لَـم يـكُـن إلَّا الأسِـنَّـةُ مَـركَـبًـا

فـمـا حِـيـلـةُ الـمُـضـطَـرِّ إلَّا رُكـوبُـهـا

فإذا كان لا بدَّ من الحرب، فهم مستعدُّون لها، وقد هيَّؤُوا الوسائل التي يقدِرون عليها، ويظنُّون أنَّها مفيدة.

إنَّ على المسؤولين في الدُّول الإسلاميَّة أن يتَّفقوا على خُطَّة واضحة، وأن يقوموا بتوعية شاملة، وإذا عجَزوا عن ذلك فلا أقلَّ من أن يتركوا أمرَ فلسطين للفلسطينيِّين، وألَّا يُصغوا السَّمع لأحلام إسرائيل التي تحاول أن تجعلَ من الحكومات العربيَّة والإسلاميَّة شُرطةً تُلاحِق الأبطالَ المجاهدين من أبناء فلسطين؛ لِتُحاربَهم بسلاح إخوانهم، ولتقضيَ عليهم بسيوف العرب والمسلمين، هذا ما تسعى إليه الصِّهيَونيَّة بدسائسها ومكرِها.

لقد رفضَت حركة التَّحرير الفلسطينيِّ فتح الحلولَ السلميَّة التي هدفُها التَّسليم بالأمر الواقع، والانهزام تجاه العدوِّ المعتدي.

وهذا الموقف المشرِّف هو ما تعبِّر عنه بياناتُ الفئات

الفلسطينيَّة الأخرى، وهو ما يجب أن تُعلنَه بصراحة كلُّ الدُّول الإسلاميَّة.

إنَّ فلسطين تَرزَح تحت نِيرِ الاستعمار اليهودي، فلماذا تتصدَّر بعضُ الدُّول العربيَّة للمحادثات بواسطة ممثِّل الأمم المتَّحدة؟ ولماذا لا يتركون للفلسطينيِّين القيامَ بما يرَونه مناسبًا لتحرير بلادهم، وهو طريق واحد يفهمه العدوُّ الغادر؟

أمَّا أنصاف الحلول والمفاوضات المذلَّة، فذلك ما يجب الابتعادُ عنه، والتنصُّل من الرِّضا به، وعلى هذه الدُّول أن تساعدَ الفلسطينيِّين بجميع أنواع المساعدة، والوقوفُ إلى جانبها، ومدُّها بالأسلحة والذَّخائر ومختلِف المعونات، وهذا هو الطَّريق السَّليم.

حقَّق الله الآمال[١].

---

(١) أوردنا المقالات المنشورة في هذا الكتاب حسَب تاريخ كتابتها أو نشرها في الصحف، وقد خالفنا هذه القاعدة في مقالين هما: (من الملوم؟)، و(ماذا وراء اغتيال كندي؟)؛ حيث رأينا من الأنسب تقديمَهما.

ما جاء في قتال المسلمين لليهود في آخر الزَّمان

قال الله تعالى في حقِّ اليهود: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

قال بعض المفسِّرين: هم العرَب؛ يسومون اليهود سوءَ العذاب إلى يوم القيامة؛ قال ذلك ابنُ عبَّاس، وقَتادةُ، وسعيدٌ، وغيرهم.

وقد وردَتِ الأحاديث الصَّحيحة في قتال المسلمين لليهود، وتسليط المسلمين عليهم، حتَّى خروج الدجَّال، ونزول عيسى ابن مريمَ عليه السلام الذي يقتُل الدجَّال وشيعتَه من اليهود، ويحكم المسيح ابنُ مريمَ بشريعة الإسلام، ويَكسِر الصَّليب، ويقتُل الخِنزير، ويضَع الجِزيَة، والمسلمون أنصارٌ له وأعوان.

وفي "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عُمر؛ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقتَتِلون أنتم ويَهودُ، حتَّى يقول الحَجَرُ: يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي فاقتُلْه»، وفي لفظٍ آخرَ قال: «تُقاتِلُكم يَهودُ، فتُسَلَّطون عليهم، حتى يقول

الحجرُ: يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي فاقتُله».

وروى مسلمٌ في "صحيحه" أيضًا عن أبي هُريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم السَّاعةُ حتى يُقاتِلَ المسلمون اليهود، فيقتُلهم المسلمون، حتَّى يختبئَ اليهوديُّ من وراء الحَجَر والشَّجَر، فيقول الحَجَر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتُلْه، إلَّا الغَرقَد؛ فإنَّه من شجر اليهود».

وعن أنسٍ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يَتبع الدَّجَّالَ من يهودِ أصفَهان سبعون ألفًا عليهم الطَّيالسة»؛ رواه مسلم.

وروى أحمدُ عن أنسِ بن مالك؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجَّال من يهودِ أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السِّيجان».

وروى أحمدُ عن ابن عُمرَ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تُقاتِلُكم اليهود، فتُسلَّطون عليهم، حتى يقولَ الحجر: يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي فاقتُله»؛ وأصله في "الصَّحيحين".

ورَوى أحمدُ عن عائشةَ؛ قالت: دخَل عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا أبكي، قال: «ما يُبكيكِ؟»، قلتُ: يا رسول الله،

ذكرتُ الدجَّال فبكَيت! فقال رسولُ الله ﷺ: «إنْ يخرُجْ وأنا حيٌّ كَفيتُكمُوه، وإن يَخرُج بعدي فإنَّ ربَّكم ليس بأعوَر؛ إنَّه يخرجُ في يهوديَّة أصبهان، حتى يأتيَ بالمدينة، فيَنزِلَ ناحيتَها ولها يومئذٍ سبعةُ أبواب، على كلِّ نَقْب منها ملَكان، فيَخرُج إليه شِرارُ أهلها، حتى يأتيَ الشَّامَ مدينةً بفلسطين بباب لُدٍّ، فينزلَ عيسى ابن مريم فيَقتُله، ثمَّ يمكثُ عيسى في الأرض أربعين سنةً إمامًا عادلًا».

وعن مُجمِّع بن حارثة؛ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَقتُل ابنُ مريم الدجَّالَ بباب لُدٍّ»؛ رواه التِّرمذيُّ وقال: هذا حديث صحيح، قال: وفي الباب عن عِمران ابن حُصين، ونافع بن عُقبة، وأبي بَرْزَة، وحُذيفة بن أبي أَسيد، وأبي هُريرة، وكَيسان، وعثمان بن أبي العاص، وجابر، وأبي أُمامة، وابن مَسعود، وعبد الله بن عَمرو، وسَمُرَة بن جُندَب، والنوَّاس بن سَمعان، وعَمرِو بن عوف، وحُذيفة بن اليَمان.

وروى أحمدُ عن جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجَّال في خَفْقَةٍ من الدِّين، وإدبار من العلم، وله أربعون ليلةً يَسيحُها في الأرض؛ اليومُ منها

كالسَّنة، واليومُ منها كالشهر، واليومُ منها كالجمعة، ثم سائر أيَّامه كأيَّامكم...» فذكَر الحديث، إلى أن قال:

«ثمَّ ينْزِل عيسى ابنُ مريم، فيُنادي من السَّحَر فيقول: يا أيُّها النَّاس، ما يمنعُكم الخروجَ إلى الكذَّاب الخبيث؟! فيقولون: هذا رجل جنِّي! فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتُقام الصَّلاة، فيُقال له: تقدَّم يا رُوحَ الله، فيقول: لِيتَقدَّم إمامُكم فَلْيُصَلِّ بكم، فإذا صلَّوا صلاةَ الصُّبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذَّاب يَنماثُ كما ينماثُ المِلحُ في الماء، فيمشي إليه فيقتُله، حتى إنَّ الشَّجرَ والحجرَ لَيُنادي: يا رُوحَ الله، هذا يهودي، فلا يتركُ ممَّن كان يتبعُه أحدًا إلَّا قتَله».

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله؛ قال: أشرَفَ رسولُ الله ﷺ على فَلَقٍ من أفلاق الحَرَّة ونحن معه، فقال: «نِعمَتِ الأرضُ المدينةُ؛ إذا خرَج الدجَّال على كلِّ نَقْبٍ من أنقابها مَلَك لا يدخُلها» وفيه: «معه سبعون ألفًا من اليهود، على كلِّ رجل منهم ساجٌ وسيفٌ مُحلًّى، فتُضرَب قُبَّتُه بهذا الضَّرب الذي عند مُجتمَع السُّيول...» الحديث؛ صحَّحه الحاكم.

وروى ابن ماجَه عن أبي أُمامةَ الباهليِّ؛ قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ فكان أكثرُ خطبته حديثًا حدَّثَناه عن الدجَّال وحذَّرَناه، فكان من قوله أنَّه قال: «لم تَكُن في الأرض منذ ذرَأ الله ذُريَّةَ آدمَ عليه السلام أعظمُ من فتنة الدجَّال، وإنَّ الله لم يبعَث نبيًّا إلَّا حذَّر أمَّتَه الدجَّال، وأنا آخرُ الأنبياء، وأنتم آخرُ الأُمم، وهو خارجٌ فيكم لا مَحالة، فإن يخرُج وأنا بين ظَهرانَيكُم، فأنا حَجيجُ كلِّ مسلم، وإن يخرُج بعدي، فكلُّ امرئ حجيجُ نفسِه، والله خليفتي على كلِّ مسلم، وإنَّه يخرج من خَلَّةٍ بين الشَّام والعراق...».

إلى أن قال: فقالت أمُّ شَرِيك بنت أبي العَكَر: يا رسول الله، فأين العربُ يومئذٍ؟ قال: «هم قليل، وجُلُّهم يومئذٍ ببيت المقدس، وإمامُهم رجلٌ صالح، فبينما إمامُهم قد تقدَّم يصلِّي بهم الصُّبح، إذ نزَل عيسى ابنُ مريم عليه السلام الصُّبح، فرجع ذلك الإمام يمشي القَهقَرى؛ ليتقدَّم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يدَه بين كتفَيه ثم يقول: تقدَّم صَلِّ؛ فإنَّها لك أُقيمَت، فيصلِّي بهم إمامُهم.

فإذا انصرَف قال عيسى: افتحوا الباب، فيُفتَح ووراءه الدجَّال، معه سبعون ألفَ يهودي، كلُّهم ذو سيفٍ محلًّى

وساج، فإذا نظر إليه الدجَّالُ ذابَ كما يَذوب المِلحُ في الماء، وينطلق هاربًا، فيقول عيسى: إنَّ لي فيكَ ضربةً لن تسبِقَني بها، فيُدركه عند بابِ اللُّدِّ الشَّرقيِّ فيَقتُله، ويَهزم الله اليهود، فلا يبقى شيءٌ ممَّا خلَق الله تعالى يتوارى به يهوديٌّ إلَّا أنطقَ الله ذلك الشَّيءَ، لا شجرَ ولا حجرَ، ولا حائطَ ولا دابَّة - إلَّا الغَرْقَدَة؛ فإنَّها من شجَرهم لا تنطِق - إلَّا قال: يا عبدَ الله المسلم، هذا يهودي، فتعالَ اقتُله. . .» إلخ.

وعن نَهيكِ بنِ صُرَيم السَّكونيِّ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لتُقاتلُنَّ المشركين، حتى يقاتلَ بقيَّتُكم الدجَّال على نهر الأردنِّ، أنتم شرقيُّه، وهو غربيُّه»، قال: وما أدري أين الأردنُّ يومئذٍ من الأرض؛ رواه البزَّار.

وعن حُذيفة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أعلَمُ بما مع الدجَّال منه؛ معه نهران، أحدهما نار تأجَّجُ في عينِ مَن يَراه، والآخر ماءٌ أبيض، فمن أدرَكه منكم فليُغمِض عينَه ويشرَبْ من الذي يراه نارًا؛ فإنَّه ماءٌ بارد، وإيَّاكم والآخرَ؛ فإنَّه فتنة، واعلموا أنَّه مكتوبٌ بين عينه (كافر)، يقرَؤُه مَن كتَب ومن لم يكتُب، وإنَّ إحدى عينَيه ممسوحةٌ

عليها ظفَرة، وإنَّه يَطلُع عليكم من آخرِ أمره على بطن الأردنِّ على ثَنِيَّة أفيق، وكلُّ أحدٍ يؤمِن بالله واليوم الآخِر ببطن الأردنِّ، وإنَّه يقتُل من المسلمين ثلثًا، ويهزِم ثلثًا، ويبقى ثلث، فيحجُز بينهم اللَّيل، فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحَقوا إخوانَكم في مَرضاةِ ربِّكم؟ من كان عندَه فضلُ طعام فليَعُد به على أخيه، وصلُّوا حين ينفَجِر الفَجر، وعجِّلوا صلاتكم، ثم أقبِلوا على عدوِّكم، قال: فلما قاموا يصلُّون، نزل عيسى وإمامُهم يصلِّي، فلمَّا انصرف قال هكذا، فرِّجوا بيني وبين عدوِّ الله.

قال: فيذوبُ كما يذوبُ المِلح، فيُسلِّط الله عليهم المسلمين فيَقتلونهم، حتى إنَّ الحجرَ والشَّجرَ لَيُنادي: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي، فاقتُله، ويظهر المسلمون، فيكسِرُ الصَّليب، ويقتُل الخِنزير، ويضعُ الجِزيَة...»؛ الحديث رواه ابن مَنْدَه، قال الذهبيُّ: هذا إسنادٌ صالح. اهـ.

وهذا من معجزات الرَّسول ﷺ الذي أخبَر عن قتال المسلمين لليهود في آخِر الزَّمان قبلَ وقوعه بأكثرَ من ثلاثةَ عشَرَ قرنًا من الزمان، وقبل خمسين سنةً لم تكن نسبةُ

اليهود في فلسطين تبلُغ ٧ في المئة بالنِّسبة للسكَّان العرب في فلسطين، ولم يَقُم لليهود دولةٌ بين العرب إلَّا منذ عشرين سنة.

وها هي الحرب مستمرَّة بين العرب واليهود، يستَعِر أُوارُها، وتَضطَرم نارُها، وما فَتئ اليهود في عدوانهم وطَيشهم سادرين، وقد أثاروا نقمةَ العالم الإسلامي، واستبانَ طُغيانهم للعالم أجمع، وهم يقطِفون ثمار عدوانهم على أيدي المجاهدين الفلسطينيِّين، ومن ورائهم المسلمون في كلِّ صُقع وناحية، وقد ورد في الكتب القديمة ما يُشير إلى ذلك.

فقد جاء في الإصحاح الثَّاني والعشرين من (سِفر حِزقِيال) ما يلي:

«وكان إليَّ كلام الرَّبِّ قائلًا:

يا ابن آدم، قد صار لي بيت إسرائيل زَغَلًا كلُّهم نُحاس وقَصدِير وحَديد ورَصاص في وَسَط كُور، صاروا زَغَل فِضَّة لأجل ذلك، هكذا قال السيِّد الربُّ من حيث إنَّكم كلَّكم صرتُم زغلًا، فلذلك هأنذا أجمعكم في وسط أورشليم جمع فِضَّة ونُحاس ورَصاص وقَصدِير إلى وسط

كور لنفخ النَّار عليها لسَبكها، كذلك أجمعكم بغضبي وسَخَطي، وكما تُسبَك الفضَّة في وَسَطِ الكُور كذلك تُسبَكون في وَسَطها، فتعلمون أنِّي أنا الرَّبُّ سكَبتُ سخَطي عليكم».

وفي الإصحاح السَّادس من (سفر أرميا):

«هكذا قال الرب: هو ذا شعب قادم من أرض الشَّمال، وأمَّة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض تُمسك القوسَ والرُّمح، هي قاسيةٌ لا ترحم، صوتُها كالبحر يعِجُّ، وعلى خيل تركب مُصطفَّة كإنسان لمحاربتك يا ابنة صِهْيَون، سمعنا خبَرها، ارتخَت أيدينا، أمسَكَنا ضيقٌ ووجَعٌ كالماخض، لا تخرُجوا إلى الحقل، وفي الطَّريق لا تمشوا؛ لأنَّ سيف العدوِّ خوفٌ من كلِّ جهة».

وفي الإصحاح السَّادس من (سفر عاموس) يخاطب بني إسرائيل:

«أنتم الفرحون بالبطل، القائلون: أليس بقوَّتنا اتَّخذنا لأنفسنا قُرونًا؟ لأنِّي هأنذا أُقيم عليكم يا بيت إسرائيل، يقول الربُّ إله الجنود: أمَّة يُضايقونكم من مدخل حَماة إلى وادي العَرَبَة».

وفي الإصحاح الحادي والخمسين من (أخبار الأيَّام الأوَل):

«انهضي قُومي يا أورشليم، التي شربَت من يد الربِّ كأس غضبِه، ثُفْلَ كأسِ التَّرنُّح شرِبتِ، مصَصتِ، ليس لها من يقودُها من جميع البنين الذين ربَّتهم، اثنان هما مُلاقياك، من يرثي لك الخراب والانسِحاق، والجوع والسَّيف، بمن أعزِّيك، بنوكِ قد أعيَوا، اضطجعوا في رأس زُقاق كالوَعْل في شبكة الملآنون من غضب الربِّ من زَجرة إلهك، لذلك اسمعي أيَّتها البائسة والسَّكرى - وليس بالخمر - هكذا قال سيِّدكِ الربُّ وإلهكِ الذي يُحاكِم لشَعبه، هأنذا قد أخذتُ من يدكِ كأسَ الترنُّح من ثُفل كأس غضبي، لا تعودين تشربينها فيما بعد، وأضعُها في يد مُعذِّبيك الذين قالوا لنفسك: انحني لنعبُر، فوضَعتِ كالأرض ظهرَكِ وكالزُّقاق للعابرين».

وقد هُرِع اليهود إلى فلسطين، واختاروها على أيِّ بقعةٍ أخرى من العالَم؛ انتظارًا لما ورَد من أخبار وإشارات عن تجمُّعهم بها في آخر الزَّمن، وفي التلمود وبروتوكولات حكماء صِهيَون، وبيانات زعماء اليهود

وكتَّابهم - شيءٌ كثيرٌ من ترقُّب ذلك التجمُّع الذي أسَّسوه على البغي والشَّر، فكان جزاؤهم السَّيفَ والانسحاقَ والدَّمار، حتى تكون إبادتهم نهائيًّا على يد المسيح ابن مريم عليه السلام وجنده من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

فهرس الموضوعات

آثار الشيخ زيد الفياض

تمتازُ بالجمع بين العلم الشرعيِّ الموثوق والثقافة الإسلاميَّة الأصيلة، مصوغةً بأسلوب سهل ومشرق، يُقنع العقلَ ويُلامس الوجدان.. كيف لا وصاحبُها فارسٌ من فرسان الميدان؟!

إنه الشيخُ زيد بن عبد العزيز الفياض رحمه الله؛ نمطٌ فذٌّ بين علماء عصره، جمعَ بين التحصيل الشرعيِّ المتين والاطِّلاع على ما يروجُ في زمنه من أفكار وثقافة طارئة، فامتاز ببصيرة نافذة ناقدة لما يدورُ حوله من حوادث، وما يُلمَّع من فكر دخيل وفلسفات ومذاهبَ وافدة! فانتضى قلمَه بجَراءة، وبذل وُكدَه في كشف كلِّ ما يتهدَّد أمَّة الإسلام بصراحة، فغدت كتاباتُه وثائقَ تاريخيَّة مدوَّنة بيد خبير ثقة مقتدر.

وما خلَّفه الشيخ من تراث علميٍّ وفكريٍّ نافع، يتوزَّع بين كتب طُبعت ونَفِدَت، ومقالات نُشرت في الصحف قديمًا ولم تُجمَع، ومُسوَّدات بحوثٍ وكتب عاجلته المنيَّة قبل تحريرها وإخراجها.

ويُسعدنا في دار الألوكة للنشر أن نميطَ اللثامَ عن هذا التراث الرصين بتقديمه لأبناء عصرنا لينتفعوا بما فيه من علم ونصح وغَيرة. هذا ولم نألُ جهدًا في التصحيح والتحرير والعناية. ونسأله سبحانه التوفيقَ والقَبول، وأن يجعلَ هذا العِلمَ النافعَ في صحيفة صاحبه وناشره.

1234567890

توزيع مؤسسة الجريسي - الرياض - هاتف ٤٠٢٢٥٦٤